

# الكتب وجذبات نظر

في الثقافة والميادين والفكر

Weghat Nazar - Volume 5 - Issue 51 - April 2003

مجلة شهرية، العدد الواحد والخمسون، السنة الخامسة، أبريل ٢٠٠٣، الثمن عشرة جنيهات



محمد حسنين هيكل

## هذا الإعصار الأمريكي!

لغة الجنرالات القاتلة / مريد البرغوثي

اقتصاديات ترويحج الاكتئاب / مايكل جاكوبسن

وكلاء وممنعة... العيلة والذها في مواجهة البنى والاستثمار

قراءة: من دفتر ملاحظات الحرب / أيمن الصياد

نون: حركات الاحتجاج عندنا وعندهم / سلامة أحمد سلامة

خالد النور



## ۲. کلمات نظم

## في كتب وجهات نظر

● عليك تشجيع الاتجاه نحو الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، وفي هذا الميدان فإن عليك أن تفكر بجملة وتصرف في حزن أن عمك في هذه الجالات يمكن أن يخلق حساسيات تعطل جهودك، ركز على مصر باعتبارها أكبر دولة عربية، ركز على السلطة الفلسطينية لأن قضية فلسطين موجودة في كل بلد عربي، وهناك احتمالات واسعة لتطورات ديمقراطية مهمة في مصر ما بعد عرفات.

٢. عليك أن تهتم بقضية قواعد ووسائل عمك في الشرق الأوسط لمواجهة أية احتمالات تنشأ دون فاجئك منها شيء... وساتك إلى ذلك على النحو التالي:

● عليك أن تعرف أن إسرائيل هي الركيزة الأولى لضمان أمن الإقليم، والتحالف الأمريكي مع إسرائيل بالفعل والقول هو القاعدة المثبتة لكل الخطط والسياسات، والحقيقة فإن قوة الشراكة بين البلدين هي أداة الفعل الرئيسية في المنطقة، ولابد أن تكون العلاقة بين الطرفين (الأمريكي والإسرائيلي) نظيفة من أي سبب للثقة.

● عليك للاستفادة القصوى من هذه الحقيقة الاستراتيجية. أن تكلل إسرائيل تفوقاً نوعياً، متجدداً طول الوقت على كل الأطراف العربية، وهنا فإن عليك أن تقدم وتعرض بشدة كل محاولة من جانب أي طرف عربي يطلب أو يسعى للتساوي مع إسرائيل.

● عليك أن تبدل جهودك لتقليد وتسريع عملية التطبيع بين الأردن وإسرائيل، وإقناع الأردن أن ذلك أفضل ضمان له سياسياً واقتصادياً، وحذر الأردن من غواية تصورها أنها تستطيع مغالبة أو مهانة صدام حسين، ذلك سوف يضر بسلامة الأردن واعتداله.

● عليك أن تشجع تركيا على القيام بدور رئيسي في المنطقة مع إقامتها بطريقة واضحة أنها لا تستطيع أن تمارس هذا الدور، ولا أن تصقق تماشجه السياسي والاقتصادية إلا بالتعاون مع إسرائيل.



■ في عدد سبتمبر ٢٠٠١ من وجهات نظر، وتحت عنوان تقرير رئيسي أمريكي، خريف طهر، قدم الأستاذ محمد حسين هيكل قراءته لتقرير عن سياسة أمريكا في الشرق الأوسط، كان قد عرف قارئها أنه ربما يقتصر مجموعة تقارير على مكتب الرئيس الأمريكي الجديد جورج دبليو بوش، وكان قد رأى - يومها - أنه (أي التقرير) يقدم إبطالة على القرار الأمريكي في الشرق الأوسط وتوجهاته في المرحلة القادمة. وكانت تلك الإطالة «الواجبة» هي قصد هيكل (في سبتمبر ٢٠٠١) كما قال في تقديمه لقائه.

التقرير الذي اختصارها له عنوان «اللاعبة في بحور مضطربة» Navigating Through Turbulence والذي كان على مكتب الرئيس الأمريكي قبل أحداث سبتمبر (لاحظ) حدد الخطوط العامة للسياسة الأمريكية والتي لخصها هيكل في الآتي:

■ إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تدعي لنفسها «رئاسة العالم» ولا يجب لنفسها مشكلات تستلزم الحساسية أو تستدعي المناقشة أو تستفز الآخرين بغير لزوم لكل عليها في نفس الوقت أن تهتم لنفسها بالكلمة الأخيرة في أي موضوع.

ذلك يعني:

● إن الولايات المتحدة لا تبتل لسمعة أو تزيماً في مسؤولية القرار العالمي.

● ولا تقبل قيادة جماعية أو نوعاً من مجلس الإدارة مستولاً بالتضامن حتى ولو كان لرئيسه صدرات أو حتى ثلاثة.



ويتضمن التقرير الذي عرض له هيكل في «وجهات نظر» قبل عام ونصف توصيات مستشاري الرئيس فيما يخص الشرق الأوسط والتي منها:

● عليك أن تكون مستعدة للقيام «بجملة» نهائية... ضد القوى التي تهدد الصالح الأمريكي في المنطقة، وأولها العراق وإيران... وساتك إلى ذلك على النحو التالي:

١. عليك تشجيع التغيير في إيران وفي العراق، عليك أن تلاحظ أن التغيير في إيران يمكن أن يتم بوسائل سياسية، أما التغيير في العراق فلا يمكن أن يتم بوسائل سياسية. ومعنى ذلك أن التغيير في إيران يمكن أن يتم من الداخل، أما التغيير في العراق فيقتضي دعماً من الخارج... وتسهيل التغيير في العراق وتقليلاً لتكاليف العنف الملائم له يستحسن إشغال صدام حسين وتشجيع انتباهه على أكثر من جبهة واحدة.

● عليك تقدير ردود فعل العسكري مبكراً إذا أي تطور يحدث في العراق.

وفي حالة الحوادث ليس هناك ما يمنع من أن يكون صدام حسين على علم برد فعل الولايات المتحدة وتصرفها إزاء كل حالة، ويجري ذلك بالتوازي مع إعادة بناء إمكانية مالية وعسكرية وتكنولوجية لقوى المعارضة العراقية، على أن تكون هذه القوى على علم أكيد بحجم الدعم الذي يمكن أن تقدم لها الولايات المتحدة في كل ما تقوم به من أجل نظام ديمقراطي في عراق ما بعد صدام حسين.

● عليك أن تشجع المعتدلين في إيران ضد المتطرفين، وأن تصل من وراء الاثنين مباشرة إلى الشعب الإيراني، شجع السياسة بين إيران والغرب، شجع القطاع الخاص في إيران - ابعد عن فترات اللجوء مع القوى الديمقراطية في إيران.

٢. بصرف النظر عن الموجة المعادية لأمريكا... وهي تحتاج المنطقة الآن... فإن عليك أن تعزز التيارات والمواقف الموالية للسياسة الأمريكية... وساتك إلى ذلك على النحو التالي.

● عليك أن تشجع عملية واسعة التعريف بالديمقراطية الأمريكية والمارسية السياسية في أمريكا.

● عليك أن تعمل على ظهور قيادات جديدة صديقة لأمريكا وقادرة على إجراء إصلاحات تفرق (فيها القيادات) شرعية مقبولة.



ويشأن مشكلة الشرق الأوسط بلغت التقرير الذي عرضته هيكل نظر بوش إلى أن:

«المنك هو «إدارة» أزمة الصراع العربي الإسرائيلي وليس حله،

وإن «إدارة الأزمة مهمة ثقيلة لكنها ليست خطيرة طالما أمكن تحقيق المطالب الرئيسية في صلب تقرير اللجنة الرئاسية الفصل في منطقة الشرق الأوسط بين نطاق التبرول «سريع الانفعال» ونطاق الصراع العربي الإسرائيلي» «القابل للانفجار» ثم التركيز على الدول للغة» «المالية للغرب» على حدة الصراع العربي الإسرائيلي (مصر والأردن)،



وفي مارس ٢٠٠١، قبل عامين كاملين، وبمناسبة لنفاذ عام «اختار هيكل «نهايات طرق» عنواناً لكتابته مكرراً بها إذا لم تنتهيه القصة العربية إلى أنها قرب «نهاية طريق» فقد يتأكد بأسرع ما يتوقع أحد أنها «نهاية القصة» بطل ما أنها «نهاية طريق».

وموضحاً أن أول قوانين الصراع أنه حين يربطه طرف لنفسه أن يستدعي فإن الطرف الآخر مدعو أن يستدعي، «لأن الغاية النبيلة لا تحقّقها وسيلة تليقة»، بطلب هيكل كعادته في صفحاته «التيار» ليهن لنا كيف أنه تجاوز كل حركة، يضع نقاطاً لتحوّل، ويؤكد «نهايات طرق»، سواء تشبّه أصحاب القرار في حيله واستجاباً، أو أنهم غفلوا حتى فات الأوان أو أوشك.

مقالات هيكل تلك جمعها كتابان صدرا عن «وجهات نظر» أحدهما عن «العربي الثالث» «نهايات طرق»، والثاني عن «الزمن الأمريكي» ■

وجهات نظر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية

□ □ لامتبارات باعامة وفنية تأخذ «وجهات نظر» شكلاً، تأمل هيئة تحريرها معرفة رأي قرائها فيه.



## محمّد حسنين هيكـل



■ ■ ■ لكي يمكن فهم وتحليل مشهد هذا الإعصار الأمريكي الذي يضرب المنطقة العربية هذه اللحظة (أبريل ٢٠٠٣) - فقد يلزم الاتفاق كمقدمة - على مجموعة من الطابع والأحوال، وبقع اللون والنظ والفراغ في هذا المشهد - حتى تبين الصورة وتتمتع التفاصيل.

ومع أن مشهد هذا الإعصار الأمريكي العاتق فيه الكثير مما هو مألوف ومعروف - إلا أنه في بعض الأحيان وعندما تحل الطوارئ - يكون استرجاع المألوف والمعروف ضروريا ولازما لسببين:

- من ناحية - إعادة التأكيد - حتى مع مخظور التكرار.  
- ومن ناحية ثانية - فسر المألوف المعروف عما هو طارئ مستجد، وذلك هو الطلب:



١ - وبداية فإنه يلزم الاتفاق على أن حركة التاريخ مجرى إنساني عريض وعميق صبت فيه الجماعات والشعوب والأمم ملكاتها الفكرية والعقلية، ومنجزاتها في العلوم والتكنولوجيا، وما حققته من حصيلة الإنتاج والتراكم، وما

“١”

## أسلوب جديد في استخدام السلاح

كل بطل عاصيته في زمانه. وفي أزمة قريبة فإن تمثيل الحضارة الإنسانية تجلى مرة بملامح فرنسية على عهد «لويس الرابع عشر»، ومرة بملامح إنجليزية على عصر «فيكتوريا»، وأخيرا تجلى بملامح أمريكية ابتداء من رئاسة «فرانكلين روزفلت» للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية - دون أن يعني ذلك أن عصور «لويس الرابع عشر» أو «فيكتوريا» أو «فرانكلين روزفلت» هي كتابة النص الحضاري - فذلك النص كتيبه الثقافات الإنسانية جميعا، وتعاقب على تمثيله النجوم مع اختلاف العصور، وقامت عليه إمبراطوريات بحكام التقدم والغلبة!

٢ - ويلزم الاتفاق - كذلك - على أن الإمبراطورية الأمريكية حلقة أخيرة في

تجمع لديها من مطالب القوة والتفوق - محفوفة بما توفر لديها من حكمة وفهم وفلسفة وفن.

٣ - ثم إنه يلزم الاتفاق - أيضا - على أن التدافع الهائل للحركة الإنسانية عبر التاريخ هو الذي سمح بظهور مجتمعات ودول وإمبراطوريات ضخمة برزت على طول مجراه، وأن هذه المجتمعات والدول والإمبراطوريات حافظت وأضافت في أحوال صغومها أو انحلالها على مستودع ذاكرة إنسانية متعددة في منابيحها الثقافية متلافة في مجرى واحد أصبح منهلا وموردا لكل من يريد أن يدرس ويستوعب قصة الحضارة من بدايتها وحتى اللحظة الراهنة.

٤ - ويلزم الاتفاق بعدها مباشرة - على أن قصة الحضارة يقوم على تمثيلها

# هـذا الإعصار



وكان تعبيره عن نفسه القرب إلى البوح - بحيث يصح أن يستلحق الذكر والتفكر. فكتب الدكتور «أولمان» مذكرة بعنوان «الصدمة والرعب» (Shock and awe) وضعت اسم الرئيس الأمريكي ونشرتها الصحافة الأمريكية (وبينها جسراند نيويورك تيمس، واشنطن بوست، ولوس أنجلوس تيمس) - وفيها يقول بالتحص:

«إن الولايات المتحدة عليها أن تستعمل القوى شحنة من القوة المكثفة والمركزة، والكاسحة، بحيث تنهار أعصاب أي عمو يقف أمامها، وتحوّر عزيمته قبل أن تنفض عليه الصواعق من أول ثانية في الحرب إلى آخر ثانية، ويتم تقطيع أوصاله وتكسیر عظمه وتزريق لحمه دون فرصة يستوعب فيها ما يجري له». ومن الملحق أن الدكتور «أولمان» ظهر بنفسه على شبكة C.B.S. (وهي أكبر شركات التليفزيون الأمريكية) في ٩ فبراير الماضي يتحدث عن «تفريته في الحرب» مركزاً على عدة شروط:

«أن استعمال أقصى درجات العنف من أول لحظة قليل بثوابيد إحساس بالعجز لدى العدو، يجعله مأخوذاً بلغيان تفوق عليه لا مثيل له (ولعل ذلك الآخر هو المقصود من مشاهد الحشد العسكري الأمريكي

الرقق إلا عندما اطمانت إلى أن طاقة البخر حاضرة لتعويض عضلات الميديد، وأنها كذلك طاقة أرخص».)

وعلى نفس القياس فإن الحرب العالمية الأولى لم تكن مذبحة هائل لا للبشر من أجل توزيع المستعمرات - وإنما كانت حرباً من أجل الحرية والتحرر. والحرب العالمية الثانية التي انتهت بكابوس نووي، لم تكن حرباً ورث بها أمريكا ما سبقها من إمبراطوريات - وإنما كانت حرباً لتصفية شرور النازية والفاشية.

والمعنى أن الصروب على طول التاريخ، احتاجت إلى سواتر أو درائع قانونية وأخلاقية أو شبه قانونية وأخلاقية، وأما في حالة الإمبراطورية الأمريكية فإن استعمال القوة مع تركيزها أو احتكارها - جاء مكثفاً بما لديه، مستغنياً عن أية إضافات إنسانية «جمالية» - فوقه:

«وما فإن منطق القوة الأمريكية حين تمارس دورها - عبر عن نفسه بأصبح وأصدق ما يمكن بنظرية الدكتور «هارلان أولمان» (وهو أحد المستشارين المسموعين في البيت الأبيض، وفي الأصل أستاذ علوم سياسية في كلية الدفاع الوطني) -

وفي هذا الموضوع أذكر حواراً أشرت إليه من قبل - دار بيني وبين القائد العسكري البريطاني ذائع الصيت لماريшал «مونتجمري» (يحمل العلمين، وهي واحدة من أهم معارك الحرب العالمية الثانية - وقد جرت على صحراء مصر الغربية خريف سنة ١٩٤٢ ضد الجيش الألماني) - وفي هذا الحوار أورد لماريшал العتيد ما ألقته نوعاً من التوصيف «المحترم» لشروط استعمال القوة المسلحة (الحرب) - وقال لماريшал في كلامه:

«إنه لا بد من استعمال قوة السلاح من توافر عناصر مبدئية لتوسيع الحرب مؤداها: أن يكون لدى شعب أو أمة أو إمبراطورية هدف مطلوب سياسياً، ويمكن عملياً، وجازاً قانونياً، ومبهر أخلاقياً».

ويع أن القوانين والأخلاق فيما سبق من تجارب التاريخ - تعرضت للتراث حتى والأموء، إلا أن استعمالها - حتى تصفاً - لم يغف قط عن ساحات الحرب. ويساتر المبادئ فإن الحروب الاستعمارية لم تكن للاستيلاء على موارد وإقمار شعوب - وإنما كانت «نشر الحضارة في قارات الظلام»، أو «منع الرق» وتحرير استغلال الإنسان للإنسان (رغم أن الجماعات المهيمه لم تترك نفسها ببؤس

سلسلة متوالية من الإمبراطوريات - لكن هذه الإمبراطورية الأمريكية جاءت لأول مرة في التاريخ مستغنية عن وطنية شعب على أرض - أو جامعة أمة بسلامة قرابية أو لفة أو تاريخ، لأن لقيامها بالدرجة الأولى لم يكن له رابط غير المصلحة - تعبر عنها «السوق» في نهاية المطاف، وكان توسيع السوق هو حافظ الحرب الإهلوية الأمريكية كي تضم الجنوب الزراعي إلى الشمال الصناعي وتمتد غرباً، ثم تعبر المحيطات إلى عوالم أبعد - أي سوقاً أكبر.

هـ - يلزم الإنفاق - أخيراً - على أن هذه الإمبراطورية الأمريكية وباحوال وظروف نشأتها وصعودها، أخذت بزعمة القوة بلوغ غاياتها حتى وإن جاء ذلك على حساب قيامها على التراكم الحضاري الإنساني، ولأن منطق السوق الذي قامت غراما به هو بطبيعته عملية إزاحة لأي منافسة - واضرار يسعى بالضرورة نحو سيطرة غير شرعية - وذلك طبع الاحتكار.

وكان استعمال القوة في عهود إمبراطورية سبقت - متفخفاً على الأقل - باعتبار ملامحة إنسانية جرى عليها الخرف واستقرت التقاليد.

# الأمريكي!



“ ٢ ”

## سباق بين «البيان» - و«الإعلان»!

اعتمدت أسلوب الإعلان في توزيع وبیع السلح:

وفي حين أن الإمبراطورية الشيوعية أخذت بالخطب الرنانة والبيانات الحماسية، بجيء ختامها دائماً متافاً بالتحية، لنضال الشعوب، وديسالة كفافها، فإن الإمبراطورية الأمريكية أخذت بفنون الإعلان، وأهمها أنه شعار واحد يقول كل شيء في عبارة واحدة مختصرة تستثير صورا حافلة بالمشويق والإثارة.

وفي حين أن الفردوس الشيوعي (مثل أن نعيم مقیم) موجه إلى ما بعد إتمام «بناء الشيوعية»، فإن السلع الأمريكية معروضة لكافة وفي إحصائها على شكل زجاجة كوكاكولا وجمدة والى جانبها عبارة «هي الأصل» جاذب لاستعادة مذاق منش، وإن صورة ملونة للمهاجورج والى جانبها عبارة «البح صاف» جاذبة لاستعادة الشعور بالامتلاء، (بل إن صورة الشارة المعدنية الصغيرة لسيارة كاديلاك جاذبة دون زيادة كلمة واحدة، لخلق جو من الفخامة والعز يجري على أربع عجلات).

وبالفعل فإن معروضات السوق الجاهز فعلا، تمكنت من إزاحة وعد الفردوس المختل:

كان أسلوب الإعلان الأمريكي يقول كل شيء في عبارة واحدة أو صورة واحدة، وكان البيان الشيوعي وعاء مهما يكن ويؤيد إلى درجة القتل بالمثل:

ومن المدهش أن الإعلان الذي يتكلى بعبارة واحدة وصورة واحدة، أدى في مجال السياسة إلى مشاهد ملطفة، لكنها اعترافاً بالواقع، خلقت غرضها.

.....  
[واتخذت أمريكا كنت الخطى وقلع الثورة الإسلامية في إيران التي صادقت طوافم عدد من شركات التليفزيون الأمريكية تبث في «طهران» و«دمق» و«صفهان» من مغامرات تحرق العلم والصبر، وكانت تلك في الصورة المطلوبة لإظهار أن الثورة الإسلامية عدو للولايات المتحدة وللغرب، وبالتالي فإن الرأي العام الأمريكي والأوروبي عليه أن يعادياها.

■ بعد ذلك وفي طلب مزيد من الفهم والتحليل لحشد هذا الإصرار الأمريكي العائتي الذي يضرب المنطقة العربية، فقد بعد لزوم الاتفاق على مقدمة له سبقت. ومع أن المشاهد فيها - بدورها - ما هو مذكور ومشهور، إلا أن مراجعة المكون والمشهور قد تكون ضرورية - لسببين: أيضا:

- استشارة الذاكرة وتحفيزها - من ناحية.

- الربط والوصل بين المواقف لإيضاح سبيلها - من ناحية ثانية.

١ - وعلى سبيل المثال فقد يكون مطلوباً استعادة أسلوب الدعوة والترويج التي ابتعتها القوات الأعظم في فترة الثورة الباردة، لأن الحرب الباردة كانت على الواجهة محاولة من كل طرف لتقديم نفسه للعالم، وتزيين تقاضيه أمام المشعوب، وتصويره على أنه شكل المستقبل، وبضرورة الأشياء فقد كانت طبيعة كل واحدة من القوتين موجهة لأسلوبها في الدعوة والترويج.

وفي حين أن الإمبراطورية الشيوعية اعتمدت أسلوب التبشير بفردوس تصنعها الطبقة العاملة بريشا من الاستغلال، فإن الإمبراطورية الأمريكية - وهي بالدرجة الأولى «إمبراطورية سوق»

وهكذا فسان الصراع بين الإمبراطوريتين - إمبراطورية السوق وإمبراطورية الشيوعية - دار بالوساطة، ودار بالأساليب الخفية والنفسية والاقتصادية، أصلا في انقاص الحضور وتجنب الممار المتبادل في جحيم نووي:

٧ - وأخيرا يلزم الاتفاق على أنه في تلك الفترة الصعبة (من الحرب الباردة) - فإن الولايات المتحدة الأمريكية، منحت تفويضات مفتوحة في مناطق مختلفة من العالم لقوى الإقليمية كلفتها بدور رجل البوليس المحلي بنوب عنها في استعمال السلاح عندما تقتنع الولايات المتحدة بأن دور السلاح قد حان في التعامل مع بؤر مقاومة في إقليم معين - ثم إنه في إطار هذه التفويضات برز دور إسرائيل في الشرق الأوسط قبل أي وكيل غيرها (مثل سوريا الجنوبية أو جنوب أفريقيا العنصرية أو إيران العنصرية)، وزاد أن إسرائيل نتيجة اختيارات إضافية، تمكنت من خلق توافق استراتيجي مع الولايات المتحدة شجعه الإمبراطورية الأمريكية واستفادت من نتائجها.

والشاهد أن إسرائيل إلى جانب التوكيل الممنوح لها في حفظ المصالح الإقليمية للولايات المتحدة - قد قاربه - بالزيادة فوقه - على تعبئة جهود العالم وراء الولايات المتحدة - وعلى التآمر في أهم وسائل الإعلام والفرقة - وفي جمع المعلومات من قلب الاتحاد السوفيتي ومخيمه - ومستعدة لأية مهمة تكلف بها دون تدقيق في المقاييس والمعايير - وذلك خلق في الشرق الأوسط ضمن ما خلق - تناقضا بين الحقائق وخلافا في المواقف: يحكم أن المصالح الأمريكية كلها عند العرب، وتأمين نفس المصالح موكول إلى إسرائيل مع تفويض لها تصرف كما ترى - أو كما يطلب منها! ■

التحوش حول العراق من قبل بدء أية عمليات، والظاهر أنه أحدث لرد ساحقا في عدد من العواصم العربية وصلت إلى التسليم اليأس بأنه طوفان كاسح لا يقين إيقانه - ومن قبل أن تقتحم الجيوش حدود العراق).

- أن تكون بداية الضربة الأولى على بغداد حاملة ٨٠٠ صاروخ من طراز كروز متلاحقة على مدى يومين أي بمعدل صاروخ كل أربع دقائق، وفي هذين اليومين - طيفا لإعلان - فإنه لابد من تدمير كافة محطات الطاقة والماء، وعليه فإنه عندما بجيء اليوم الثالث يكون «سكان نسياناً ومغفواً - قبل مايا وجسافنا».

- وأن الذي يجب أن نحدثه اللحظة الأولى من الحرب، لابد أن يكون مقابرا لأثر قبلة جيوشنا التي أفلحت القيادة العليا البائبة والإمبراطور «ميرميتو» بأن حيايتها ذاتها تحت رحمة الغزاة، وفي رأى «الومان» - أن ذلك ممكن في حالة العراق حتى إن لا يقع استعمال قنابل نووية، اكتفاء «بالصاعقة متفوقة» له قوة فتد غير محدودة.

ثم يحتم الدكتور «الومان» شرحه لتفريته في حديثه التكيفيوني بقلوه: «إنه قام بدرس منهج كامل عن نظريته لخبير القادة الإسرائيليين والعسكريين في كلية الدفاع الوطني، وكان بين الجالسين على مقاعد الدرس والتحصيل أمامه: «كوليل باول» (رئيس هيئة الأركان السابق في إدارة بوش الأب)، ووزير الخارجية الحالي في إدارة بوش (إلين).

(ولكن في الوقت نفسه - حتى تتصل الجذور بالفرع - نكتفي بخصم الوقت، ونلج في التكليف، ويوفر الخسائر في أرواح المهاجين الذين يربوا على أن الوطن مسامحة في شركة وليس تضحية بدم).



إن الحروب على طول التاريخ، احتاجت إلى سواتر أو دوائر قانونية وأخلاقية أو شبه قانونية وأخلاقية، وأما في حالة الإمبراطورية الأمريكية فإن استعمال القوة مع تركيزها أو احتكارها - جاء مكتفيا بما لديه، مستغنيا عن أية إضافات إنسانية - جمالية - فقهية!



٦ - بجيء بعد ذلك في سياق ما يلزم الاتفاق عليه - أن هذه الاستراتيجية في استعمال القوة المسلحة الصاعقة، لم يكن ممكنا تطبيقها في زمن الحرب الباردة، لأن وجود الاتحاد السوفيتي في مواجهة الإمبراطورية الأمريكية فرض درجة من الحفظ استوجبها ميزان الرعب النووي.

ومع أن كلا من «القوتين الأعظم» زمن الحرب الباردة، تملكهما القوت بالحروب المحلية المحدودة وربما شجعنها وحرصت عليها كميادين لا اختيار القوة، واحتلال - أو إخلاء - المواقف، فإن «الإمبراطوريتين الأكبر» في نفس الوقت على حد اعتداد قرابة نصف القرن حرصتا على عنصر دائرة النار وإبعادها بكل وسيلة عن خط التماس المباشر بينهما.



أي أن الممول عليه في ختام أي صراع بين طرفين موطئ عند نهايته بمن يفقد إرادته قبل غيره، ومن يبلقه الوهن تأليا:

وقد تراءت إلى أسماع واشطن في تلك الغفوة صرختان بألأم صامتتان عن موسكو - تلاخثتا بلارق سنوات قليلة:

● صرخة من «جورباتشوف» بأنه لم يعد يستطيع!

● وصرخة ثانية من «يلتسن» بأنه فقد الأمل!

.....  
[يعني أن الطرف الأمريكي كان لديه

- بدوره - ما يدسود إلى الصراخ من مواجهه وآلامه، تمكن تمل ولم يصرخ حتى سمع صرخة خصمه لهيه، وبالفعل فقد حدث في بداية التسعينيات - وكان «روندل ريجان» قد ترك مكانه في المكتب البيضاوي لثابته «جورج بوش» (الأب) - أن الولايات المتحدة وجدت نفسها مثقلة ومستنزفة.

- فقد تبين أنه أنها مدبنة للعالم بما يزيد على مجمل إنتاجها الصناعي (ه) ٢ تريليون دولار).

- وتحطقت من أن الاقتصادها في عموه تائر بالضرر (بم جعل سقوط «جورج بوش» في انتقابات الرئاسة الثانية محققا في أساس شعار أطلفه «بيل كلينتون» - ب «إنه الاقتصاد يا غي»).

- واكتشفت أن نظام التسعيم الأمريكي تراجع في جدول الأسبوعية العالمية من المكانة الأولى إلى المكانة السابعة عشرة.

- وتبدى لغربها - ولها - أن لعبة السياسة - المحففة على الإعلان - بعد نصف قرن من الحرب الباردة - نزلت بمستوى الأداء وجعلته هو الآخر صورا متحركة تكلف مالا وتصنع خيالا. ولعل سلطة الإعلان وغوايته كانت من أهم العناصر التي هزمت رماية «جورج بوش» (الأب). إزاء الراديو الخفسالية (والفاضة فيما بعد) لحيوية ونشاط «بيل كلينتون».

- وأهم من ذلك كله فإن الولايات المتحدة ظهرت خارجة من الحرب الباردة وقد استنزفت كثيرا من أزمستها السياسية (وأولها الصداقية). كما استنزفت كثيرا من مدخراتها (وأهمها احتياطي الذهب في فورت نويس). ثم إنها - وهذا هو الأخطر - أسرفت في استعمال الطاقة حتى أصبحت مستوردة للبترول - بقرابة ٨٠٪ من احتياجاتها. وكان ذلك بغتضي

ونزل البيت الأبيض - وفيه أياها الرئيس «روندل ريجان» - ماخوذا بهذه الصورة الملهة لما يجري داخل وخارج أسوار الكرملين. وكان أكثر ما فاجأ واشطن أن الرجلين البيضاويين على دفة الإمبراطورية الشيوعية (يلتسن وجورباتشوف) - كلاهما راح يستعين بها ضد رفيقه، ومن جانبها فقد كان منها الخالص من الرجلين معا، وفي نهاية المطاف تكفل كلاهما بإنجاز المهمة وتحقيق المني.

ومع أن المعلومات المدققة على المكتب البيضاوي - مكتب الرئيس في واشنطن - كانت مؤكدة ومحفصة في رصدها للسقوط الكبير - فإن كافة أجهزة الإدارة الأمريكية حول البيت الأبيض، وفيها وزارة الدفاع (البنجابون) - ووزارة الخارجية، وكالة الاستخبارات الأمريكية (C.I.A) ظلت تترك جفونها تتأكد أن تراه هو الحقيقة، ثم كان أول مها وسعجها هو أن ثبتت الزبوة إلهة اللغة على مصير الإمبراطورية النووية السوفيتية، والهرولة على عجل بعروض مساعدة على تأميمها (إزاء عمر اقراضى قارب إلهة) - وخلا من مجهول بعد أصابعه إلى زر أحمر مع لحظة مزاج انتحاري!

٣ - ومن المطلوب استعادة حقيقة لا يصح أن تغيب عن الاعتبار، وهي أن الصراعات الكبرى بين إمبراطوريات التاريخ الكبرى - وحين تستحيل المواجهة المباشرة بالقوة - ترتبط نتائجها بمعادلة معروفة في علم الصراع.

فهي ليست معادلة نصر أو هزيمة بالمعنى التقيدى، وإنما هي اختيار صير وقدر على الاحتمال.

(ولتلك حكمة مانور في الأدب العربي ترى أن الشجاعة في القتال بين اثنين يقع حسنها عندما يصرخ أحدهما أولا).



في مجال الخطاب، فإن أسلوب الكلمة الواحدة زاد واستفحل، لأن أي معترض على السياسة الأمريكية لا حقه وصف واحد يقدمه مرة بأنه «شيوعي»، أو «إسلامي»، أو «إرهابي» كما أن أي واقض لهيمنة واشطن أعيدت تسميته له، «هتلر»، أو «موسوليني».

أو «ستالين»، أو «أسلامى بن لادن».



إمبراطورية السوق ظلت تواصل الضغط ضد الخطر السوفيتي وتبائع فيه، حتى وقت لم يعد باقيا فيه من هذا الخطر غير ترسالة نووية ضخمه مهددة بالشيخوخة بسبب نقص الموارد - ومن باب الحيلة فإن هذه الترسلات المتهالكة بقيت في الظنون، باحتمال أن زعيما سياسيا ينام أو جنرالا عسكريا مجنونا قد يقوم في اللحظة الأخيرة بمغامرة ابتزاز حقاء يقرب فيها بأصابعه من الأزار الحمراء، وأضعا الدنيا على حافة هاوية!

ولم تجد الولايات المتحدة طمانينة وهي تتابع مرور عشرين سنة من الركود الكبير فضاه الزعيم السوفيتي المرخص «ليونيد بريجنيف» على القصة في الكرملين.

ولم تجد الولايات المتحدة طمانينة حتى وهي تتابع المواقب الجنائزية لغارة سوفيت «بريجنيف» و«تشرنيكو» و«أندريوف» - بعد أن وصلوا إلى القمة، وقد أخذت منهم السنوات والعلل ضرايها، وراحو يعمون واحدا بعد واحد. ففى تلك الأوقات كانت الرسلات، النووية السوفيتية الضخمة سيلا ممعلا، واحتمال وصول زعيم يافس أو جنرال مجنون إلى شفرة تشغيلها - واردا ومؤللا!

٣ - ومن المطلوب استعادة لحظة سقوط حائط برلين (٩ نوفمبر ١٩٨٩) وسقوط الاتحاد السوفيتي نفسه بعد ذلك بستين، عندما آلت قيادته إلى رجلين، أولهما وافعى إلى درجة الاستسلام بيديه الضعف والياس (جورباتشوف)، والثاني خيالي إلى حد الأوهام ومعظمها يهينه إدمانه للظنون (يلتسن). ومع ذلك ظلت الولايات المتحدة الأمريكية غير صدقة للمشاهد الذى تراه أمامها ويراه العالم بأسره.

وفي مرة من المرات في مساحة «الشامبايد» في طهران، صادفت موقفا لا يكاد يصدق، فقد وصل طاقم إحدى وكالات التليفزيون الأمريكية جازارا بمصوريه وعدساتهم، والفت أنهم جاءوا معهم أيضا بمجموعة من الأعلام الأمريكية يسلمونها بأيديهم إلى المتظاهرين كي يحرقوها أمام الكاميرات، وكذا المتظاهرون بحماستهم مثلتهن على تخاطف الأعلام الأمريكية وإشعال النار فيها إظهارا لشاعرهم، دون أن يخطر على بالهم أن هذا قد يصاحبه:

فخ الصور، الذى يهيف تسجيل المشهد الذى يقول كل شيء - ويخسبر عن كل

«واقعة» على لغة واحدة.

وفي الممارسة العملية فإن الخطاب على المتحدثين لم يلبث أن فقد مصداقيته: - فخطاب الإعلان الأمريكى ظل سطوحيا كالكلمة بجرس على شراه

سبع، ولا يستطيع لأفعيل فهم.

- وخطاب البيانات - السوفيتي - اصبح تناقضا مع الواقع يشرب باجثة ويسوق الناس نحوها على الطريق - بعضا غليظة (على حد تعبير الزعيم السوفيتي، نيكيتا خروشوف - في نقده الشهير للزعيم الشيوعي «جوزيف ستالين»):

.....

[ولعل نفس الكلام يصعد من ناحية أخرى على الرئيس الأمريكى الحالى «جورج بوش» - ففى خطابه العام دعوة تقول أنها تريد ترميم الشعوب العربية بنجمة الديمقراطية - ولكن بإطلاق الصواريخ على من نشأ ببيتها].

.....

وفي مجال الخطاب بعد مجال الصور، فإن أسلوب الكلمة الواحدة زاد واستفحل، فإن أي معترض على السياسة الأمريكية لا حقه وصف واحد يقدمه مرة بأنه «شيوعي»، أو «إسلامي»، أو «إرهابي» إلى آخر القائمة. كما أن أي واقض لهيمنة واشطن أعيدت تسميته له، «هتلر»، أو «موسوليني» - أو «ستالين»، أو «أسلامى بن لادن» أخيرا. وكان لا يارق بين صروح برلين وكهوف قنار، ولا بين الجيش السوفيتي وجند طالبان، ولا بين أرمي اللوائين الرومانية وقوات «ألا عرق» بال أرض مسطحة وليست كروية، كما يزعم أهل الكفر!:

.....

٢ - وقد يكون من المطلوب - أيضا - استعادة ما ظهر من أن فنون «الإعلان الأمريكى» تخلو بشدة على وعد «الردوس الشيوعي»، ويرغم ذلك فإن

العدد الراحد والخمسون - إبريل ٢٠٠٣ م



بـلـ علاقاتها الخاصة بالولايات المتحدة، بل إنهم ويدون استثنائها أيضاً تعاملوا مع إسرائيل - بعضهم في العلن وبعضهم في السـر- حتى تلك العقد المخلفة من القضية الفلسطينية بحيث تدارى أمام الناس ونستمر. وحينئذ تكون العلاقات مع إسرائيل شمساً في عز الظهر وقمرها بلغ ذروته وصار بدراً (وأكثر).

(والغريب أن القيادات العربية المعنية لم تترك أنها بهذا النوع من «الامل» تركي إسرائيل وترفع من قدرها وأهمية دورها في نظر الولايات المتحدة، لأن ما جاءه يطالبونه بعد كل ما قدموا هو بعينه اعترافهم للولايات المتحدة بأنها لم تغطي في سياستها حتى اعتمدت إسرائيل وكيلها لها في المنطقة، وكانت على حق عندما استمرت في ذلك ما أن استخفرتهم من مساعدات عديدة وعسكرية - إن حساب التوفيق الإسرائيلي أضيف في النهاية إلى الإصرار الأمريكية وزاد من قدرتها في حق إسرائيل، فحسب تصرفات العرب رضى أو غضباً) ■

المشجرة للجهاد الإسلامي الذي وهب - بدوره - نصر الله للولايات المتحدة! والأنا كانت هذه الدول العربية على الناحيتين (الطريقى) ضد الزحف الشيوعي في أفغانستان، أو الفريق الذي حصر التيار الإسلامي في (إيران) - تتقدم ولم تكن الولايات المتحدة على استعداد للاعتراف للطرفين بما قدموا، وأربابها - بالترجيح - أن هؤلاء العرب لا يستحقون منها مكافأة، فقد فعلوا ما فعلوا ووقفوا وأبقوا بدافعاً عن مصالحهم الذاتية، ومنعهم قبل الآن الأمريكي، وبالتالي لا تصح لهم بعد ذلك مطالبة بمستحققات متأخرة أو متقدمة، ومن المفارقات أن بعض العرب لم يكونوا يطالبون بحق شراكة بإسهام ما قدموا، وإنما كان قصاراهم طلب الرعاية، وأول أهمهم أن تكف الولايات المتحدة الأمريكية عن تدعيم إسرائيل وقهرها، مع العلم بأنهم لم يقصروا في حق إسرائيل، فاعترفوا بها دون استثناء - واعترفوا بذلك

موجهاً إلى فرنسا وللمانيا، وأما القوة الأخرى في التحالف الأوروبي وهي بريطانيا، فقد برزت من الموم لآلة الحقت نفسها مكرراً بحداء بالولايات المتحدة - سواء بقرابة اللغة أو بلغة المصالح. وكان الحلفاء الأوروبيون لأمريكا حاضرين دائماً يريدون تغيير المخاطر أكثر مما تنطقها، فهم يعترفون بفضل المظلة النووية الأمريكية، لكنهم يضيفون أن هذه المظلة كانت أمناً لأمريكا بالدرجة الأولى، ثم إنها لم تكن بلا ثمن، لأن أوروبا أعطت الكثير وتحمّلت كل شيء سواء من غموض النوايا السوفيتية أو من تجاوزات الولايات الأمريكية، ومع ذلك فإن أوروبا - في الأول والأخير - كانت قابلة بدور ممتيز لأمريكا في قيادة عالم ما بعد الحرب الباردة، ومنتهى طلبها شراكة في المستقبل متكافئة وليس إملاءً إمبراطورياً متعاليها، فهم ليسوا دول عالم ثالث، وإنما هم دول أقدم وأعمق، ولقائفات اسبق في الزمن وأعمق، وخبرة اسلم واقتل: ثم يضيف هؤلاء الحلفاء - من أوروبا في كل الأحوال - لم تكن عيشاً قليلاً على الولايات المتحدة، ولم تكن هي التي أرهقت الموارد الأمريكية، وإنما أربهاها السبائك الفضلى والثقوى فيما أسماه «دولة ريجان» «حرب النجوم»، ثم إن أوروبا لم تكن هي التي تسببت في استنزاف مخزونات الذهب في فورت نوكس، وإنما حسابات حرب فيتنام وغربة الرئيس «جونسون» في تمويل هذه الحرب بعيداً عن رقابة الكونغرس - وذلك ما أدى إلى تذبذب السبائك الذهبية، وتسهيل مخزونها المتراكم؛

6 - من المطلوب أيضاً في هذا الفصل لدولي الهام، ملاحظة أن التبرير الأمريكي والصفيق وصل جنوب البحر الأبيض المتوسط وشرق طلال أطرافا عربية متعددة، تحسب أنها تحتمت وتطلعت لتحقيق النور الأمريكي بعد العالم؛ فمن ناحية كانت هناك دول تفتل أنعت بدوراً هاماً في أفغانستان، حيث وقعت الضربة القاضية Chout of Grace ضد الاتحاد السوفيتي تحت رايات الجهاد الإسلامي القميص الذي ارتقى الجيش السوفيتي، ومع رنقه في العراق وأوصل الدولة السوفيتية إلى قبرها تحت ذلك التراب.

● ومن ناحية ثانية دول أخرى تفلن أنها لعبت دوراً أساسياً في وقت تقدم المد الإسلامي إلى ممتلكة الثورة الإيرانية، وأقامت ضدها سداً هلالاً مدعوماً مالياً ومخابراتياً حتى نوقته وحصرته، وبالتالي فإن العقيدة السوفيتية لم تترك أمام الفئران النووية للولايات المتحدة، وإنما رغنعتا على الركوع - تلك السيوف

والأفان - إمبراطورية السوق - معرضة لإشهار إفلاسها!.

● ومن المطلوب - أيضاً - استعادة مناخ التبريد والضيق والغيظ مما شجعت به الولايات المتحدة جبال حلفاء لها في أوروبا اعتبروا انهيار الاتحاد السوفيتي انتصاراً لهم، دون أن يتجنبوا بالغمر الكافي لنوازع الولايات المتحدة في تلك اللحظة الفارقة، ذلك أنهم وهم يحتفظون بانتصارا لهم، الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، لم يظهر عليهم (من وجهة النظر الأمريكية) إدراك لحقيقة أنهم يحتفظون بنصر لم يصنعوه، ولم يتحملوا تكليفه، بل إنهم على العكس استفادوا على الصواب - من حيث إن الولايات المتحدة - فإنهم لم يول الوقت فرص عمليات إنقاذ متوالية ابتداء من مشروع مارشال الذي استعملهم في انتشاء الحرب الباردة، وحتى ضبط أسعار بترول رخيص انتاحه لهم الولايات المتحدة من أسواق الشرق الأوسط التي استحوذت عليها، ثم إن هذا الدعم ظل متاحاً حتى أعقاب حرب أكتوبر 1973 عندما قفزت أسعار البترول - (وبعدها وقف الدكتور «فري كيسنجر» وزير خارجية الولايات المتحدة في مؤتمر باريس لتدوير فواض النفط العربي (1974) قائلا لدول أوروبا «إن مشروع مارشال قد انتهى الآن وانتهى معه بطوع الولايات المتحدة بضمان سعر بترول رخيص كان لازماً لعملية إنعاش أوروبا» - وعلى أي حال فإن هذا المزاج الأمريكي الصارم لم يطل أمد ولم يلبث سعر البترول أن تزل من طرأه العالمية ليصبح - مرة أخرى - دفرة ذروة رخيصة لأوروبا الغربية في وقت دخلت الحرب الباردة في ممر حلتها المسببة من النصف الثاني من السبعينيات وطول الثمانينيات. وكانت بداية النواحي الأمريكية إلى التسليم لدرجعة الغيظ من الحلفاء الأوروبيين، «فلنهاء» أنهم عاشوا زمن الحرب الباردة في أمان وأقرته لهم مظلة نووية أمريكية تولت حمايتهم من دون أن تكلمهم شيكاً، وهذه المظلة لم تكلم لهم أن يفسحوا، وإنما تكلم لهم أن يتفوقوا على صنع الثورة وتكديسها، وتجديد وسائل إنتاجها وتطويرها، وتحسين حالتها وأدائها، بل إنها بها وأولها التعليم، والآن هموا لا احتلوا على حساب ما أنجزته أمريكا وحدها، ثم من فوق ذلك يحاولون تقليتها لمرسا في طرائق السلوك والتصرف، ويتجسّدون بالرغبة في اعتبار أنفسهم أمثالاً لدولة - أوروبية على قدر المسارعة إلى أمريكا. وكان معظم الضيق إلى حد الغيظ

## «الناقشة الكبرى» في واشنطن

الأخيرة من استراتيجيتها هزيمة الاتحاد السوفيتي بجزرة بلغت حد الشهور بمشروع حرب النجوم، وذلك هو المشروع الذي ألق «العلمين» بعد طول مكابرة بأنه لم يعد قادراً على المضي إلى النهاية في سباق السلاح، وإن الوقت حان لمواجهة الحقيقة حتى وإن كانت في مارة العلق أو لسع النار.

وفي مارس-سبتمبر «جورج بوش» لسوليتية فرصة نادرة وجدا أمامه، فإنه وجه الدعوة إلى مجلس الأمن العام، الأمريكي لعقد سلسلة من الاجتماعات، مهمتها مواجهة موقف مستجد - طارئ - حاسم وفاسل في مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية - ومستقبل العالم. وكان بين حضور الاجتماع رجال مازالوا من أهم راسمي السياسات وصناع القرارات في واشنطن، من تلك الحلقة سنة 1989، وحتى هذه الحلقة (أبريل 1993)، وضعت: - «جيس بيكر» وهو وقتها وزير

بعد الاتفاق على ما يلزم الاتفاق عليه ويعدده على الخط واستعداته، فإن هناك لحظة تستحق التوقف أمامها لأنها - في الحقيقة - توقيت ولادة هذا الإصرار الأمريكي العائلي الذي يضرب المنطقة العربية ويودي الآن رعداً ويلمع برقاً على أفقها.

وكان هذا التوقيت بالضبط لحظة سقوط حائط برلين (9 نوفمبر 1989)، وما تداعى بعده من ضباباً أو مخاضاً، وتدفق معلومات ذات بعد جبال الجليد فوق تضاريس الحرب الباردة مرة واحدة.

كان جورج بوش، (الأب) احتفظنا - رئيساً للولايات المتحدة وقد وجد أمامه فرصة نادرة في التاريخ، وعليه أن يربط على وسواسه الشخصية ويتقدم صفوف أدارته الجمهورية، ويوقو، وأن كان اعتقاد كليرين أن «بوش» مثل تلك ستن من رتبته يتحرك في ظل سلفه «روناuld ريجان» الذي أدار المراحل





«سرعة تكفين الميت ودفنه» - أكثر من حرصهم على إغشاش قلبه واسترجاع نيفه.

ونفا فإن تلك التصورات المدروسة مقدما واحتمالاتها المتوقعة سلفا - لم يعد لها داع أو نفع، وكانت تلك أكبر المفاجآت في قائمة الحقائق الأساسية المطروحة على المناقشة الكبرى.



٢ - ثم لاحظ الجميع في واشنطن أن مستشار ألمانيا «هيلموت كول» تحرك بسرعة مستغلا فرصة سقوط حائط برلين، لي طرح مطلب «وحدة ألمانيا». ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية ظلت حتى اللحظة الأخيرة تامل أن تكون صفاومة الوحدة الألمانية آخر معركة يخوضها الاتحاد السوفيتي قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. «فإن المستشار «كول» فاجأ الكل حين عرض مبلغ ثلاثين بليون دولار على الاتحاد السوفيتي المقتس مقابل أن لا يعترض أو يعارض وحدة ألمانيا، وقد رضى «جورباتشوف» بالصفقة. وألمه أن هذه البرعة من السهولة تخلف من وجع السقوط. وبالنتيجة فإن الخوف من الضل بعد الرضى السوفيتي عاد إلى واشنطن. وطار «كول» إلى العاصمة الأمريكية التي لم يعد لديها عرض مقبول لرفض الوحدة الألمانية، وهي في صميم القلب لا تريد. مخالفة أن تكون مقدمة لبعث ألمانيا - أو تجديد مشروع الرايخ الكبير - أو ترسيخ قوة أوروبا كمنافس محتمل وقادر على عرقلة السيطرة الأمريكية الطولية والمستهدة.

على أن البسيت الأبيض اضطر للموافقة على مضي - لأنه لم تكن لديه سياسيا ذريعة مقبولة لاعتراض. وقد بقي رجاءه أن الولايات الألمانية ربما تخيف فرنسا أكثر مما تقلق أمريكا، وربما تزعم بريطانيا أكثر مما تهدد أمريكا، وذلك يولد إلى انقسام أوروبا أكثر من ترسيخ لقوتها. وإلى جانب ذلك (هكذا التقدير الأمريكي) - فإن ألمانيا الغربية سوف ترقق مواردها بآكثر مما تنصهر إلى مستوى ألمانيا الغربية، وهذه عملية استنزاف الاقتصاد وسياسي سهلة، وهي بالتأكيد كافية لإرباك ألمانيا الموحدة عشرين سنة على الأقل (وذلك صحيح إلى حد كبير).

والخلاصة هنا أن الولايات المتحدة وافقت على مضي، عارفة أن هناك - ربما - مشاكل قائمة مع ألمانيا (أو مع أوروبا) - لكن هذه المشاكل موجلة إلى مدى غير منظور.

٣ - أن هناك دواعي للخلل خفلة تتعلق بالأحوال الأمريكية ذاتها. وكلها تقفني علاجيا

وعسكري غالب - عليها عند هذا المصلح التاريخي أن تضع وتنفذ السياسات القوية بضمان استقرار اللقوة الأمريكية غالبية. ويحيث تطل إرادتها غير قابلة للتحدى ودورها غير قابل للمنافسة».



وفيما بين نقطة البداية التي سبقت، وحتى نقطة الوصول التي لحقت، وفي التطلع إلى المستقبل - وهو هذه اللحظة أفق واسع وليس مجرد نقطة على أفق - يجد المظنون بالإن القومي أنفسهم أمام وجود معتبرات أساسية طرحت ضرورتها على المناقشة الكبرى.

وكانت هذه الاعتبارات الأساسية قائمة طويلة:

١ - منذ كان الرئيس «كارتر» في البيت الأبيض سعى مستشاره «زجنينو برجيسكي» إلى تشكيل هيئة من أربعة عشر خبير يرأسهم «بول نيتزي» (ثاته) مهمتها التفتيش للسياسيات المحتملة لنهاية الاتحاد السوفيتي والاستعداد لعمليتها كليفات جيء. وكان «برجيسكي» يرى نهاية الاتحاد السوفيتي قادمة (في وقت ما من بداية القرن الحادي والعشرين).

وكانت معظم السياسيات المحتملة للنهاية تتحسب لمغامرة حرب مسلحة، أو مفاجأة انقلاب، أو مجنة فتنة أهلية - لكنه لا يسيون أن أحدا توقع أن تجيء هذه النهاية بسمكة قلبية هائلة وسلمية، مستعدة لنهاية دون محاولة إنقاذ ولو بالصدمة القويائية، سواء قام بها الحزب الشيوعي أو الجيش الأحمر، والمثير لغشمة الجميع في واشنطن أنه بدا في بعض المحطات وكان كل الأطراف في الدخال السوفيتي حريصون على

بالفوص إلى الحق في تفاصيل القضايا التي تناولتها مناقشات الرئيس وكبار مساعديه، وهي اجتماعات ولقاءات أطلق عليها فيما بعد وصف «المناقشة الكبرى» (The Great Debate). إقرارا بأهميتها عند مفترق طرق أمريكا في تحدد فيه وتنتظر سياسات أسريكي في القرن الحادي والعشرين. ولم تكن موضوعات هذه «المناقشة الكبرى» سرا، بل إن الكثير من أوراها ومدالاتها مع شهداء بعض المشاركين الكبار فيها - خرج ليرسم صورة شبه كاملة لما دار حوله البحث وترتبت النتائج.

وصففة أولية فقد كانت لهذه الاجتماعات واللقاءات - نقطة بداية سبت ونقطة وصول لحقت.

● نقطة البداية التي سبقت - هي الإقرار بأن السياسات الأمريكية لم تكن بعد نصف قرن من تنفيذ التوجيه الرئاسي رقم ٦٨ لسنة ١٩٥٠ (وهو توجيه صاغه الخير الاستراتيجي الأشهر «بول نيتزي» وقدمه إلى «دين آنتشون» وزير الخارجية الذي وضعه أمام الرئيس «هارى ترومان» مع طلب توقيعه واعتماده) - وكان نص مقدمة هذا التوجيه يقول:

«إن الهدف الاستراتيجي لسياسات الولايات المتحدة يتحدد في تدعيم الاتحاد السوفيتي، وتحقيق تلوقي عسكري أمريكي كامل عليه».

● ونقطة الوصول - التي لحقت - أن هناك الآن مشروع توجيه رئاسي جديد تولت صياغته لجنة أمام رئاسها «ريتشارد بيرل» وفيه النص:

«إن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن توصلت إلى تحقيق هدفها المطلوب بالتوجيه الرئاسي رقم ٦٨ لسنة ١٩٥٠، على استعداد أربعين سنة من الحرب الباردة، ووصلت إلى تقوى اقتصادي

الخارجية (وفيما بعد مسئول الحملة الانتخابية لبوش (الابن) وإن لم يقبل بالشاركة في إدارته).

«وبرت سكوت كروف» وهو وقتها مستشار الرئيس للأمن القومي (وقد أثر هو الآخر أن لا يشترك في إدارة بوش (الابن) دون أن يفصح عن أسيايه).

«و.ريتشارد تشيني» وهو وزير الدفاع حينئذ (والآن نائب الرئيس).

«و.دونا رامسفيلد» وهو إياها وزير دفاع سابق مع «ريجيان» (والآن وزير دفاع مرة ثانية).

«و.كولن باول» وهو رئيس أركان الحرب حينئذ (والآن وزير الخارجية).

«و.ريتشارد بيرل» وهو نائب وزير الدفاع (والآن مسئول هيئة وضع السياسات الاستراتيجية في مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض، ولقيه الشاع في الإدارة هو «أمير الظلام» (Darkness).

«و.بول وولفويتز» وهو مساعد وزير الخارجية حينئذ (والآن مساعد الدفاع).

«و.ريتشارد أرميتاج» وهو سكرتير مجلس الأمن القومي حينئذ (والآن مساعد وزير الخارجية).

«و.جيمس وولسلي» وهو مدير وكالة المخابرات المركزية حينئذ (والآن مستشار الرئيس لمخافة الأرباب).

وبغيرهم كثيرين كانوا في المواقع المؤثرة والمساسسة لإدارة «رونالد ريجان» وانتقوا منها إلى إدارة «جورج بوش» (الابن) ووصلوا أخيرا إلى إدارة «بوش» (الابن). كان الزمن لم يتغير. وكان رئاسة «بيل كلينتون» لم تلع ولم تصل لتماثل سنوات، ووصل «كارل روفر» وهو كبير مستشاري البيت الأبيض (واقوى رجل في المقر الرئاسي اليوم) - إلى حد وصف رئاسة «بيل كلينتون» بأنها كانت «فاصلا جنسيا» تخل عهدين لرئيسين اسمها «بوش» (مع ملاحظة أن ترجمة كلمة «بوش» إلى العربية هي: الخميلة أو الغاية الصغيرة).



في ذلك الوقت من رئاسة بوش (الابن) - عسقد مجلس الأمن القومي الأمريكي خمسة اجتماعات متوالية على مساحة ثلاثة شهور ما بين أواخر سنة ١٩٨٩ (والتاسعة ١٩٩٠، ثلاثة منها داخل البيت الأبيض في واشنطن، واثنان داخل المتجج الرئاسي «كامب دايفيد».

وفيما بين الاجتماعات تواصلت لقاءات «مجموعات العمل» الخاصة التي تكتف



كانت معظم السياسيات الأمريكية المحتملة لنهاية الاتحاد السوفيتي تتحسب لمغامرة حرب مسلحة، أو مفاجأة انقلاب، أو مجنة فتنة أهلية - لكنه لا يبدون أحدا توقع أن تجيء هذه النهاية بسكة قلبية هائلة وسلمية





● والثانية: إيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي، وهو يؤيد التوتر في الشرق الأوسط ومحذر الخفض لدى الشعوب العربية، وهي في قلب الشرق الأوسط (والمقصود تخفيف احتكان أعصابها).



وحتى ربيع سنة ١٩٩٠ (رئاسة «بوش» الأب) - كانت «المناقشة الكبرى» مازالت جارية في واشنطن تتجادلها الاجتهادات والتقدير، وفي ذلك الوقت ظهر في مجلس الأمن القومي راين:

١- رأى بطله «الحصان» من دعاة التحفظ (وزير الخارجية - بيكر» وستشار الأركان القومي «مكروفت» ورئيس الأركان «باول»، ومجلسه «السيادة الأمريكية المطلقة على العالم مستحيلة، والأفضل منها قبول سيادة نسبية تسمح بوجود شركاء آخرين ينضمه محبوبة، خصوصا مع الأوروبيين - وفي إطار حلف الأطلسي بعد إعادة تنظيمه بقيادة الولايات المتحدة بطريقه لتتأسس أكبر مع ضرورات ما بعد الحرب الباردة.

٢- رأى كليلته «الصفور» دعاة الاندفاع، ومنظمهم «الولايات المتحدة لم تتحمل - وحدها - بمسؤوليات الحرب الباردة وأعبائها، لكي تقلل الآن شراكة تزامنها على جوائز النصر، خصوصا مع أوروبا التي غايت الاتحاد السوفيتي (كما فعلت فرنسا على عهد «ديجول» وخلفائه) - وأحاول استرضاءه (كما فعلت ألمانيا سياسة التوجه شرقا كما حدث أيام المستشار «بيلي برانت» ومن حدوا حذوه في «هيلموت كول».

٣- ثم إن الموقع الأكثر سخونة في العالم الجديد وهو الشرق الأوسط مفتوح بالكامل أمام الولايات المتحدة، «بما في ذلك أن كافة الأطراف فيه يطلبونها بالتخصيص ولا يعاوبون بغيرها (باعتبار أن العرب يأملون في ضغط أمريكي على إسرائيل في حل القضية بل وبيرفضون الاعتراف لها بدور مؤثر) ثم إن التوتر الأمريكي في الخليج يأسره طارد لغيره - كما أن النفط وهو عمادها مستقيل موجود فعلا في حوزة شركات أمريكية عاملة في المنطقة، والشاهد أن الدول المؤثرة في الإقليم، وأهمها مصر وتربيا (وبالطبع إسرائيل) - تتسابق فيما بينها على الحظوة في واشنطن ولا تطلب غير الرضا والقبول».

الإسرائيلي وتعتيقدهاته - ويسبب الثورة الإسلامية في إيران وسخوتها - ويسبب تدرى الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة العربية - ويسبب الوهن الذي لحق بالدول المؤثرة في هذه المنطقة بتقليصها.

وكانت الولايات المتحدة في مرحلة السبعينيات والثمانينيات - على استعداد للسكوت، لكن المسألة باتت أكثر تعقيدا، لأن استهلاك البترول يتزايد (دون بديل)، ولأن الاستمرار في اضطراب الأسعار يربك الدول الصناعية (ويستنزف الفوائض والعوائد).

وعليه فإنه لا سفر من أن تكون منطقة الشرق الأوسط - وليس غيرها - مجال الاختيار الأمريكي الحاسم، مع ملاحظة أن أوروبا مناض على البترول باعتبارها قارة تتشكل من جديد على أساس سوق مشتركة، ثم إن آسيا مستهلك قادم بطالب زيادة نصيبه من الطاقة، فهناك كتل بشرية هائلة تستعد لدخول سوق النفط بشهية متزايدة مثل الصين والهند.

وعلى هذا الأساس كانت الولايات المتحدة تدرك أن الشرق الأوسط يحتاج إلى عمليتين متوازيتين:

● الأولى: تسكين الأطراف المتحاربة للبترول كل منها في مربع لا تتجاوز، وذلك يتطلب:

- تثبيت الأوضاع في السعودية ودول الخليج.

- وترويض الجيوش الإسلامي في إيران.

- والتعامل مع عراق خرج من حربه مع إيران مرهقا يطلب تعويضا عن حرب استنزفته لعانى سنوات لوقف المد الإسلامي الصادر عن إيران، وحجز تأثيراته، خصوصا مع منطقة الخليج.

- وكانت الولايات المتحدة منذ صدمة ارتقاء أسعار البترول سنة ١٩٧٣ - ١٩٧٤، تنسحب إلى بديل آخر (كالتطاقة النووية وحرارة الشمس، وقوة الريح، وتدفق الموج)، لكن هذه البديل لم تصنع مخزناها المتوقعة، رغم ما تدفق عليها من استثمارات.

- ولأن فإن الولايات المتحدة عليها واجب الاحتفاظ بما لديها من احتياطات النفط، مقابل الاعتماد على استهلاكها على ما تستورده عبر المحيطات، ومؤدى ذلك أنها سوف تستورد في ٢٠١٠ ١٤ مليون برميل من النفط، وذلك عبء اقتصادي وأمني وسياسي ثقل.

لكن الولايات المتحدة ليس أمامها غير أن تتحمل هذا العبء الثقيل، لأنه مسألة «حياة أو موت» - مع مواصلة البحث عن اختراق علمي يتوصل إلى مصدر آخر للطاقة - أو مصادر - لا تنفذ. ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة التي اعتمدت على «سباق السلاح» - وعلى التقدم التكنولوجي، في الحرب الباردة، لم يبق أمامها الآن - وحتى تكسب معركة السيادة على العالم - إلا أن تدخل في سباق من أجل السيطرة على النفط مهما تكن الوسائل!

- ومن الواضح إلى درجة اليقين أن الشرق الأوسط بقي مصدر أكبر إمدادات النفط، وأكبر ممكن للاحتياطات المحققة منه. فهذه المنطقة وفيها السعودية والعراق وإيران وإسارات الخليج - ويقرب منها شطآن بحر قزوين - مخزن أكثر من سبعين في المائة من النفط الموجود بيقين تحت سطح الأرض. والمشكلة العويصة أن هذه المنطقة هي ذات المنطقة أكثر بقاء العالم تازما وتوترا: بسبب الصراع العربي

يحتاج إلى جهود مركزة، فإوضاع الولايات المتحدة هذه الحلقة خطيرة في مجالات عديدة:

- فهي مرهقة اقتصاديا بقسوة، حتى أنها الآن أكبر مدین في العالم. - وهي محروجة على الأقل نفسها - من تأثير هزيمة فيتنام التي لم تشف بعد جراحها.

- وهي مشوبة في صورتها العالية من كسرة الصدمات التي وجهت إلى سياساتها في العالم الثالث وفي أوروبا أيضا:

- وأخيرا فهي مكشوفة في هيبتها، وبخسها من صورة عمدة من رؤسائها، خصوصا بعد فضيحة «وترجيت»، وقد ترتب عليها عزل رئيس أمريكي لأول مرة في القرن العشرين (رينالد نيكسون).

- ولعنى أن الولايات المتحدة هذه الحلقة كانت أشد ما تكون في حاجة إلى عملية ترميم شامل للقوة، لأن قيادة العالم نحو عصر من السلام الأمريكي Pax Americana مهمة يصعب تحقيقها بالسلاح وحده، أو بمسابق فضائي أو نووي ضد طرف مناض - أو بكل ما تقرر عليه فنون الإعلان مهما بلغت مهارتها - أو ببرامج للمساعدة تماثل مشروعات «سارال» التي واشترت في الولايات المتحدة صدارتها لحلف الأطلسي. كما فعلت بعد الحرب العالمية

الثانية - والسبب حسابي، بحث، ففي تجربة مسنروع «سارال» - كانت المساعدات القدرية لأوروبا الغربية حتى تستأنف تشغيل طاقاتها - مساعدات محدودة أو محددة، وهي في مقدر أمريكا التي خرجت من الحرب العالمية الثانية بأكبر مخزون ذهب في العالم - وأما أن حرب جميع الدول كله ينظر مكافآت الحرب الباردة، وأمريكا لا تستعبد الولاء بها. ولخطر من ذلك فإن طالب المساعدة - خصوصا في العالم الثالث - لم ينشأوا بعد طاقاتهم القادرة على «تنمية ولاية للتنمية»، ومن ثم فإن حاجتهم إلى المساعدات ضئيلة واجبة معد، وكل ذلك غير مطروح لأنه غير متاح في هذا الوقت!

٤ - إن هناك شبح خطر يلوح على الأفق وهو خطر نفاد مصادر الطاقة المتوفرة للعالم هذه الحلقة، وبواعي هذا الخطر متعددة:

- أبرزها أن البترول لا يزال عماد الطاقة المحركة في أمريكا وفي العالم. - والبترول مورد يستنفد طبيعيا يتزايد استهلاكه سنة بعد سنة، خصوصا في الولايات المتحدة، وهو بلد وقع في «غرام الكهربية والسيارة وال طائرة»، وكلها «بالوعات شسرة للنفط».

## من الواضح إلى درجة اليقين أن الشرق الأوسط بقي مصدر أكبر إمدادات النفط، وأكبر ممكن للاحتياطات المحققة منه، فهذه المنطقة وفيها السعودية والعراق وإيران وإمارات الخليج، وبالقرب منها شطآن بحر قزوين، مخزن أكثر من سبعين في المائة من النفط الموجود بيقين تحت سطح الأرض





لرئيس "برنت سكوكروفت". فيما إذا كان الأولف تكليف السفارة الأمريكية في بغداد "أبريل جلاسبي" يطلب مقابلة عاجلة مع الرئيس العراقي، حتى تلتفت نظره بتحذير مكرر إلى التزام أمريكي بحماية الكويت لكي يراجع حساباته، لكن "سكوكروفت" عاود الاتصال برئيس الأركان بيلغه بما استقر عليه الرأي بين مستشاري الرئيس وهو أن أي تحذير سيكون للعراقيين - لا داعي له، وأن القرار هو الانتظار - حتى ترى ما سوف يفعلون ثم تتصرف بما تجده مناسباً..

ومن الغريب أن "أبريل جلاسبي" - ذات النخبة - كانت تنقل إلى الرئيس "صدام حسين" رسالة مريكة لها (إذا جرى الاستعداد نظرية المؤامرة) أن تعمس حالة اللاراء التي كانت سائدة في الإدارة الأمريكية إزاء مشهد سقوط الاتحاد السوفيتي، وبإطراف التي جرى بها ذلك السقوط وتداعياته، وأولها كيف يمكن للإمبراطورية الأمريكية أن تستغله لحسابها؟



● ومن الناحية الثانية فإن العراق بذاته وصفاته لم يكن بعيداً تلك اللحظة عن أفكار مستشاري الرئيس "بوش" (الأب) وتصوراتهم لشكل المستقبل في القرن الحادي والعشرين. والواقع أن العراق بذاته وصفاته كان متداخلاً بشدة في مسار مناقشات مجلس الأمن القومي واجتماعاته الخمسة (الأخيرة سنة ١٩٨٩ وأوائل سنة ١٩٩٠) - بل وكان حاضراً قبل ذلك في مناقشات لجنة الأربعمائة خبير التي درست احتمالات سقوط الاتحاد السوفيتي وحاولت أن تقصص لعوالب هذا السقوط.

وبالتحديد فإن العراق كان دافلاً في عديد من الاعتبارات التي طرحتها المناقشات. - كان بالطبع دافلاً في قضية النفط وضرورة السيطرة الكاملة على منابعه وتناحجه (فالعراق وحده يملك ١١٣ بليون برميل من البترول المؤكد، أي ١/١٠ من الاحتياطي العالمي، ولديه فيما هو مرصود ١٠ حلال من سكر منها غير ١٥ - مما جعل وزارة الطاقة في الولايات المتحدة تترفع حجم الإطعامات العراقية - على تقديرها المبررة - إلى ٢٢٠ بليون برميل أي أكثر من ضعف ما هو محسوب عالمياً أو مرصود.

- وكان العراق طرفاً نشيطاً في ظاهرة الخضب

روايتها أقاله "أنها كانت تقدر مكرراً أن هناك في الغرب خصوصاً "اصدقنا عير الماشي في باريس" - (تقصص الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران" - إياهم) - سوف يدعون الحكمة، ويلتويون الانتظار، تأسين درس "هتكر" و"موسوليني" في أوروبا (قبل الحرب العالمية الثانية) - لكي يستأنفوا إيمانهم بسياسة التجهذ، وأما هي فلم تكن - ولا تزال - من الراضين لهذه السياسة إزاء العدوان، واعتقادها أن السكوت مرة معناه السكوت كل مرة وإلى آخر الحصار، لأن شهية الغزو تنفتح أكثر حين يهضم ما أكل - ويعود مطالباً بالمزيد..

.....  
والواقع - كما أظهرت الوثائق والشهادات الحية لاحقاً - أن "مارجريت ثاتشر" كانت مسابقة - (أو على الأقل متفائلة) في حجم الدور التي لعبته في تشجيع "جورج بوش" (الأب) على التصدي بالوقت واختلال الكويت.

والحاصل أنه بصرف النظر عن كل الخطوط الحمراء التي اجتازها العراق فجر أول أغسطس ١٩٩٠، حين اقتحم الأرض المحظورة فواقع النفط في الخليج - أن "جورج بوش" لم يكن شجاعاً بالداخل العربي، إلى الكويت، بل لعل العراق بذاته وصفاته - لم يكن تلك اللحظة بعيداً عن أفكار مستشاري البيت الأبيض ولا عن تصوراتهم لشكل المستقبل في القرن الحادي والعشرين، الذي كان قرناً لابد له في تقديرهم - وبإي ثمن - يظل قرناً أمريكياً تنفرد فيه أمريكا بالسيطرة على العالم - لأول مرة - دون شك.



● ومن ناحية أن البيت الأبيض لم يفتأ - ضمن المؤكد أن الزن إلى الأجهزة الأمريكية المعنية - وضعها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والمخابرات العسكرية، ومكتب استطلاع المخابرات المركزية التي يقودها الجنرال "توماس شافرنز كوف" - كانت تتابع تحركات القوات العراقية، وترصد تقدم فرق الحرس الجمهوري لاختراق أوضاع هجومية حول منطقة البصرة، وكانت تلك الصورة كافية لتظهر بجلالة أن هناك نية، وأن هذه النية على وشك أن تتحول إلى خطة لاحتلال الكويت.

والتصل رئيس الأركان "كولين باول" بالبيت الأبيض يوم ٢٥ يوليو ١٩٩٠ - يتشاور مع مستشار الأمن القومي

منطقة الشرق الأوسط، وسط أجواء شديدة القوران (يحد انتهاء الحرب الباردة، واختفاء العدو السوفيتي التقليدي الذي تصدى أربعين سنة وأكثر) - كل ذلك مع تصورات أطراف خطر لها أن أمامها قرصاً مقاحاً لكسب أرض جديدة ومواقع أكثر تقدماً.

وفي هذه اللحظة والتحديد وقع خطا الحسابات في بغداد، فجر يوم أول أغسطس سنة ١٩٩٠ حين قررت القيادة العراقية ضم الكويت. ليصبح المحافظة التاسعة عشرة للعراق، ولم يكن القرار في حقيقته مجرد قيام بلد عربي باحتياج حدود بلد عربي آخر (مهما كانت الذرائع)، وإنما كان جوهر الحقيقة أن خطا أحمر وقع تجاوزوه، وفي ماغ لا يسمح لأطراف المتناحزين، وفي ساعة مفتوحة لكل الاحتمالات: ■

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٩٠

## “ ٤ ”

### ذلك الخط على الرمل سنة ١٩٩٠

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٩٠

الطائرة، وكذلك سارعت إلى التوجه به تقول له (وفق روايتها) ما يكاد يصعب أن يكون:

“جورج - لا تأجل جيكتك إلى هنا مهما تصححت مستشاروك، فلا يبعد أن يظن الرأي العام العالي أن «طاغية شرقية» أرغم رئيس الولايات المتحدة على التزام مكتبة وتاجيل ارتباطاته، عليه أن تضع الأمور في حجمها المناسب لها، فخذ أن ما جرى في الشرق الأوسط موضوع لابد لنا أن نبهله سوياً، وقد كنت على استعداد أن أثير إلى واشنطن للناك، لكن عدلت لنفس السبب، وهو أن لا يظن أحد أنه أرغمنا جميعاً على تغيير جدول أعمالنا.

وتستمر - «مارجريت ثاتشر» «أن جورج جاء إلى آسن، وجلسنا معاً وأحسست أنه «مخضوض» وأن ركيه «سلبية» Wobly، وبعد ساعة ونصف الساعة تمالك «جورج» نفسه وأكد لي أنه سوف يضرب بكل قوته» - وأكدت له أننا معه» - ونستنظر. - «مارجريت ثاتشر» في

وإن (كذلك رأي الصقور) - فإن الولايات المتحدة ليس لها الحق إذا تردت، وليس لها العذر إذا تطلت.



وكانت المناقشات في مجلس الأمن القومي لاتزال محتدمة - بينما مختلف الأجهزة الأمريكية السياسية والأمنية في المنطة - بضرورات الاستمرار في الإدارة - تمارس مهامها على مسؤوليتها حتى يبلغها قرار نهائي.

وطالت المناقشات بين الصمام والصقور، وطال الجدل بين التحفظ والإنذاف، وحدث في المنطقة حالة ارتباك شديدة بين سياسات تنتظر قرارات من واشنطن - وبين أجهزة سياسية وأمنية تتحرك وفق اجتهداتها على الأرض في

■ ■ ■ [استمعت رئيسة الوزارة البريطانية، «مارجريت ثاتشر» أكثر من مرة تحكي عن دورها الحاسم في تشجيع الرئيس الأمريكي «جورج بوش» (الأب) على الوقوف بحزم في وجهه الغزو العراقي للكويت، وكيف أن ضغطه عليه بشدة وصل - إلى درجة التناوب - عندما تلاحظت تردده (كذلك قالت) - حتى يرسم خطة المشهور على الرمل قلائد: «إن ذلك لا يمكن قبوله» (يلهمد غزو الكويت). وفي رواية «مارجريت ثاتشر» أنها كانت يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ على موعد للقاء «جورج بوش» في إطار مؤتمر «سلفق (أمريكي - بريطاني) يشق الاستراتيجية-بريتان وريت الخلفه بين البلدين، وكان المقرر عقد هذا المؤتمر في منتجع «آسن» على سفوح مرتفعات كولود، وعندما غيرت «مارجريت ثاتشر» نياها للغزو العراقي للكويت ساورها الكفن بأن «جورج بوش، ربما يقرر البقاء في واشنطن تتابعه الأزمة بعد الواحد والحسمون، أبريل ٢٠٠٣.



وساندته فيما قبل واكد - وقائع ووثائق صحفية - الوضع انه توسل على إقناع القيادة العراقية يوم ٨ أغسطس - بعد ان لجأت البواب والنثر - بانها إذا لم تنسحب من الكويت فسوف تواجه ما لا طاقه لها به، وكان شرط العراق في طلب الأمان - صدور تعهد أمريكي بأن الولايات المتحدة لن تطارده الجيش العراقي في وطنه - إذا عاد وراء حدوده وترك الكويت.

لكن البيت الأبيض مارس كل نفوذه لقطع الطرق ومنع أي مخرج عليها، وكان مؤتمر القمة العربي في القاهرة يوم ١٠ أغسطس، وأجواؤه وملازماته بمثابة عملية إغراق الصدف حول العراق بالفتاح وبالنتراس!

● وكان المحور الثالث تكليف الحشود حول العراق، وكذا راحات الفرق المدرعة وحاملات الطائرات وأقواد المواصلات الأمريكية - تنسحب إلى اتخاذ مواقفها في الأقواد والعمليات العسكرية ابتداءً من يوم ٦ أغسطس، أي من قبل انقطاع القمة العربية، وكان شكل الحشود قاطعا أنها الحرب ليس فقط لتحرير الكويت، ولكن - بالدرجة الأولى - لتدمير القوة العراقية والسيطرة على مقدرات ذلك البلد، وفي أواخر سنة ١٩٩٠ كانت الحشود العسكرية الأمريكية الأمريكية (ومعها تشكيلات متحالفة من كل مكان) تحكم محسارها حول العراق بطوق حديد.

● وكان الملك «حسين» لا يزال يبذل مساعي يعرف أكثر من غيره أنها يائسة، وجرى بينه وبين السيدة «مارجريت ثاتشر» رئيسة الوزراء البريطانية لقاء عاصف في مقر رئاسة الوزارة في لندن، فجلس قبل ذلك أمام المراقب الجديدة، يقول لها بعد المحادثات «لماذا يريد أن يشرع لك التسلح التي يعين أن تترتب على غزو العراق وتدميره» - وإذا «مارجريت ثاتشر» تهبط في وجه صاخة:

«اسمع - أريدك أن توفر على نفسك حججك السياسية والفانونية، وتعرف أنك تضع رهاقتك على الطرف الخاص، لم صاحت فيه «لأن ترأه على الخاص» - وكانت «You are backing a loser» عيناها تمرقان بالغضب، وأحس ملك الأردن أنه أمين، وقال باب محاولاً ضبط غضبه «سديتي، لا أيقن لك أن تتحدثي إلى يهذه الهبة».

● ولقد الملك بعد لندن إلى الولايات المتحدة يلتقي الرئيس «جورج بوش» (الاب) في ضيافته «كينسينجتون» بولاية «ماين»، وقال له وهما يشيان في شاطئ البحر «لماذا يرضي من اندلاع نار دمرة في المنطقة»، ورد عليه «بوش» (الاب) بقوله «إنه يعرف أن المال سوف

فهي أول قضية البترول مباشرة. وهي لنا قضية خلق في الحسابات وقع في المكان الخطأ والمخاض الخطأ والزمان الخطأ.

بمعنى أن الولايات المتحدة كانت تفكر في أمر العراق بالتحديد ثم إنها جاءت حوله وقابلت فرصتها عندما ظهر العراق أمامها على الناحية الأخرى من خط الرمل وليس معه غير كتل من الجماهير المحيطة باخضة في التيه عن علم، ناطرة إلى الهجوم على امل - وكانت إدارة «جورج بوش» (الاب) مصممة أن لا يفلت منها طرف الخط الذي أمسكت به، وهنا فإن جهدها تحرك على عدة محاور:

● المحور الأول - الاستفادة من صدمة غالبية العرب - على المستوى الرسمي والشعبي - بمفاجأة غزو الكويت، وهنا فإنها بالبرت إلى استغلال هذا الشعور لتثبث أرضية عربية تؤسس لمشروعية ضرب العراق. وكان المطلوب هو الإسراع بتجهيز هذه الأرضية قبل أن يتبدد اثر الصدمة، أو يراجع العراق تصرفه عندما يرى الغنى، أو يتعفن من تحويل الأغلبية التي تعارض تصرفه إلى أغلبية تستك عليه بأمل أن تستعمل القدرة العراقية المتخلفة من دور قاع في الصراع مع إسرائيل.

● وكان المحور الثاني التاكيد - دخل العراق إلى الصندوق - أنه لن يخرج منه، وهنا فإن الضغط الأمريكي كان صارما للحيلولة دون حل عربي لزمة غزو الكويت. وهنا جاءت - للإنصاف - محاولة ملك الأردن «حسين» (مع التسليم بأنه فيما سعى به كان يحاول الحفاظ على وحدة الأردن وعلى عرشه، وعلى مستقبل أسرته وربما فرصها في عرش الهاشمي في العراق ذات يوم). وكان «الملك «حسين» (كذلك قال لي واكد -

من التفسير كل إشارة إلى أن أكثر من ٢٥ شركة أمريكية عملاقة تولت توريد معظم هذه الأنواع من أسلحة الدمار الشامل إلى العراق أثناء حربها ضد إيران».

● وكان العراق بعد ذلك داخل في قضية البلق الإسرائيلي من درجة المعرفة العربية، بإسراع صنع وإنتاج أسلحة الدمار الشامل (أكثر من الانضمام بما هو موجود فعلا من هذه الأسلحة) - لأن هاجس إسرائيل الدائم كان إقصاء كل طرف عربي عن «علوم وتكنولوجيا» إنتاج الأسلحة المتطورة.

واما اجتماعات مجلس الأمن القومي برئاسة «جورج بوش» (الاب) - كان هناك سبل من تحذيرات إسرائيلية تبدي اللق مما يجري في مصانع العراق ومعامله، وتلح على ضرورة اتخاذ إجراء عاجل، باعتباره «خطرا محتملا في المستقبل، حتى وإن لم يكن هذه اللحظة الدقيقة «خطرا متيقنا».



وطوال الفترة ما بين دخول العراق إلى الكويت أو أغسطس ١٩٩٠، وحتى خروجه منها في فبراير سنة ١٩٩١، كان «جورج بوش» وأركان إدارته يشعرون أنهم على أول الطريق المؤدي بهم إلى تأكيد أن القرن الحادي والعشرين سوف يكون - قرن أمريكا!

ولكن التسوية الإمبراطورية الجديدة - استعداء القرن الأمريكي الجديد (الحادي والعشرين) - فريدة من نوعها، فقد قابلت فرصتها، وساعدتها الفرصة وانتها - ومع الفرصة قضية.

الإقليمي، فقد خرج من حرب طالت ثمان سنوات مع إيران، متصورا أن الغرب الذي ناصره في التصدي لمسد القوى الإسلامية في إيران (رغم أن هذا الغرب نفسه قاوم الاتحاد السوفيتي لصالح الجهاد الإسلامي في أفغانستان) - توقف عن مساعدته، ثم إن الدول العربية - خصوصا دول الخليج - وهي أول وأشدّ محرضيه على التصدي لإيران، تركته بعد أن رمق طاقاته وانصرفت تركّز على مصاصها.

● وكان العراق داخل في قضية امن إسرائيل، لأنه بسبب عدم وجود حدود بينه وبين إسرائيل - لم يلزم نفسه باتفاقية هدنة، ولم يدخل في مفاوضات سلام، بل على العكس فإنه اتخذ أكثر المواقف تشددا إزاء أي محاولة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، وفوق ذلك فإن ضيق العراق كان محسوسا على سوريا، لأنها من الحلق بمصر إلى عقد اتفاقية صلح مع الدولة اليهودية.

● وكان العراق - أولا وأخيرا - طرفا رئيسيا في قضية تكس السلاح في منطقة الشرق الأوسط، لأن الولايات المتحدة اعتبرت أن القوة الإسلامية في إيران التي أطاحت بنظام الشاه - وهو قريب الصفاء إلى أمريكا وإسرائيل - ضربة قاسية له، ومن لم فإنها لم تنخر جهدا في تسهيل انسحاب العراق حتى يستعيد صعد لل إسلامي الإيراني، ومعاقبة ثورة «الخميني» وجموحها الجارف.

● والحاصل أن الاستراتيجية الأمريكية سمعت إلى ضرب إيران بالعراق، والعراق بإيران، وضربا استهلاك قوة يلدن لا يمكن الاضطلاع اليهها معا على المدى الطويل، وكانت تلك السياسة هي التي سبغت فيما بعد سياسة «الاحتواء المزدوج» وقد عبر عنها «هنري كيسنجر» بقوله: «هذه أول حرب في التاريخ اتعتنى أن لا يخرج بعدها منتصر، وإنما يخرج طرفاها واثلا ومهزوم».

أي أن سياسة الولايات المتحدة في تلك الحرب كانت زيادة تاجيع النار وتزويدها بوقود جديد كلما هذا الحريق

● والغريب أن كثيرين لم يلتفتوا بالقرن الثاني إلى الداعي الذي دفع الإدارة الأمريكية في عهد «بوش» (الاب) (٨ نوفمبر ٢٠٠٢) إلى خفض تقرير العراق المقدم للمجلس الأمن المتحدة عما بقي لديه من أسلحة الدمار الشامل، وكان السبب هو أن الإدارة الأمريكية أرادت أن تحذف

## طوال الفترة ما بين دخول

العراق إلى الكويت أول أغسطس ١٩٩٠،

وحتى خروجه منها في فبراير سنة ١٩٩١،

كان «جورج بوش» وأركان إدارته يشعرون أنهم

على أول الطريق المؤدي بهم إلى تأكيد

أن القرن الحادي والعشرين سوف

يكون - قرن أمريكا!





بمحبة أن عملاء عراقيين حاولوا اغتيال الرئيس السابق «جورج بوش» (الأب) أثناء زيارته قام بها إلى الكويت، وتلقى في آخرها هدية توافر على زوجته (صباح).

ثم تكررت ضربات الصواريخ، وأخرها ضربة «خلع الصعداء»، التي استمرت عدة أسابيع، وهدفتها إعادة تعطيل ما أصحبه الشعب العراقي من مرافقه التي دمرتها عاصفة الصعداء، حتى يدرك أنه غير قادر على ترميم حياته في ظل النظام الذي يحكمه (وكان ضمن ما استهدفه القصف الكبير من مرافق الحياة، محطات المياه والمجاري، ومحطات الكهرباء، والمصانع، ومولدات الطاقة وغيرها).

وبالتوازي مع ذلك جرى الضغط على مفتشي الأمم المتحدة، (وخصوصهم في ذلك الوقت «ريتشارد بلندر»، يعاونهم مساعدته الأول «سكوت ريتزر» (الذي اعترف فيما بعد أنه كان يسبق كل تصرفاته مع إسرائيل، وأنه في فترة عمله زارها سراً ثلاثين وعشرين مرة) لكي يحاولوا إدورهم من مهمة تفشيش - إلى حقيقة تفشيش.

وبالتوازي مع ذلك أيضاً جرى تشجيع المعارضة السياسية للنظام العراقي، وكان معظم التشجيع في المجال الجديد، لكنه بعد التأخذ بسياسة تطويق البحر العربي في جنوب العراق، وشماله (وقد فرسته واشتغل خارج إطار الأمم المتحدة)، جرى إنشاء مناطق آمنة بالذات في الشمال الكروي، وأعطى فإن المجال أصبح مفتوحاً لاجتماعات مقاومة متعددة الهويات والأعلام والوسائل.

ولفوق ذلك كله راح الإعلام الأمريكي يشدد كل يوم فمهم على الجبهات الحسنة للنظام في بغداد:



كان الصندوق المخلوق الذي وضع فيه العراق - يزداد إحكاماً كل يوم دون السماح بخفلة تتدرب منها أنفاس هواة، تسمح بحياة ضحية أو نصف ضحية.

ومع ذلك فإن تلك المجموعة التي توافرت في دراسة الشؤون إلى المحلة للإمبراطورية الأمريكية في القرن الماضي والعشرين، والتي تخطت تحت لافضة «ضغوطات قون أمريكي جديد» - لم تكن عاطلة عن العمل، رغم أنها لم تعد مؤثرة على القرار السياسي من البيت الأبيض، فهذه المجموعة كانت



الجيش العراقي وسلاحه، لكن النظام تمكن من البقاء، كما أنه على وجه القطع ظل يسيطر على قوة عسكرية لها شأن، السابق وربع سلاحها!



ولم تكن هذه النتائج مرضية من وجهة النظر الأمريكية، لكن معظم العالم أصبح يعتقد أن العراق دفع ما فيه الكفاية كغرامة عن خطأ الحساسيات، ومع ذلك فإن الرئيس الأمريكي «جورج بوش» (الأب) - كان له اعتقاد مختلف - أعيدته إدارته، باعتبار أن الأسباب التي استهدفت العراق أكبر من الكويت وأولى المنطقة العربية، وأهم من بقية العالم. وعندما سقط «جورج بوش» (الأب) في محاولته للحصول على مدة رئاسة ثانية، وأفسح مكانه في البيت الأبيض لرجل غيره هو «بيل كلينتون»، فإن هذا الرئيس الجديد لم يكن في فكره تغيير السياسة الأمريكية، وإنما كان في مزاجه تغيير الأسلوب، وقد اختار أسلوباً آخر لتحقيقه.

وكانت إدارة «كلينتون» على طول أماني سنوات تضع العراق تحت نظرها، وتضيق عليه خلوته بعد خطوة معتمدة على سياسة الصندوق المخلوق، أي استمرار حصاره اقتصادياً وسياسياً ودعائياً، نخل بذلك أن الخفق - حتى وإن كان بطيئاً، أشد قسوة من القتل الذي يجيء سريعاً - وزيادة عليه فإنها كانت بين الحين والحين توجه إليه ضربة صاروخية تذكر «بناصير الحتم». وفي أيام رئاسته الأولى وجه بيل كلينتون - إلى العراق ضربة صاروخية.

### عندما سقط «جورج بوش» (الأب)

في محاولته للحصول على مدة رئاسة ثانية،

وأفسح مكانه في البيت الأبيض لرجل غيره هو

«بيل كلينتون»، فإن هذا الرئيس الجديد لم يكن

في فكره تغيير السياسات الأمريكية، وإنما كان

في مزاجه تغيير الأسلوب، وقد اختار

أسلوباً آخر لتحقيقه



العربية (وهم أطراف تحالف فيها) يظهرون قلقهم من الاستمرار أكثر من ذلك في مواصلة المذبحة. وتشاور الرئيس «جورج بوش» (الأب) مع كبار مستشاريه وبينهم هيئة الأركان المشتركة، وكان رأيهم - وفيهم «كولين باول» - أن الحرب حلفت أمدافها. لأن الضربة الجوية دمرت فعلاً معظم السلاح العراقي، وأما بالنسبة للنظام في بغداد، فإن ثورة محققة (شيوعية في الجنوب - كردية في الشمال) سوف تنكث ببقية الملوك، وفي أرجح الاحتمالات فإن الجيش العراقي سوف يقوم بالتآلب على قيادة ورطته في حرب غير متكافئة، وحينئذ تقوم في بغداد حكومة جديدة ترضى بالشروط السياسية للمتصور (بعد قبول النظام الحالي بالتشروط العسكرية اللازمة لوقف إطلاق النار) - لم إنه إن يكون في وسع هذه الحكومة العراقية الجديدة أن تغفل شيئاً، سوى أن تفتح الأبواب لفتح جديد مع الولايات المتحدة، وحينئذ يتحقق تغيير النظام، ويغده استعلاء امريكي إلى قلب بغداد.

● والمصور السابغ أن آلة الإعدام الأمريكية الضخمة - وكذلك أجهزة العمل السري راحت تعرض الجنوب الشرقي والشمال الكروي على الثورة، وبنا عدة أسابيع أن النظام في بغداد معزول، لكنه في نفس تلك اللحظة وقعت معجزة لم تكن في حשב أبعد، ذلك أن الجيش العراقي الذي رأى وحدة اللون العراقي توشك على الانقراض قبل أن يتحسّق سقوط النظام - بذل جهداً حارقاً للعادة في مقاومة الثورة جنوباً وشمالاً، وتمكن من السيطرة على الوضع.

وفي طرف شهبور طيلة، بأن أن الحرب لم تحقق كامل أهدافها، فقد وقع تدمير الاقتصاد العراقي، واستنفاذ قوة

تدفع، لكنه حريص على الملك لا يريد له أن يجرّق أصابعه بلبها.

● وكان الحضور الرابع هو تشكيل تحالف عالمي واسع لشن الحرب على العراق، وهنا أصدر مجلس الأمن مجموعة قرارات لفت الصندوق العراقي بسلام من الفولاذ حتى لا يدخل إليه ولا يخرج منه شيء، وكان الطوق اقتصادياً وسياسياً ودعائياً يصحكه لم يسبق لها مثيل، وعندما توفقت كل أنابيب ضخ البترول العراقي عبر تركيا وسوريا والسعودية، فقد بدأ أن العراق - داخل الصندوق الفولاذي - يتعرض لعملية خلق تهديد لضربة القاضية عندما يجيء دور السلاح.

وكانت الولايات المتحدة قاسية مع الجميع، خصوصاً هؤلاء الذين بان ترددهم من الأطراف الدوليين، وأولهم فرنسا (واضطر الرئيس «ميتران» إلى تغيير موقفه الذي مال إلى الاعتدال ولو قليلاً: لأن ممثلي الشركات الفرنسية الكبرى ذهبوا إلى ماكين أن سياسة فرنسا سوف ترحم شركتها من أكبر العولم في التاريخ، وهي عقود الامتيازات في بترول العراق وقطع والمقاومة لإعانة على التدمير - وكذلك شركات القوات الفرنسية في الحشد العسكري الكبير المبحر بالعراق.

● وكان الحضور الخامس هو شن الحرب فعلاً ابتداءً بتفجير جوي تواصل أكثر من أربعين يوماً، ولم تكن القيادة العراقية تتصور إمكانية الحرب الكارثية عندما يطلق لها العنان، وكان ظننا أنها سوف تستطيع ممارسة مقاومة مؤثرة اعتماداً على ما لديها من إمكانيات، وحدث في «فترة الربيع» قبل أن تفتح الخنادق فصولها تهاشاً - أن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق «إدوارد هيث» قصد إلى بغداد وقابل الرئيس «صدام حسين» وقال له ضمن ما قال «انتم لا تعرفون حجم الأسلحة الأمريكية التي تستطيع الولايات المتحدة أن تستعملها ضدكم، وكان الرد الذي سمعته «أن الولايات المتحدة تعرف حجم الأسلحة التي يستطيع العراق أن يقاوم بها».

لكن الحرب عندما جاءت انظهرت أنه ربما كان ما تملكه دول في العالم الثالث (حتى وإن حصلت على معظمه من شركات أمريكية أو أوروبية) - مصوب كله في إطار لا يتجاوز، وأن ترسانات القوّة العظمى (التي تصيد البوابات المتحدة) - تحتوي على ما هو قادر عليه! ● وكان الحضور السادس أنه عندما انكسرت مقاومة العراق، وبان أن الحرب البرية بعد الضربة الجوية مجزرة شنيعة - راح بعض ملوك ورؤساء الدول

# هذا العصر الأمريكي



عصاها - بيما الإدارة والبيت الأبيض في حوزة الديمقراطيين - الآن.

وفي الواقع الحلي فإن تلك المجموعة أصبحت بالفعل وبالقول أداء ضغط (لوس) تقصر عن الإدارة القائمة (الديمقراطية) إيقاعاً أسرع مما ترغب فيه هذه الإدارة (الفاستراتيجية) في العودة

متفق عليها والأساليب وحدها تقبل الاختلاف - لكن مجموعة الضغط الجمهوري لا تتوانى في تشديد ضغطها - لأنها تخشى من مستجدات تطرأ على

الساحة الدولية نشوش أو تعطل. وبشكل محدد فإن القوى المؤثرة في الولايات المتحدة - في البيت الأبيض أو

خارج - ديمقاريين وجمهوريين على السواء - ظلت متفكة على مشروع جدول أعمال.

إمبراطورية أمريكية وانتهى الظروف وواجبها المقدس - والصال كذلك - أن يربط ما يسبقها من إمبراطوريات، وأن

تحتفظ بما ورثت، وتضيف إليه، ثم تضمن أحكام قبضتها على السابق واللاحق.

وعالم لابد من إعادة ترتيب أحواله وإقامة موازينه من جديد على أساس مختلف، يحفظ للإمبراطورية الأمريكية

بالتكامل على كل شأن. وبين أهم الواويز ميطرة كاملة على موارد الطاقة لأنها محرك القوة والقدرة، حتى إشعار آخر.

وفي إطار ما هو ضروري ولزم فإن الولايات المتحدة مستعدة بشرط أن تغفل بحق كبرى الدول الصناعية الغربية

في شراكة تكون لها نسبة مفررة في القرار العالمي، ونصيب مقل - في موارد النفط، على أن تظل الكلمة الأخيرة في الموضوعين لوشامتن.

يساعد على ذلك أن الضرورات والواويز التي اقتضت أن يكون مجال الحركة الرئيسية مع منفتح القرن

الصادي والعشرين هو الشرق الأوسط - موافقت مع كون الولايات المتحدة حاضرة ومتكئة منه معاً، ثم إن النمط الحاكم

في بندان هذه المخططة صيدية ومالية. - وفي التقدير الأمريكي أن الشريك الرئيسي المعتد في هذه المرحلة بالذات،

ليس هؤلاء الإصدااء الموالين من العرب، وليس بريطانيا كما يبدو على السطح - وإنما هو إسرائيل، فهي - وليس غيرها -

بالواقع العملي موجودة على الأرض، وهي بحقائق القوة مؤثرة في الساحة، وبالإضافة إلى ذلك فإن إسرائيل لظروف

علاقتها مع الولايات المتحدة لا تتردد من وازع قانوني أو أخلاقي، وإنما هي يبقين داخلية عميق تترك أن حيايتها وبقاها بعيداً عن الولايات المتحدة الأمريكية -

مشروع غير قابل للبقاء وحكوم عليه تاريخياً:

- والشعوب العربية المعادية لإسرائيل - وأولها الشعب الفلسطيني الذي يدافع عن أرضه ووجوده - لابد لهم

أن يتعلموا درس الواقعية السياسية ويقبلوا به (أحتي لو أدى إلى خروجهم من المستقبل).

- ومع أنه من وقتها سنة ١٩٩١ وحتى الآن (أكثر من عشر سنوات) - تغيرت الظروف، ودفع العراق كلفة

الخطا عدة مرات، وتحمل شعبي باكلر مما تحمل أي شعب غيره - فإن العراق حتى وإن لم يعد خطراً دافعاً - مازال من الممكن

استعماله شحاً تحوطه الأوامر - وكان ما يركي العراق لسياسة مطاردة الشيع وخرب الوهم، عنصران:

أولها: أن العراق مستنظر بالحرب والحصار، وبالتالي فهو هدف مكشوف ومعرض:

والثاني: أن العراق بلد مولود الفنى بالثروات الكامنة فيه، وبالتالي فهو قادر على دفع تكاليف عملية تدمير، - (وإن دفع «فانورة إعادة تعميره»، وقدر

أن يحتاج مثل غيره إلى معونات أو مساعدات).

طوال رئاسة «بيل كلينتون» للولايات المتحدة الأمريكية كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

بالإمبراطورية، والسيطرة على البترول، والتحالف مع إسرائيل، وتطويق الشعوب العربية، والتطويق بشبح «الخطر» من العراق - تزاد نشاطاً، وتضم إليها

مناصرين جدد، يساعون على توسيع وطول رئاسة «بيل كلينتون» للولايات المتحدة الأمريكية كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

بالإمبراطورية، والسيطرة على البترول، والتحالف مع إسرائيل، وتطويق الشعوب العربية، والتطويق بشبح «الخطر» من العراق - تزاد نشاطاً، وتضم إليها

مناصرين جدد، يساعون على توسيع

طوال رئاسة «بيل كلينتون» كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

بالإمبراطورية، والسيطرة على البترول، والتحالف مع إسرائيل، وتطويق الشعوب العربية، والتطويق بشبح «الخطر» من العراق - تزاد نشاطاً، وتضم إليها

مناصرين جدد، يساعون على توسيع

طوال رئاسة «بيل كلينتون» كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

بالإمبراطورية، والسيطرة على البترول، والتحالف مع إسرائيل، وتطويق الشعوب العربية، والتطويق بشبح «الخطر» من العراق - تزاد نشاطاً، وتضم إليها

مناصرين جدد، يساعون على توسيع

طوال رئاسة «بيل كلينتون» كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

بالإمبراطورية، والسيطرة على البترول، والتحالف مع إسرائيل، وتطويق الشعوب العربية، والتطويق بشبح «الخطر» من العراق - تزاد نشاطاً، وتضم إليها

دائرة نفوذها باستمرار (تحت نفس شعار: «ضرورات قرن أمريكي جديد»).

والشاهد أن يعن متابعة ورصد عدد من قادة هذه الجماعة وتبني حركتهم عبر

دوائر متشابهة - فهم بغضا نفس الوجوه - ودعماً نفس الأصوات.

- وكانت البداية من عضوية لجنة الأريعمانة الأصلية التي كلفت ببحث احتمالات سقوط الاتحاد السوفيتي تحت

رئاسة «بول نيتزي» - ومنها إلى دائرة الانتشار والظهور في مناصب كبيرة في وزارات الدفاع

والخارجية والطاقة ومراكز المخابرات المركزية الأمريكية (وعضوية مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، وغيره من

المراكز السياسية والإستراتيجية). - ومنها إلى دائرة الجلسات حول

ملانة اجتماع مجلس الأمن القومي تحت رئاسة «جورج بوش» (الأب) - عندها

طرحت المخطوط العامة الأولى للمشروع الإمبراطوري الأمريكي للقرن الحادي والعشرين.

- وأخيراً إلى دائرة النشاط والمتابعة في عهد الرئيس «بيل كلينتون» بعد أن

خسر الجمهوريون انتخابات سنة ١٩٩٢. (وكان ظههم أن عاصفة الصحراء

وحدها تكل لهم أن يفلتوا فيها). - والحاصل أنه في كل هذه الدوائر -

تكرر نفس الأسماء. «ريتشارد تشيني» (نائب الرئيس

الآن) - «دونالد رامسفيلد» (وزير الدفاع

الآن) - «ريتشارد بيرل» (رئيس فريق التخطيط الإستراتيجي الآن) - «بول

ولفويزتر» (نائب وزير الدفاع الآن) - «ريتشارد أرميتاج» (نائب وزير

الخارجية الآن) - وغيرهم كثيرون. وفيهم من رأسوا وكالة المخابرات المركزية مثل

(جيمس وولسي)، وفيهم من رأسوا

طوال رئاسة «بيل كلينتون» كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

بالإمبراطورية، والسيطرة على البترول، والتحالف مع إسرائيل، وتطويق الشعوب العربية، والتطويق بشبح «الخطر» من العراق - تزاد نشاطاً، وتضم إليها

مناصرين جدد، يساعون على توسيع

طوال رئاسة «بيل كلينتون» كانت جماعة الضغط الجمهوري (الووبي) - المطالبة

شركات طاقة كبرى (مثل فرانك كارلوتشي)، ومع هؤلاء حشد من أعضاء

بارزين في الكونجرس بديمقراطيين وجمهوريين على السواء (مثل جوزيف ليبرمان وجون ماكين).

وكان هؤلاء زملاء لهم في الفكر والفعل هم الذين أشرفوا على بناء تحالف

حرب الخليج الثانية (سنة ١٩٩٠ - ١٩٩١)، وهم الذين خططوا لأكثر مدبري

تحقيق صلح شامل بين العرب وإسرائيل (١٩٩٢)، وهم الذين ساعدوا على تلمهيد

السبيل إلى لقاء بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل (المعروف بالاتفاقية أوسلو ١٩٩٤).

وكانوا هم الذين كتبوا خطاباً مباشراً إلى الرئيس «كلينتون» بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٩٨، يقولون فيه بالناص:

«السيد الرئيس

إننا نكتب إليك عن السنتان بيان السياسة الأمريكية الحالية تجاه العراق لم تحقق أهدافها، وإنها في الغالب سوف

تواجه تهديداً في الشرق الأوسط أشد خطورة مما واجهناه وقت الحرب الباردة، ونحن نؤمن أن خطاطبك القادمة في شأن

«حالة الاتحاد» يمكن أن يكون الفرصة الملائمة لإظهار عزم أمريكا أن يكون

القرن الجديد أمريكياً، ونأمل أن تنتهج هذه الفرصة لكي تعلن إستراتيجياتنا القليلة بثمانين مصالح الولايات المتحدة

وأصداقنا وحلفائنا في العالم.

إننا نهيئ بالإدارة أن تضع كل جهود «الامة» الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والعسكرية لتأكيد سيطرة

الولايات المتحدة بخطوة أولى تضمن إزاحة «مصادم حسين» عن حكم العراق، وأن تغفل ذلك من خلال الأمم المتحدة - أو

متفردة إذا اقتضى الأمر.

(وكان من المومضين على هذا الخطاب: «ريتشارد تشيني»، و«دونالد رامسفيلد»، و«ريتشارد بيرل»، و«بول

ولفويزتر»).

وتردد «كلينتون» وتصوره أن المعركة ضد الإرهاب لابد أن تحقق انتصارها أولاً، لكنه لم يلبث أن توصل

مع جماعة «قرن أمريكي جديد» إلى حل وسط، وكانوا هم ويكلماتهم من تولوا صياغة وطرح «مشروع قانون تحرير

العراق»، الذي قبله الرئيس «بيل كلينتون»، وأرسله إلى الكونجرس حيث تم إقراره سنة ١٩٩٨، ليصبح نافذ

المفعول، ملزماً للرئيس الأمريكي



اصطياد العراقي في فج الكويت، وإبدا المنطقة كلها حليف للولايات المتحدة وشريك. لم تنازل التحالف والشراكة إلى درجة أدنى مع ارتباك العراق للسياسة الأمريكية على أمل حل الصراع العربي الإسرائيلي - يتكبح جماع إسرائيل ويكف أذاها

١١ - وأقرب النهاية جاء الدور على «بيل كلينتون» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٩٢ إلى سنة ٢٠٠١)، وهو الذي حاول - رغم تسميته رئاسته - «فصل جنسي» بين رئاسته «بوش» (الأب) وبوش (الابن) - إكمال المهمة بقانون تحرير العراق، وجرب تصفيتها بقايا الصراع العربي الإسرائيلي، ولم تكن قد بقيت منه إلا سلطة وطنية محاصرة بالياس ما بين غرة ورام الله.

١٢ - وأقرب النهاية حتى جاء الدور أخيراً على الرئيس الثاني عشر «جورج بوش» (الابن). وهو الآن في البيت الأبيض يزيل آثار الحركة الطويلة التي أسفلت الإمبراطورية الباقية الأخرى - إمبراطورية الشرق - ويجمع انشغاليا المنازلة هن وهناك، خصوصاً على أرض الشرق الأوسط حتى يرسى صرح الإمبراطورية.

وبالطبع فإن «جورج بوش» (الابن) لم يكن وحده، وإنما اتسع المسرح من حوله لتحقيق المشروع الإمبراطوري - الذي يبطل ويحكم في الصمام إلى الأبد (هكذا العزم والصدق).

.....  
[كان طريق هذا الطابور من رؤساء الولايات المتحدة طويلاً وكان حافلاً بالإنجازات الفخمة، وبالخطأ، الفاجدة، وبالسلطات والصفاءات، وحتى بالفاضل المجلجلة - لكن الذي عثر رئيساً مشوا جميعاً على هذا الطريق الإمبراطوري - كل واحد منهم بمقدار جهده وباتساع فرصه، وبعضهم سار أمثراً وبعضهم جرى أمثلاً، بعضهم تراجع خطوة وبعضهم تراجع شوطاً - لكن كلا منهم حاول. لأن المشروعات الإمبراطورية الكبرى لا تحيد عن أهدافها مهما صافها، ولا تطيل الوقوف أمام الصدمات بدعوى الجحز عن استيعابها، ولا تمارس لغتها بالاعواء الشخصية - في غيبة استراتيجية وطنية أو قومية - وذلك هو الدرس الذي لم تتعلمه ولم تحفظه السياسة العربية، حيث كل رجل في حد ذاته بداية ونهاية - لأنه مستوعود الصدمة الأكبر - ومصدر القرآن الأودد - وفي يده المصير!]

.....

البيت الأبيض من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٥)، وهو الذي اعتمد بشهرة من وزير خارجيته «هنري كيسنجر» سياسة «لحاق بقصد إلى تثبيت الإمبراطورية السوفيتية في شرق أوروبا» حتى تتمكن الولايات المتحدة أن تعطي نفسها حرية عمل في الشرق الأوسط وفي أفريقيا وآسيا، مع محاولة تكريس الخلاف بين الإمبراطورية السوفيتية وبين الصين «في القوة الصاعدة في الشرق الأقصى» - الرئيس «جيمس إيرل فورد» (في سنة ١٩٧٥ إلى ١٩٧٦) لم تعطه الفرصة لتعمل شيء يذكر له.

٨ - الرئيس «جيمي كارتر» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٧٦ إلى سنة ١٩٨٠) وهو الذي ركز جهده بتأثير مستشاره للأمن القومي «زينجوش جرينسكن» - في قوس الشاغب على الحزام الشمالي للشرق الأوسط، لضمه للثورة الإسلامية في إيران، وفتح معركة استنزاف الإمبراطورية السوفيتية في أفغانستان بسلح الجهاد الإسلامي التي جر إليها العالم العربي كله في خدمة سياساته وتفتيت أغراضه.

٩ - الرئيس «رونالد ريغان» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٨١ إلى سنة ١٩٨٨)، وكان هو الذي خطا بسباق السلاح خطواته الحاسمة نحو حرب النجوم، ثم استطاع أن يحول أفغانستان إلى مصيدة حقيقية للدب الروسي، وقاد الحرب الشهيرة ضد إمبراطورية الش.

١٠ - الرئيس «جورج بوش» (الابن) في البيت الأبيض من سنة ١٩٨٨ إلى سنة ١٩٩٢)، وهو الذي سفلت في عهده الإمبراطورية الروسية - السوفيتية - وأجاثها حلق بحرب الخليج اختراقاً هائلاً في الشرق الأوسط، حين تمكن من

١٩٥٢ - وهو الذي وضع توقيعه على التوجه الرئيس الراسم ٩٨ لسنة ١٩٥٠) بتحديد الهدف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية «بتدمير الاتحاد السوفيتي، وتحقيق تفوق عسكري امريكي غير قابل للتقدي وغير قابل للمنافسة».

٣ - الرئيس «دايت إيزنهاور» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦٠) - وهو الذي أشرف على عملية احتواء الإمبراطورية السوفيتية وحصرها - (وفي الإمبراطورية الظلمة المتجددة) - وراء الستار الحديدي وتوطيقها بسلسلة من الأحلاف العسكرية في أوروبا وجنوب شرق آسيا، مع محاولة أولى في الشرق الأوسط لبناء نظام عسكري غربي بكل حلقة الحصار تحت اسم «حلف بغداد»، وقد تعطلت المحاولة (بسبب الحركة الفورية للجمعية العربية).

٤ - الرئيس «جون كينيدي» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٦٣) - وهو الذي جرب أسلوباً آخر في الاحتواء يعتمد على جانيه التمازج الأمريكي تحت شعار إدارته المشهور - «الحدود الجديدة».

٥ - الرئيس «ليندون جونسون» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٦٨) - وهو الذي عاد إلى أسلوب الاحتواء العنيف مرة أخرى في الشرق الأقصى (بحرب فيتنام)، وفي الشرق الأوسط (بحرب سنة ١٩٦٧)، مصمماً على أن حركة التحرر الوطني مهما قالت ومهما حاولت هي عنصر مقاوم للإمبراطورية الأمريكية، وبالتالي فهي مديقة أو احتياطي (ولو بالمصادفة) للإمبراطورية السوفيتية.

٦ - الرئيس «ريتشارد نيكسون» (في

الامريكية سنة ٢٠٠٠، كان «قانون تحرير العراق»، وضرورة تنفيذ الفوري، قضية أثبتت أكثر من مرة في المخابرات بين المرحضين: الجمهوري «جورج بوش»، والديمقراطي «أل جور»، دون أن يذكر أحد أن استهداف العراق لم يكن إلزاماً مبدئياً وإنما إلحاحاً مصالحي، ولم يكن القضية عدالة وإنما سبق إصرار على القتل، لأن العراق خلال حقبة التسعينيات - وبعد تحرير للكويت - لم يخرج مرة واحدة في تصرف، ولم يعرض أو يخالف، بل كان أمه أنه بالإلزام والاحتلال يستطيع أن يخرج من تحت الحصار ويتخلص من كارثة الغلويات.

والحقبة أن القضية لم تعد قضية العراق، وإنما كان العراق بداية خط وقع النشوء عليه لإمبراطورية القرن الحادي والعشرين.

وكان «جورج بوش» (الابن) هو الأبي صوبنا. خلال الحملة الانتخابية إزاء آل جور، عندما يجري ذكر موضوع العراق، فسبى هذه النقطة بالذات كان ادعاء «بوش» أنه لا يتفق على استكمال المهمة لأنه عاشها (عائلياً)، قبل أن يلزم بها (سياسياً)، وكانت الإحباط بعد ذلك صوباً إلى أن «أل جور» تعاشي في البيت الأبيض الوقت نفسه تقسمه مع «موسيكو» - «دون آل» يعرف بما يجري في المكتب البيضاوي، أو أنه عرف ولم يجاسر على النظر إلى رئيسه في عينيه، وهو في الحالتين المصطلح، فإذا لم يكن عرف فهو لا يقدّر على الإمبراطورية، وإذا لم يكن يجاسر فهو لا يستطيع مواجهة العالم.

وإن «أل جور» بوش» بالرئاسة، وإن لم يكن فوزهم بمفاضلة أخلاقية أو سياسية (أو شعبية)، وإنما كان فوزهم بجبل انتخابية وتفتيات قانونية - وراءها خطط إمبراطورية، وسياسات مشي في إطارها أحد عشر رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية على مدى نصف قرن من الزمن، تحرك فيها كل منهم بأسلوبه - وبمزايا إدارته - وفي أجواء زمنية (بصرف النظر عن مبادئ الأخلاق وضوابط القانون، لأن الإمبراطوريات لا تحتاج إلى حدودها وقبورها).

ومضى هؤلاء الرؤساء جميعاً على نفس الطريق:

١ - الرئيس «فرانكلين روزفلت» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٤٥) - تولي قيادة الحرب العالمية الثانية إلى طرف ظهرت فيه الإمبراطورية الأمريكية، وريثاً شرعياً - مطالباً بالإمبراطوريات الأوروبية التقليدية.

٢ - الرئيس «هارى ترومان» (في البيت الأبيض من سنة ١٩٤٥ إلى سنة

العدد الواحد والخمسون - أبريل ٢٠٠٢م

## جاء الدور أخيراً على

«جورج بوش» (الابن)، وهو الآن في

البيت الأبيض يزيل آثار الحركة الطويلة التي

أسفلت الإمبراطورية الباقية الأخرى - إمبراطورية

الشرق - ويجمع انشغاليا المنازلة هنا وهناك،

خصوصاً على أرض الشرق الأوسط حتى

يرسى صرح البناء الإمبراطوري



## من الحظيرة إلى المسيرة!

يذكر (سوم الحظ) لرد فعل من العالم العربي على مشروع إمبراطوري يرسى ويرفع أهم ركائزه على أرض عربية - ومواقع عربية - وموارد عربية.

وعلى نحو ما فإن الولايات المتحدة أخذت العالم العربي مسالة مفروغا منها دون كبير عناء، والسبب أن معظم الدول العربية دخلت «حظيرة» التحالف من وقت حرب تحرير الكويت، ثم إنها مشت من الحظيرة إلى «المسيرة»، وهي عملية صنع السلام مع إسرائيل التي زادت عليها الحركة من مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١، ولا تزال مستمرة عليها، لأنها المفاوضات بلا بديل آخر، أي مفاوضات إلى الأبد والاعتماد فيها على الولايات المتحدة وليس على غيرها، وبالتالي فإنه ما بين «الحظيرة» و«المسيرة» لا خوف على العرب ولا خوف منها!

كذلك كانت حسابات جماعة المشروع الإمبراطوري الأمريكي عندما دخل القطايع إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض، وحين جلسوا حول مائدة مجلس الأمن القومي، وحين أمسكوا بأهم مفاتيح القوة الأمريكية الهائلة، وراحوا يركبونها لحساب مشروعاتهم التاريخية.

كانت حساباتهم في بعض النواحي صحيحة، وكانت الحسابات في نواح أخرى خاطئة، وكان أول نواحي الخطأ هو العجلة ونفاذ الصين، باعتقاد جماعة الإمبراطورية أنهم أمام نافذة مفتوحة - على فرصة غير محدودة.

وعندها زادت احتمالات الخطأ، ومعه تزايدت أسباب الخطر.

موسكو هي تلك اللحظة التي تبدي فيها واشنطن مبادرة تدل على أنها مازالت تعتبر الاتحاد الروسي قوة عظمى (أو قوة متساوية) - وكذلك كان أول سعي الرئيس الأمريكي الجديد (الثاني عشر في ترتيب الرؤساء البينانيين للإمبراطورية) هو الذهاب إلى مقابلة «غلايبيير بوتين»، ثم خروجه بعد المواجهة يقول: «إنه نظر في عيني «بوتين» وعند تلاقى نظراتهما أحس على الفور بشعاع ضوء يوحى باللقمة، وهكذا وقع بينهما الفهم من أول لحظة، واقترح عليه أن ينادي كل واحد منهما الآخر باسمه الأول «غلايبيير وجورجي»!

- والدول الآسيوية الكبرى (الصين واليابان) مشغولة بشئونهما، وهي لن تعطل نفسها باعتراض على المشروع الأمريكي الإمبراطوري، حتى يمتدق فلسفة (كونفوشيوس ويوتا) يحضنها دائما على نظام في الأولويات والمراتب القادر على التحمل وعلى الانتظار.

وفي هذا كله لم يكن هناك حساب

القوى التي ترى «الصالة الأمريكية المستجدة» وتقدم معانيها:

- القوى الأوروبية الكبرى سوف يضايقها ما تراه وتفهم أنها الإمبراطورية وليس - كما كانت هذه القوى تامل - مشروع نظام عالمي جديد، لكنه ليس في مقدور هذه أن تفعل الكثير، وإذا أخذ في الاعتبار أن بريطانيا مضمونة (بسبب شراكتها في يترول الشرق الأوسط) - فإن فرنسا وألمانيا لديهما في أوروبا ما يثقلهما، وأوله رغبة دول الشرق التي تحررت من قبضة الاتحاد السوفيتي أن تزحف إلى الغرب طالبة عضوية الاتحاد السوفيتي ويهدد السوق الأوروبية المشتركة.

- والاتحاد الروسي الوريث للاتحاد السوفيتي لديه ما يكتفيه من المشاكل، ومع أن ترسانته النووية المتهاككة مازالت قادرة على الردع، فإن السياسة الأمريكية تستلحق تركيب صمام أمان على الموقف الروسي يضغط فاعليته. وكانت المجموعة الإمبراطورية الأمريكية تعرف من تجارب سابقتها أن لحظة المني في

ولم يكن ما يجري في الولايات المتحدة خافيا على قوى العالم الكبرى، فقد تباينت كلها في ظروف سبقت المشروع الإمبراطوري الأمريكي، ورات مقاصده واحتكت مرات به، وكان الاحتكاك في بعض هذه المرات خادا، يكاد أن يحدث شرا - وربما يشعل نارا. - وأن سنة ٢٠٠٠ وبداية قرن جديد - كانت القوى الكبرى في العالم تتابع دخول إدارة أمريكية جديدة إلى السلطة، عارفة مسبقا أنها سوف تكون رئاسة خضنة.

- كان انصار المشروع الإمبراطوري الأمريكي في صميم العملية الانتخابية وعلى مواقع توجيهها وقد تحقق الفوز لمرشحهم فيها بما يشبه المعجزة.

- وفقد دخفا من «الخارج» إلى «الداخل»، واحتلوا أهم المواقع داخل البيت الأبيض، وعلى رأس الإدارة، وحول مائدة «القرار» في مجلس الأمن القومي وفي أيديهم أهم مفاتيح القوة الأمريكية، وبالتالي فإن الفرصة «الآن» - و«هنا».

- ومما يسهل المهمة عليهم أنهم مع «رئيس» مستخدم بما لديه لأن يتناثر ويسمح ويندفع، وقد اقتنعوه (وهو صحيح) أن استكمال مشروعاتهم ضمانا لمدة ثانية في رئاسته، بحيث يتنجح في انتخابات سنة ٢٠٠٤ فيحياها ساحقا لا نشوبه الريب ولا تحوطه الشكوك.

وفوق ذلك فإن جماعة الإمبراطورية كانت تقدر أن مشروعها لغرض سلام أمريكي على العالم (Pax Americana) لن يواجه معارضة جديده حتى من تلك

لم يكن هناك حساب يذكر  
(سوم الحظ) لرد فعل من العالم العربي  
على مشروع إمبراطوري يرسى ويرفع أهم ركائزه  
على أرض عربية - ومواقع عربية -  
وموارد عربية





## أحدث الإصدارات



**Obuell  
Obëkan**

أكبر تجمع للكتب في العالم العربي

مجموعة قيمة من الكتب العربية من إصدارات  
مكتبة الحسكان

الرياض هاتف ٨٨٠٠٠٠٠ - ٤٦٤٤٤٤ - الدمام هاتف ٨٠٩١٢٩٩ - أبها هاتف ١٧٥٠٠ - القصيم هاتف ٤٤٠٠٠٠٠

الأحياء: هاتف ٥٨٦٤٩٦٦ - القصيم: هاتف ٣٢٩٦٦٦٣ - جسر الباطن: هاتف ٧٧٥١١١٨

www.obeikanbookshop.com - www.obeikanbooks.com

## السيد عرفات لم يكن يحلم إلا بأمر واحد وهو أن يدعى شخصياً إلى البيت الأبيض ويتفاوض مباشرة مع هذا الرجل من البيض، السيد بيل كلينتون

الجزيرة

ينطلق منها القادة العرب ومستشاروهم المتخرجون عادة من الولايات المتحدة لتحصيد سياسة بلدانهم. لكنها نظرة لتفقد فعلا إلى التماسك إذ يتصور حول الفكرة القائلة بأن «الأمريكيين» يهرون كل شيء في العالم، وحتى وإن كان هناك في التفاصيل تشكيلة واسعة وحتى معقدة من الآراء المختلفة، بدءا بالمتنوعة من الآراء المتحدة ليست سوى مؤامرة يهودية إلى تلك القليلة بأنها ليست إلا مصدرا لا ينضب للبرادة والطبيرة ومساعدة الضحايا، أو أيضا أنها تدار من الألف إلى الياء من البيت الأبيض عبر شخصية بطولية تتمثل برجل أبيض لا نزاع على سلطته.

وعلى مدى عشرين عاماً كنت فيها اتدرب على السيد ياسر عرفات، حاولت مراراً أن أوضح له أن أمريكا هي مجتمع معقد تتشابه فيه التيارات والمصالح والنفوذ والغصب المتميزة، وإنها لا تحكم مثل سوريا مثلاً، وإنها تحكم وسلطة نموذج مختلف يستحق الدراسة، وقد جئت لهذا الغرض صديقي المرحوم إقبال أحمد الذي تحلى باطلاع عميق على المجتمع الأمريكي والذي كان ربما أفضل المنظرين والمؤرخين لحركات التحضر الوطنية، وقد رغبت إليه أن يبحث بمشاركة غيره من الخبراء مع السيد عرفات في تطوير نموذج أكثر دقة كان في إمكان الفلسطينيين أن يستفيدوا منه في الاتصالات التمهيدية مع الحكومة الأمريكية في أواخر الثمانينيات، لكن ذلك باء بالفشل، كان إقبال أحمد قد درس العلاقات بين جبهة التحرير الوطني في

فمع أن المال كان مخصصاً مدينة جريئة نتيجة عملية وحشية رهيبة، وهي كانت تحتاجه، إلا أن النظام السياسي والفاعليات الكبرى فيه كانت تقدم إسرائيل على كل ما عداهما. وما من أحد كان يعلم كيف ستكون ردة فعل الطائفة اليهودية لو أن الحاكم قبل الهبة لذلك ياتر إلى استباق تحرك اللوبي المقرب من إسرائيل، وهو أساساً على أهمية الاستعداد دائماً، وكما أوضحت الرواية الشهيرة والصحافية جوان ديدون في مقالة لها في «نيويورك ريفيو أوف بوكس»، فإن مبدأ أساسياً في السياسة الخارجية الأمريكية، يعود إلى عهد الرئيس روزفلت، يدعو، وضد كل منطق، إلى دعم النظام الملكي السعودي ودولة إسرائيل في آن واحد. وتضيف قائلة: «إلى درجة أنه لا يمكننا أن نطرح على بساط البحث أي أمر قد يسن إلى علاقتنا مع حكومة إسرائيل الحالية». ربما تؤكد هذه المقالة النظرة الخيالية تماماً إلى الواقع الأمريكي التي

دعمه لمدينته التي كانت تبرهن عن تماسكها وإن يؤكد رفضه المبدئي لأي تدخل خارجي في شؤنها، من دون أن ينسج بالخكايد تملق الناخبين اليهود الموحدي الرأي كما يفترض بدلاً من أن يعمل على توغيعهم.

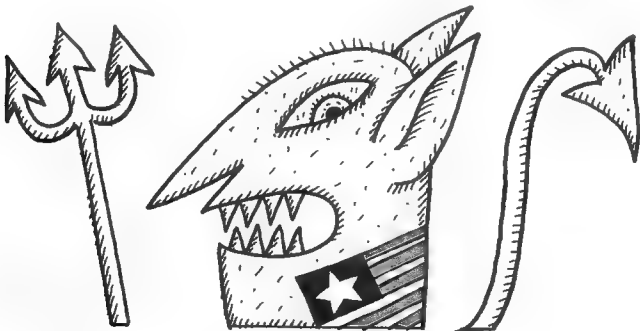


هذا التصرف اللفظ من جانب الحاكم شبيه برفضه في العام ١٩٩٥، أي بعد عامين على توقيع اتفاق أوسلو، الموافقة على حضور السيد ياسر عرفات الحفلة الموسيقية في الد «فيلهارمونيك هول» التي دعيت إليها جميع الشخصيات التي كانت موجودة في الأمم المتحدة. وقد كان رد حاكم مدينة نيويورك على تبرع الشاب السعودي متوقعاً، وهو يأتي في سياق ما تتميز به المناورات الدنيئة القاذورية التي يقوم بها رجال السياسة الأكثر رداة في المدن الأمريكية الكبرى.

■ في الأول من شهر شباط / فبراير وود في بعض الصحف خبر صغير مفاده أن الأمير الوليد بن طلال تبرع مؤخراً بمبلغ عشرة ملايين دولار للجاسعة الأمريكية في القاهرة من أجل إنشاء قسم خاص بالدراسات الأمريكية. وكان هذا المبادر الشباب قد تبرع بدون أن يحضه على ذلك أحد، بمبلغ عشرة ملايين دولار لمدينة نيويورك بعد تعرضها للاعتداء في ١١ أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠١. وقد أوضح في رسالة التبرع أن الهبة ما هي إلا من باب الاحترام للمدينة لكنه رأى فيها أيضاً أن على الولايات المتحدة أن تعيد النظر في سياساتها في الشرق الأوسط، في إشارة إلى دعمها غير المشروط لإسرائيل كما إلى مجمل سياساتها الاستخفاف بالاسلام أو في مطلق الأحوال إلى ما فيها من قلة احترام له.

لكن السيد رودولف حيولياني، حاكم مدينة نيويورك (وهي المدينة ذات الجالية اليهودية الكبرى في العالم)، وقد نكلكه الغضب، أعاد الشيك إلى الأمير بدون أي رسميات في تصرف يتم عن ازدياد من النوع العنصري رمي فيه إلى الإهانة والاحتقالية العدوانية في آن واحد، فهو عبر لدفاعه عن صورة تميزت بها نيويورك أراد أن يقدم هو شخصياً

بترتيب خاص مع  
Le Monde Diplomatique, Paris  
الترجمة إلى العربية بواسطة  
mafhoun.com  
(المرجع المعتمد والنشر الإلكتروني  
الرسمي للجريدة الفرنسية)



الماضي بمعارضتهم للقيام بأي مغامرة عسكرية، وقد باتوا اليوم مستعدين للدفاع عن فكرة الإمبراطورية الباقية بأساليب متنوعة تراوح بين النزعة الوطنية الديماغوجية والصلافة المرائية وقد لعبت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر دورها في هذا التحول، وعلى كل حال فإن التعامل مع الاعتداءات على البرجين التوأمين وعلى البنتاهون، وبالرغم من هولها، يتم على أنها التت من عدم وليس من عالم ما وراء البحار الذي فقد اتزانته بسبب التدخلات والوجود العسكري الأمريكي. لا يمكن تفسير الإرهاب الإسلامي، المقيت في كل حال، لكن ما يمكن تلخيصه هو أن كل نظرية تاريخية وكل حس بالنسبية قد غاب عن الضريريات المتشددة للأعمال الأمريكية ضد أفغانستان وأذن ضد العراق والغالب الأكبر في المباحثات الإعلامية لصقور «اليسار» هؤلاء، يبقى البمين المسيحي (المشابه للإسلاميين بجماعته وأعماله الفضيلة)، وهو في الولايات المتحدة ذو تأثير كبير، بل حاسم. ونظرة هذا البمين إلى العالم، المستمدة بشكل أساسي من العهد القديم، قريبة من نظرة إسرائيل إليه. ومن غرائب هذا التحالف بين هؤلاء المحافظين الجدد المظرفي الحماسة في الدولة اليهودية والمظرفين المسيحيين هو أن هؤلاء يشجعون الصهيونية لأنهم يتوون إعادة اليهود جميعاً إلى الأرض المقدسة لدى المحي الثاني للصيح، وعندما سيكون على اليهود إما أن يتحولوا إلى المسيحية وإما أن يفتنوا.

والاحتجاجات الشعبية التي انفجرت في أرجاء العالم، وبخصوصاً في ١٥ شباط/فبراير، لجأت هذه الحرب مجرد قرار قباحش ووقع بالهيمنة لا يلقى أي معارضة. وأن تلقى هذه الحرب الاعتراضات في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، كما لدى الكثير داخل معارضة، فهذا يعني أن هناك في النهاية شعوراً بأن الولايات المتحدة، أو أقله لثة الرجال البيض اليهود - المسيحيين الحاكمين فيها حالياً، قد قرروا فرض هيمنتهم على الكرة الأرضية. فما العمل إذن؟

أود أن أقدم نظرة إجمالية للمشاهد العام العجيب للولايات المتحدة، كما يراه أمريكي مثلي يحفظه، بحكم أصوله الفلسطينية، بنظرة الأجنبي. وأريد أن أقترح بعض الطرائق لفهم هذا البلد من أجل مقاربه أفضل، وإذا ما سمحت الظروف في العالم من أجل مقاومة هذا البلد وهو غير أحادي التركيب كما يظن على الدوام.

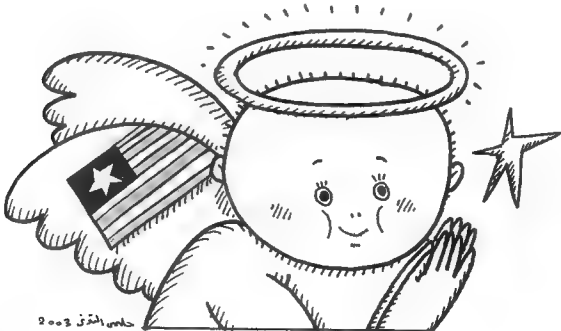
إذا كان لكل إمبراطورية أصالتها وتؤكد عزمها على عدم تكرار طموحات أسلافها الجموحة، فإن الولايات المتحدة تدعى إضافة إلى ذلك غيرة قدسية وبراءة سليمة القصد. وقد تحركت، دعماً لهذه الوهم الملق، كاتلبها بماكلها من المفكرين من ذوي النزعات اليسارية السابقة إلى حد ما. وهذه تميزوا في

الأمير وليد بن طلال الجديدة، الذي مؤل مركز الأبحاث المذكور، فغلى حد علمي أنه باستثناء بعض الدروس أو الندوات المتفرقة في جامعات العالم العربي حول الأناج والسياسة الأمريكية، لم يفتح ما يمكن اعتباره مركزاً جامعياً للتحليلات المنظمة والعلمية للولايات المتحدة وشعبها ومجتمعها وتاريخها. ليس حتى في مؤسسات تعليمية مثل الجامعتين الأمريكيتين في كل من القاهرة وببيروت، والحال أنه في عالم بات تحت القبضة الضاغطة لقوة عظمى ذات قدرات لا حد لها، بات من الملح معرفة ديناميتها الداخلية المتفاعلة كالعصا. وهذا ما يستدعي إقنار لغتها. وقلة من النزعات العرب يبيدونها. نعم إن أمريكا هي بلد مساك دونالز وهوليسود والجينز والكوكاكولا والسي إن إن، واليضاع المصدرة التي نجدها في كل مكان بفعل العولمة ونتيجة ما يبدو تعششاً لا يرتوي في العالم أجمع إلى سلع استهلاكية مريحة وسهلة الاستعمال. لكن علينا أن نلهم أيضاً سبب ذلك وكيفية نصير هذه السريرة الثقافية والاجتماعية التي تجسدها، فالخطر البارز للحيان هو في التفكير إلى الولايات المتحدة نظرية تبسيطية خادمة اختزالية.

ففي مختلف أنحاء العالم دول عاصية باتت تنصاع تحت ضغط المظرفة لحرب على العراق لا تحظى أبداً بالتأييد الشعبي (أو أنها تتحالف معها في موقف انتهازى صرف كما هي حال إيطاليا وإسبانيا)، ولو لا هذه التقاربات

الجزائر وبين فرنسا خلال حرب ١٩٥٤ - ١٩٦٢ كما درس الطريقة التي اعتمدها النفيتاميون الشماليون في مفاوضاتهم مع السيد هنري كيسنجر خلال السبعينيات. وقد صدمه هذا الفرق الشاسع بين المعرفة الدقيقة والمفصلة من جانب جبهة التحرير الوطنية والفيتناميين مجتمع العاصمتين (باريس وواشنطن) وبين معسركة الفلسطينيين الأكراب ما تكون إلى الكاريكاتور بأمريكا (المستندة بشكل أساسي إلى المزاعم وإلى قراءات سريعة لصحافة تايم). فالسيد عرفات لم يكن يلجأ إلا بامر واحد وهو أن يدعى شخصياً إلى البيت الأبيض ويتفاوض مباشرة مع هذا الرجل من البيض، السيد بيل كلينتون، كما يحصل له عندما يجد نفسه في موقع الدمع الرئيس المصري حسني مبارك أو الرئيس السوري حافظ الأسد. وفي انتظار ذلك يرى السيد كلينتون كصنيعة السياسة الخارجية الأمريكية وكسيدتها هي أن واحد تعرف كيف يربك الفلسطينيين بجاذبيته وبراعته في المناورة، ومع أن هؤلاء دفعوا الزمن فإنهم لم يغيروا نظرتهم إلى أمريكا. فليما يتعلق بعمل المقاومة ويصنع السياسة في عالم لم يبق فيه سوى قوة عظمى وحيدة طاغية، ظلت الأمور كما كانت عليه منذ أكثر من نصف قرن، فغالبيتهم يرفعون أيديهم متذمرين كالعشاق المحطين، مسردين أن لا أمل يرجى من أمريكا.

أما الوجه الآخر الأكثر تشجيعاً في هذه القصة فقد ارتسم مع استراتيجية



من الوجود، حتى في صفوف اليهود المأصرين لإسرائيل ماراً ما ينشأ إلى هذه الخاتمة الدمية والمعادية بحقك لسانه

والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم التي لم يبدى بشكل علني مسيحياً بأدب الدين. مجاهد الإله متبعة بالإحالات على الله، من قطع النقد إلى المباني العامة إلى الشهادات اللغوية من مثل «الله يؤمن» «In God we trust» «إلهي، بلاد الله» «God's country» إلى «بارك الله أمريكا» «God Bless Ameri»... إلخ. والقاعدة الشعبية التي يقوم عليها حكم جورج دبليو بوش مؤلفة من حوالي ٦٠ إلى ٧٠ مليون رجل وامرأة يؤمنون بالله بأنهم النقاء يسوع المسيح وأنهم وجدوا على الأرض من أجل إتمام عمل الله في بلاد الله. ولقد زعم بعض علماء الإجماع والصحافيين (ومنهم فرنسيس فوكوياما) أن التزعة الدينية في أمريكا المعاصرة نابعة من التطلعات الجماعية ومن حينئذ إلى الاستقراء في وقت يعبر فيه باستمرار ٢٠ في المائة من الشعب الأمريكي وظيفته ومكان إقامته. وليس هذا سوى جزء من الحقيقة، وما منعقدنا. والعمال الأخرى يعود إلى هذه ذات قناعة واسعة برسالته الرؤيوية التي لا علاقة لها بالبيئة بواقع الأسوأ ومعقدنا. والعمال الأخرى يعود إلى هذه المسافة الشاسعة التي تفصل هذا البلد عن العالم المضطرب وإلى عجز جيرانه في الشمال والجنوب، أي كندا والمكسيك، على الحد من بوليتانه.

ولا هذه الإيديولوجيا تتوافق على القول بأن الولايات المتحدة تمثل الاستقامة والصلاح والحرية والأمل الاقتصادي والقدرة الاجتماعي. وهذه الأفكار تنحصر في الحياة إلى درجة أنها لا تبقى مجرد أيديولوجيات بل تبدو كحقائق «طبيعية». فأمريكا تنساق إلى الصبر وتساقى الصدق والحسنة والصافير. فهناك الإجماع غير المخروط بنجاح الإيحاء المؤسسين وإنما أيضاً تحاه الدسور. تلك الوثائق العجيبة في الواقع

وإنما الإنسانية في أية حال. فأمريكا الأزمنة الأولى هي لغة ارتكاز الأمثلة. فما من بلد في العالم يلعب فيه العلم دور الإيقونة المركزية إلى هذه الدرجة، فهو يرى في كل مكان، على الشاكيات وعلى البائيات والنوافذ وسطوح المنازل، وهو خير تجسيد للأمة. يرمز إلى حالة التجسد البطواني وإلى شعور الصغار من جانب أعداء يفتقرون إلى الجدارة. ويبقى الشعور الوطني هو الفضيلة الأولى. يرتبط بالدين وبفكرة المصنوع بكامل الحقوق، ليس داخل العباد وحسب، وإنما في كل مكان في العالم. كما قد يكون الشعور الوطني جزءاً من المشاهدات الاستهلاكية كما شهد بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١ حين طلب إلى المواطنين القيام بالكثير من عمليات الشراء تعبيراً عن ازدهارهم الإرهابين الخفاء.

والرئيس بوش وظفوه، السادة دوثاند رامسفيلد وكولن باول وجون اشركوف والسيدة كونداليسا رايس، يستنزون كل هذه العدة من أجل تجهيز القوات المسلحة للحرب في أماكن بعيدة بقية «تصفية الحساب» مع صدام، كما يسمونه في كل مكان. كل ذلك تحت راية كليات الرأسمالية التي تواجه تغيراً جذرياً يزعزعها. فقد بينت عمالة الاقتصاد جولي شور أن الأمريكيين يعملون اليوم لوقت أطول مما كانوا يعملون منذ ثلاثين عاماً ليربحوا أقل نسبية، ومع ذلك تنعدم حتى الآن أشكال الاحتجاج السياسي الجدي والمفعل على معايير السوق الحرة، وكما لو أن أحد لا يهتم بضرورة تغيير النظام الذي يبقى الرسائل الكبير المتخالف مع الحكومة الفيدرالية عاجزاً عن توفير النفقة الطيبة الشاملة والمراس العامة الجديرة بهذا الاسم. فأخبار الرأسمالية تعود بالفائدة أكثر من إعادة النظر في النظام.

لعل ما في الأمر اختصار سريع لمفهوم الإجماع في الولايات المتحدة، والسياسيون يستغلونه ويحاولون اختزاله إلى مجرد شعارات تبسطية.

لكن هناك في هذا المجتمع العجيب بتقلباته، عدد من التيارات المعاكسة والبيدية. فالاعتراضات المتزايدة على الحرب والتي يحاول الرئيس التقليل من شأنها، تحصل في أمريكا من نوع آخر، أكثر تجرداً من الصفة الرسمية، هي توسع المجال ومور النشر التعتيم عليها (الصحف المرجعية مثل «نيويورك تايمز»، ومجلات النشرة وعلى نطاق واسع المجلات ومور النشر التعتيم عليها على الدوام، فحتم لم تشهد أبداً هذا النوع من التحوط الخشبي، كيلا تقول الفضلحي، بين نشرات الأخبار المتفرقة واندفاع الحكومة إلى الحرب، فحتم المواطن من أدنى المستويات الذي يشاهد السى إن إن، أو أيّاً من المحطات العامة الكبرى يتلقى بأحداث انفعالية حول ما يعمله صدام من شؤون وعن الحاجة إلى أن تقوم نحن، بوقفه قبل أن يفوت الأول. وكان هذا لا يكفي، فإذا هناك مجلة الإهبات ومن المحللين السياسيين لأوضاع الشرق الأوسط من الذين لا يتكلمون أبداً من لغات هذه المنطقة وربما لم تطأها أقدامهم. يرمضون جميعاً بما حفظوه عن ظهر قلب وهم يحفظون المشاهدين حول صورة أن نحتل «نحن العراق ونقوم في الوقت نفسه بحماية توالفنا وسيرارتنا من أي هجوم مدام بلغز الحروب».

وهذا الإجماع الذي رسم وأدير بكل عناية يطبق فيما يشبه الحاضر خارج الزمن. ففي الولايات المتحدة لا مكان للتاريخ في الخطابات العامة، بل إن الكلمة نفسها تحمل معنى العدم أو اللامعنى وخصوصاً في الجملة المستخدمة للتخفيف وزمن الأثر «أنت من التاريخ» «you're history» والمقصود بها أن «الزمن قد تجاوزنا، وإذا نحن تعود إلى «التاريخ» فالصواب بكلمة ما يفترض بالوطنيين أن يؤمنوا به بالنسبة إلى وطنهم (وليس بالنسبة إلى سائر العالم المحتبر «قديم» ومتخلفاً

بشكل عام، أي بوابك المعاصر)، فيصعدون كل ما يقال من دون (إعمال) الروح النقدية أو الفحص التاريخي، وهنا يمكن تبين نوع من الاستقطابية المستقرة، فهي لحن الشعب يفترض بأمريكا أن تبقى من جهة فوق التاريخ أو أن تتجاوز، لكن من جهة أخرى هناك في كل البلاد تشبث بتاريخ كل شيء وأي شيء من المواضيع المحلية الصغيرة إلى أخبار امبراطوريات العالم الحرة. ويجدر هنا التفتيش بما حدث منذ عشرين سنين، إذ باتت معركة فكرية كبيرة حول أي صيغة من التاريخ يجب أن تعلم وفي النهاية تارت نفسها وجهة نظر قاتلت بتاريخ الولايات المتحدة على شكل قصة وطنية بطولية واحدة لا يكون لها إلا أصداء الإيجابية في أذهان الشباب. فدراسة التاريخ لا تهدف لفتح إلى معرفة الحقيقة لكن إلى ضمان الصوابية الأيديولوجية في الحروب الكلية جعل الطلاب مواطنين مغايرين مستعدين لاعتناق عدد من المواضيع الشائعة حول سواع الولايات المتحدة بالنسبة إليهم وإلى سائر العالم. ويجب أن نتساءل من هذه الإيديولوجية الجوهري مكنات ما يسمى «ما بعد الحداثة» و «التاريخ الذي يفرق» (تاريخ الأقليات والمرأة والعديد، الخ). غير أن هذه المحاولات لفرش معايير مضحكة بهذا الشكل قد باتت بالمثل، وقد لخصت لهذا سيميكوس ما حدث: «بالنكيد من الممكن الدفاع، كما فعل، عن الفكرة القائلة بأن المقاربة (المحافظة) لتعليم الحضارة تشكل محاولة لا يمكن توصيها لزرع الرؤية الإجماعية في أذهان الطلاب، وهي رؤية خالية نسبياً من النقائص، لكن المشروع سيؤول إلى تغيير الاتجاه كذا، ما بين أيدي المؤرخين للتمتع والعالم الذين يدرجون علمياً التاريخ لتعلمين استيعاب أي وثيقة والرغبة لرؤية التعددية التي تحاول الحكومة محاربتها. وفي نهاية المطاف إن التاريخ الإجماعي (...) سيتعرض لنقد قاس من

كل هذه الأيديولوجيا

تتوافق على القول بأن الولايات المتحدة

تمثل الاستقامة والصلاح والحرية

والأمل الاقتصادي والتقدم الاجتماعي. وهذه

الأفكار تنحصر في الحياة إلى

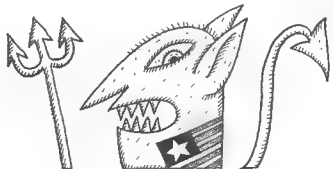
درجة أنها لا تبقى

مجرد أيديولوجيات بل تبدو

كحقائق «طبيعية».



العبد الواحد والخمسون، أبريل ٢٠٠٢م



وتبترز للعديد المتعمسة، الرابطين بين «مواضيع الأخبار الكبرى وهو رابط غير بديهي.

فلو نظرنا مذلًا في المعارضة الشديدة جداً على الحرب ضد العراق فإن صورة مختلفة تبرز من البلاد، إنها وإليات متحدة مستعدة أكثر للشعاعون لافتراءات والحوار. ولذود جانباً الكبير من الأشخاص الذين يعتبرون على الحرب خوفاً من الفسادة في أرواح الأمريكين أو بسبب كلفة العمليات، هابت بالانكساعات الدمرة على الاقتصاد هو أساساً في حالة معاناة، كما أنني لن أنظر في هذا المزيج المعقد الهائل من المحافظين الذين يرون أن أمريكا تتعرض لافتراءات الأجانب المخادعين وأمام المتحدة والشعوبين الكفار. أما بالنسبة إلى الطريق القوسوي والانعرالي، هذا التحالف الغريب بين اليسار واليمين، فإنه لا يستدعي أي تعليق آخر هنأ.

كما أنني سادع جانباً أيضاً هذا القسم الكبير جداً من الطليعة الذين يعيشون حالة من الشكوك العميقة تجاه السياسة الخارجية الأمريكية في مختلف أشكالها علمياً وخصوصاً في مجال العولة الاقتصادية، فهذه المجموعة التي تحدها مبادئ أخلاقية والتي تصل بخصوماتها أحياناً إلى حد القوسوي، تمكنت من تحريك الجامعات في الظروف الكبرى مثل حرب فيتنام والشميين العنصري في جنوب أفريقيا والحقوق المدنية في الولايات المتحدة نفسها.



إلا أنه يبقى علينا النظر في العديد من جماعات الوعي، والتي تشبه ما ينبغي اليسار في أوروبا وفي إفريقيا وآسيا علماً أنه لم يلق فعلاً في أي لحظة منذ الحرب العالمية الثانية أي تشكيل في الولايات المتحدة يشبه من أروية ما للحركات الاشتراكية أو اليسار ذا النزعة البرلمانية، إذ أن نظام الحزبين يحكم فضته جيداً.

في كل مكان من دون فوارق تقريباً، فمئلاً إن تعيين اثنين من الحكوميين قضائياً من زمن فضيحة وأرتجبت في مناصب مهمة من الحكم، وهما السيدان جسون بويندسترو واليوت أبراهام أثناء القليل من التعليقات، والأقل من الانتخابات. ويبرز هذا النوع من التسفير الأعمى للسلطة، الماضية أو الحالية، التقلية أو الفاسدة في أشكال متعددة تراوح بين الأسطة، المحترمة وحتى المجاملة، من جانب المعلقين والخبراء، وانقصار النظرة لرجالات الدولة على صورتهم الملمعة (مثلاً البيلة الدائكة اللون والقلميص الأبيض وحشما ربطة العنق الحمراء)، البرينة من أي ماضى قد شوهدوا ولو في أدنى حد. وما يزال ذلك هناك الإيمان بالبرجماتية كخلفاء لفسفي يعتمد لإدارة الواقع، إنها برجماتية مضادة للمورانية وللشرايفانية، وحتى، وهنا الغريبة، الفلسفة. هذا النوع من اللامستبي من زمن ما بعد الحداثة يشكل إلى جانب الفلسفة التحليلية أسلوب تفكير بالغ التأثير في الجامعات الأمريكية. ففي الجامعة حيث أعلم مثلاً بدرس مفكرين مثل هيجل أو هايدجر في فروع الأدب أو تاريخ الفنون، وإنما نادراً في باب الفلسفة.

إن هذه السلسلة من «رواية الأحداث الكبرى»، العجيبة بليانها هي التي تتولى وسائل الاتصال الأمريكية التي انتشرت وتشعلت مؤخرًا، نشرها مهما كلف الأمر وخصوصاً في العالمين العربي والإسلامي.

أما السياسات التي تتشبه بالتماعيز فيجري التكمك عليها عن قصد، وهي تشكل نوعاً من الذائكة المختلفة شبه الرسمية نابعة من كون الولايات المتحدة بلد مهاجرين. وتبرز هذه الاختلافات من خلال بعض الفجوات أو حتى داخل مختلف «مواضيع الأخبار» هذه. لكن ولأسلاف كلهم المعلقون في الخارج الذي يأخذون في الاعتبار «البحر» من الانشقاقات، وسواء أكانت مجموعات الراي هذه تقديم أم رجعية فإنها تشكل

شيئاً من الخبث الطبيعي لدى الأجانب الأوغاد، كما هي الحال بالنسبة إلى فرنسا في معارضةها الحرب على العراق. وفي هذا السياق يجري باستمرار تذكير الأوروبيين بأن أمريكا قد أنقذتهم مرتين في قرن واحد، على أساس أن معظم الأوروبيين ظفوا في صفوف المتفرجين في حين أن الأمريكيين هم وحدهم خاضوا الحرب.

أما فيما يتعلق بالمناطق التي تورطت فيها الولايات المتحدة منذ نصف قرن تقريباً، مثل الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، فإن الموضوعات التي تقدم الولايات المتحدة على أنها الوسيط الحيادي، كقوة دولية تعمل للخير، لا تجد في بعضها جدياً، فحنن هذا إزاء فقر لا يأخذ في الاعتبار إهمات السلطة والمكاسب المحققة ونهب الثروات وتغيير الأنظمة بالقوة (أو بالانقلابات) مثلاً في إيران في العام 19٥٣، وهو فقر لا يكاد يسمح بأن تعزعه جهود أولئك الذين يذكرون بهذه الوقائع.

ونقترح أكثر هنا من هذا النوع من الواقعية، مع التوريات المقيتة من جانب مؤسسات الأحداث أو الحكومة حيث يشار إلى «القوة الهادئة» أو إلى عملية «الإنفاذ» أو «الطريقة الأمريكية». ولما ظهرت فيها أيضاً (أو حتى يثار الحديث فيها) أخبار عن الفسافة الوحشية والظلمة التي تضطلع فيها وإشتطن بالمسؤولية المباشرة مثل معصاة حملة السيد أربيل شارون على المدنيين الفلسطينيين في الحصار الرهيبة في أوساط المدنيين في العراق بسبب نظام العقوبات، أو حتى الدعم الملمد للنظامين التركي والكويتي، وهذا كله يلقى خارج إطار أي بحث جدى في السياسة الخارجية.

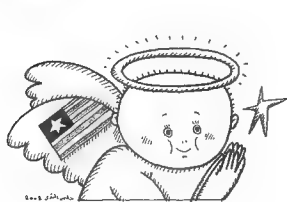
وهناك أخيراً الموضوعات الخاصة بالحكمة الأخلاقية المتجسدة ثقافتنا في رجالات الدولة السيد هنري كيسنجر أو السيد نيكسون، كما يجمع مسئولو الإدارة الحالية، وهي التسمية المتكررة

أولئك المؤرخين الذين يؤمنون بأن العدالة الاجتماعية وتقاسم السلطة يفرسان قراءة الماضي بطبيعة أكثر تركيبياً.

وفي الدوائر العمامة، وإن تكن خاضعة بالمثل للطرق لوسائل الإعلام الكبرى، تقع على سلسلة كاملة من «موضوعات الأخبار»، كما سميتها، التي تتلف النقاش وتقلقه وتضع له حجاباً، بالرغم من مظاهر التنوع والتعدد، وإن أكرهنا إلا بعضاً منها مما يبدو وثيق الصلة بأحداث الساعة، فأحدنا هو هذه «نحن» الجماعية، الهوية الوطنية المتجسدة ظاهرياً، بدون أي مشكلة، في رئيسنا وورير خارجيتها وفوقنا المسلحة المنتشرة في الصحراء، وفي مصالحنا المحددة عادة تحت عنوان الدفاع الشروع عن النفس، والمجرة من كل نوازع خفية والمغلة بـ«البراءة».

ومثل آخر من هذه «الموضوعات» يتمثل في عدم مصداقية التاريخ ولا شرعية الحديث مجدداً عن السوابق المجرية، كالدعم الأمريكي للرئيس صدام حسين مثلاً أو لسانمة في لبنان، أو أيضاً تكون حرب فيتنام وما رافقها من دمار مقيم يثير أمر «سيدا» بالنسبة إلى الولايات المتحدة، أو أنها شكلت، كما دعا السيد جيمي كارتر في يوم من الأيام شكلاً من أشكال «القمع الذاتي المتبادل»، المستغرب أيضاً وهو عملية التهميش المتواصل وحتى المؤسساتي لأميرين معيشين رئيسين في تكوين المجتمع، والمقصود استبعاد الشعوب الأفرو-أمريكية، وأراضي الهنود الأمريكيين وأبادتهم بشكل ناجز تقريباً. ففي حين نجد في العاصمة واشطن متحداً للمرحلة اليهودية، ليس في أي مكان آخر ما يعاقله لا بالنسبة إلى الأفرو-أمريكين ولا إلى الهنود الأمريكيين.

والمثل الثالث هو هذه القناعة العمياء بأن كل معارضة لنسبستها في نوع «العداء لأمريكا»، ولتقلع على الغيرة، التي يصدونها على «ديموقراطية» (الحرية والثروة والظنود...) أو أيضاً أن في الأسر



صاحبها: ٥٥٥

## الخطأ الكبير في نظرية فوكوياما حول نهاية التاريخ، أو هي نظرية صموئيل هنتنجتون في «صدام الحضارات» ناتج من كون كليهما يفترض خطأ أن تاريخ الحضارات يقتصر بمسألة مراحل محددة، في مواقع زمنية محددة بدقة

تامة من «جميع الأمريكيين»؟ لقد اقترحت هنا نظرة أخرى إلى الولايات المتحدة كبلد تعصف به الصراعات وحيث حالات الاحتجاج أكثر نشاطاً مما يقال بشكل عام. إنها أمة واقعة في أزمة صراع هويات جدي، وقد تمكنت من كسب الحرب الجارية كما يطيب للبعض أن يقول، لكن انكسارات هذا النصر في الداخل قد لا تبدو جلية حتى الآن، فالصراع لم ينته. فالتركيز جداً على السلطة المركزية والعسكرية والسياسية، أي على الجناح التقني، يعني مجانية المواجهة الداخلية المتواصلة والتي يبدو أن حسمها مؤجل.

فالخطأ الكبير في نظرية فوكوياما حول «نهاية التاريخ»، أو في نظرية صموئيل هنتنجتون في «صدام الحضارات» ناتج من كون كليهما يفترض خطأ أن تاريخ الحضارات يختصر بمسألة مراحل محددة، في مواقع زمنية محددة بدقة، لها بداياتها ونهاياتها. بينما في الواقع يعتبر الحل الحضاري السياسي ميداناً لصراع الهويات وتقدير المصير والإسقاطات مستقبلاً. فإلى حضارة، وخصوصاً حضارة الولايات المتحدة، تكون مؤلفة من أطوار من الهجرات المتلاحقة، وذلك هو مبدأ أحد الاعتبارات السياسية المتقدمة للعولمة، أي ظهور جماعات عبر الحدود ذات مصالح عالمية مثل حركة حقوق الإنسان والحركة النسائية وحركة مناهضة الحروب على إل. وليست الولايات المتحدة في إنتاج عن كل ذلك، ويجب النظر ما وراء واجهة الوحدة البادية والمشاركة في جعل هذه الجالات التي يفتري تحدها عند كغير من البشر في العالم أجمع. وهكذا سيكون في الإمكان إحياء الأمل والشجاعة. ■

الوطنية المرحلة هذه. وقد تجمعوا للدفاع عن الحريات المدنية (ومنها حرية التعبير عن الرأي) التي باتت مهددة بفعل «قانون الوطنية» U.S.A. Patriot Act» فالجمعية ضد قانون الإعلام وأحياناً ضد كل أشكال التصفية المقتلة في معتقلات جوانتانامو، والكرامية العامة تجاه السلطات العسكرية والادنية، وحالة الإرباك الناتجة من نظام السجون الذي يخصص أكثر فاكتر لياسر من الأفراد (نسبة إلى عدد السكان) أكثر مما في أي بلد آخر في العالم (ويذهب عدد غير متكافئ من رجال ونساء ملونين...)، كل هذا يقض مضجع الطبقات الوسطى.

ويتعكس هذا الوضع المرتبك في الحيز الافتراضي، حيث أمريكا شبيهة الرسمية تعارض أمريكا الرسمية، فمن المواقف المقلقة مثلاً، الهوية التي تتجمع بين الانقياد والفساد إلى ما لا يمكن تصديقه من التمييز والفساد للسيطرين في الدول الرأبالية العليا وإلى المخاطر المستحكة مع نظام التقاعد بسبب مختلف أشكال الخصخصة وما يرافقها من ضيع مارد، كل ذلك يستمر يغطي بقوة على الفضائل التي طالما استمدت في هذا النظام الرأسمالي الخاص بالولايات المتحدة.

فهل أمريكا هي فعلاً موحدة وراء هذا الرئيس الأمريكي صاحب السياسة الخارجية الاحترازية وصاحب النظرة الاقتصادية البميسة بشكل خطير؟ وبكلمة أخرى هل هوية الولايات المتحدة قد حدثت نهائياً بشكل يفيد أنه بات على سائر العالم أن يتعلم كيف يعيش في ظل قوتها العسكرية (وحتى نجد العسكر الأمريكي في الحضارة من الدول)، في ظل كتلة أحادية الأساس تخوض الحروب يميناً وشمالاً في مناطق عاصية وبموافقة

ورجال علم وجامعيين بنوع خاص، إلى بعض النقابات وقطاع الحركة البيئية) ممن يساهمون في نهائية هذه التيارات المعاكسة التي أعدها وحتى وإن تكن كهيات نظامية تبقى مرتبطة بالنظام الاجتماعي وبما يفرضه من متطلبات. ولم يجب عدم التقليل لطف من قدرة الكناس القمصة على أن تكون معيناً للممارضات وإلزادة التغيير، ويجب الفصل بين اتساعها وولئك الأصوليين أو المشرين التلفزيونيين المذكورين أعلاه. فسلطانة الكاثوليك مسئلة مثل العلمانيين وبكعة الكنيسة الانجليكانية إضافة إلى الكوارز والجمع الكاثفاني، وبالرغم من الفضائح الجنسية في أوساط الأول وتراجع تأثير الآخرين، قد اتخذوا مواقف تقدمية لافتة في مسئلة الحرب والسلام أو داروا على انتهاك حقوق الإنسان في الفجارج أو على الموازاة العسكرية الضخمة أو على السياسة الاقتصادية النيوليبرالية التي قضت على الفقراء العام منذ أوائل ثمانينيات القرن الماضي.

وتاريخياً كان هناك قسم من الطائفة اليهودية المنظمة التزمت على الدوام بحركات النضال من أجل حقوق الأقليات داخل البلاد وخارجها. لكن منذ عهد ريغن، كان من شأن صعود المحافظين الجدد، وقيام التحالف بين إسرائيل واليمين الديني إضافة إلى النشاطات المجمعة للحركة الصهيونية الهادفة إلى إقامة نوع من المعادلة بين انتقاد إسرائيل والعداء للسامية وحتى لإزالة المخاوف من «اوشفيتز أمريكية»، أنه خفف على حد كبير من الأثر الإيجابي لهذه القوة. واخيراً فإن عدداً كبيراً من هذه المجموعات والأفراد الذين يدعون إلى التجمعات والتظاهرات وسائر الفعاليات قد ظلوا على مسافة من جوة الحماسة

فهناك أول الجناح اليساري من الجماعة الأورو- أمريكية، أي تلك المجموعات المدنية التي تناضل ضد وحشية البوليس والتمييز في مجال العمل وبؤس المساكن والمدارس، وترفعها أو تطلها شخصيات مثل القس آل شاربتون والسيدس كورتل وست ومحمد على وجيسي جاكسون (وإن كان نجمه قد أفل إلى حد بعيد) وآخرين ممن يسرون على خطى مارتن لوتر كينج. وإلى هذه الحركات يمكن ضم العديد من المجمعات الائتية اللاتينية والهندو- أمريكية والمسلمة، وقد بذلت جهوداً جبارة من أجل دخول الحكومات المحلية والوطنية والتمتع من المشاركة في هذا أو ذاك من برامج الحوار المفضية ليتسنى لها احتلال مواقع في مجالس إدارات المؤسسات والجامعات والشركات الكبرى. لكن في الإجمال لا يزال يحذر معظم هذه الجماعات الشعور بالانظم وبالتعزيز أكثر منه الطموح، وهي بالتالي ليست جازفة للالتحاق كلياً بهذا «الحلم الأمريكي» الخاص بشكل أساسي بالطبقات الوسطى البيضاء، وما يثير الاهتمام لدى شاربتون أو فلفل لدى رجل مثل رالف نادر هو أنهم بالرغم من قدرتهم على الرؤية وإلى أنه يجري التمساحل معهم إلى حد ما فإنهم يبقون خارج النظام حيث لا يمكن استيعابهم كونهم منتسبين جداً ولا تخبرهم بما يكفي المكافآت المعهدة.

وشأن قريب واسع من الحركات النسائية التي تناضل من أجل الحق في الإجهاض وضد أعمال العنف والإرهاب ومن أجل المساواة في العمل، يشغل ورقة رابحة أخرى في التناحر المعارض، وكذلك هناك بعض أصحاب المهن المتحفظين عادة وقد استغرقتهم مسئلة المصالح الشخصية أو العليا (نطاء) ومحامون



# أمريكيون فقط!

ديفيد بلانكس

وهناك الكثير الذي يمكن قوله. فمعظم الأمريكيين لا يعرفون صحيفتي «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز». بل إن شبكة سي إن إن الدولية، التي يعتبرها المراقبون في الخارج مرجعاً، ليست متاحة داخل الولايات المتحدة. ولا يشاهدها الأمريكيون بالقرء. أما المهتمون بالأخبار، ويبدو أن هؤلاء أقلية من السكان، فيحصلون على عرضهم اليومية مع تناول وجبة الإفطار وهم يشاهدون برنامج Good Morning America أو Today Show ومقارناتها ثلاث دقائق من الأخبار الدولية وساعات وساعات من أخبار الطقس والموضة وهوليوود والدراسة المحلية. أو ربما يشاهدون نشرة الأخبار المسائية على إحدى الشبكات القومية («إن بي سي» أو «إيه بي سي» أو «سي بي سي»)، أو يقرأون «نيو يوركر» وهي الصحيفة التي نادراً ما تستكتب النماذج الاعلانية الدوليين ولكنها تطل أرباب رجل الشارع الأمريكي أكثر من مطبوعات الساحل الشرقي المماثلة التي هي أهداف مستعانة للتفكير غير الغربيين.

ولكن حيناً كثيراً جداً استغل في الكتابة عن هذا الموضوع. غير أنني الآن إن الأمر يستحق التفكير في الجانب الآخر من المعادلة. فبدلاً من تحليل ما يقرأ الأمريكيين، قد يكون من المفيد محاولة تحديد ما الذي يقرأون هم فيه بالفعل. صحيح أنهم يتناولون جرعات يومية من المعلومات غير الدقيقة والنقص، ولكن هذا نصف التحليل. ونحن نقرأ القليل جداً عن كيفية استيعاب هذه المعلومات المنحرفة وتوابعها. وإذا كان العرب والمسلمون يربطون أن يكونوا قائلين في محل أصواتهم مسموعة، فإن عليهم أن يقرأوا صوتاً بعيداً جداً في محاولة فهم نصية جمهورهم المستهدف. وهذه ليست بالمهمة السهلة.

بداية، ليس هناك بالطبع شيء اسمه «الأمريكي العادي»، فكل إنسان له آراءه الخاصة (أو يفتقر إليها)، التي عادة ما تشكلها الظروف الشخصية أكثر من الأمر القومي، وينطبق هذا على المجتمعات الأخرى كذلك. إلا أنه بدون أن يعيش المرء التجربة بنفسه، ومع مرور معظم المعلومات من مصفوفة إعلامها القومي، يصعب على مواطني الدول الأخرى أن يفهموا فهماً تاماً قراءات أولايات المتحدة. قد يمشي كثيرون في العالم النامي حين يمشون، على سبيل المثال، أن أكثر من ٣٤ مليون أمريكي (٢٠,٥٪) يعيشون دون خط الفقر. أو أن أقل من ٢٥٪ حاصلون على شهادات جامعية.

هذه الإحصائيات مهمة لأن هناك علاقة متداخلة بين الثروة والتعليم واحتمال أن يكون لدى الأمريكيين آراء مفيدة عن الإسلام والعالم العربي. ففي الغالب الأحيان لا يمتلك الفقراء والاميون الأدوات الفكرية اللازمة للتمييز بين شعب ما وحكومته، أو بين دبر ما والضيف العرض من المعارض والتأويلات التي ترتبط به. ويعني هذا أن هناك حساساً لدى تعليم الأمريكي «العادي» كيف يفهم أن المسلمين والعرب أرباب، يعيش كل منهم ويفكر بطريقته، وإن الانعاط القومية شديدة التعصب التي تقدمها وسائل الإعلام هي كذلك وحسب. وهذه مشكلة يمكن التغلب عليها، ولكن ليس من خلال الوسائل التقليدية مثل إنشاء

■ إذا استوقفت مواطناً أمريكياً عادياً، في شارع عادي، في مدينة عادية من مدن الغرب الأوسط، وسألته عن رأيه في الإسلام، فاحتمل هو أنه سيهز كتفيه. كذلك إن معظم الأمريكيين ليست لهم آراء قوية بشأن العرب والشرق الأوسط والإسلام، أو بشأن العالم الخارجي بصورة عامة. ومن المؤكد أنك ستستقر على الشخص المتحيز الاستثنائي، من ذلك الصنف الذي يحب أن يكتب وسائل المصنوع، غير أن معظم الناس لا يعرفون حتى الصحف، هاهنا عن الكتابة إليها. وعموماً تكتف رسائل القراء وجهة النظر المتطرفة، سواء أكانت في اتجاه اليمين أم ناحية اليسار.

والوطن الأمريكي، شأنه شأن غالبية مواطني معظم الدول، تشغله أسرته وصحته ووظيفته (إن كانت له وظيفة) وسيارته (إن كان يملك سيارة). وهو يشاهد التلفزيون كثيراً، أربع ساعات في اليوم تقريباً، وحين يبلغ الخامسة والستين يكون قد أمضى تسع سنوات كاملة أسيراً لجهاز التلفزيون. ويكون قد أمضى القليل نسبياً من هذا الوقت في مشاهدة الأخبار. أما برامج الألعاب والبرامج الجماعية والبرامج الرياضية وفنون الموسيقى وكوميديا الموقف والمسلسلات، أي عالم الخيال، فهي الغذاء اليومي.

وصحيح إلى حد كبير أن رجل الشارع ينشغل أحياناً بحالة الأمة، إلا أن همومه، كما في أي مكان آخر، في معظمه هموم محلية: فهاهنا الاقتصاد والخراس والجريمة والضرر والاضطراب السياسي وغيرها. وهو مستعد إلى حد كبير أن يخاصم بالآراء في السياسة الخارجية، ولكنه بطيء لاتخاذ هو سيكون رأياً موحداً. فالأمريكي العادي يعرف القليل عن العالم فيما وراء حدود الأمة، أما فيما يتعلق بالإسلام والعرب والشرق الأوسط على وجه الخصوص، فهو لا يعرف شيئاً البتة، بل ولا يهتم كثيراً بذلك.

يقع بعض العلوم على الإسلام. ففي كثير جداً من الأحيان لا تتخذ المنظمات الإخبارية موقفاً نقدياً من المعلومات التي تحصل عليها من الحكومة. بل في الأضغى من ذلك أنها غالباً ما تكون متذبذبة فيما أسماه ناوم تشومسكي «بروباجاندا الصمت»، وهو ما يعني عدم نقل تلك الأحداث التي تتناقى مع مصالح مجلس التحرير أو كبار من يقدمون لها الدعم المالي والسياسي، لأنه لا بد أن تكون حريصين على عدم الخبالفة في أكثر تلك التقديرات. فالواقع أن هناك لسيراً من الشواطئ بين الحكومة وجمعيات الضغط والمنظمات المالية والإعلامية الكبيرة التي لها مقترضة هؤلاء الذين يعيشون في مناطق حرية الصحافة فيها مفيدة. وتستحق الصحف وشبكات التلفزيون العربية انتقاداً حين لا تقدم رؤيتها للأحداث. لقد جرت العادة منذ زمن بعيد على تجاهل قضايا تحظى بالاهتمام في هذا الجزء من العالم، أهمها اتفاق الخاص بتيار أمريكا الأيمن لإسرائيل وقضيتها إعطاء الفلسطينيين حقوقهم. إلا أن ما أريد توضيحه هنا هو أن السبب في كون القوى اليهودية يبدو على هذه القوة والاضطرار المصاحبة هو نفس السبب الذي يجعل جماعات ضيقة أخرى مثل «اتحاد البندقيّة القومي» على هذا النحو من القوة، لأنها تسعى سعيًا لا حديد عن تحقيق أهداف بعيدتها لا تتم الأمريكيين كثيراً. ومن ثم فإن تركيز الدعاية الإعلامية أن يصل إلى أصل المشكلة، الذي يمكن إلى حد ما في نظام التعصّب وفي الإحصاس الأمريكي باللامبالاة والنزعة الانعزالية.



## الأمريكي العادي يعرف القليل عن العالم فيما وراء حدود الأمة.

### أما فيما يتعلق بالإسلام والعرب والشرق الأوسط على وجه الخصوص، فهو لا يعرف شيئاً البتة، بل ولا يهتم كثيراً بذلك



الصراعات الواقعة في اسكان مثل إيرلندا الشمالية أو زيمبابوي أو شمير أو سريلانكا من المؤكد أن هناك اختلافات كبيرة. لكنناك العربية بصورة عامة غير متجربة لهذه الأمور من الناحية السياسية. بل إن موضوع هو أنه سيحصل الانشقاق الطائفي والعرقي، نجد أن الأمريكي العادي بعيد عن المشاكل التي فلسطين بعد العصر العادي عن المشاكل التي في كولومبيا.

ولكن من الناحية الجدية كما عدم مسئولية أخلاقية على مواطني أي دولة في العالم كي يُعلموا أنفسهم بالأمسياسات حكومتهم الذين في كثير من الأحيان في الدول الأخرى، ولكن من غير الدول التي تلقن أنهم سوف يصلون في يوم من الأيام إلى مستوى الوعي السياسي اللازم لخلق سياسة خارجية مستقلة واتخاذ لخطتها. وهم معظم الناس في الأمة والناحية الأخرى، يستلم الأمريكيون أكثر ما يهتمون بالسياسة التي تتصل بهم اتصالاً يومية؛ وهم على عكس من يعيشون في الامتداد أخرى من العالم، وخاصة في الشرق الأوسط، نازراً عما يخصهم، وبالحدائق التي تقع خارج منطقتهم، لهم لا يرون أن ذلك صلة بحياتهم، ولا يربطون في الواقع أن يشعروا أنفسهم بالسياسة، وخاصة سياسة الدول الأخرى.

من أي الناحية أشياء أخرى، وهذه هي الطبيعة البشرية، وما يكون الأمر محزناً ولغته واقع البشري. ولذا نرى قبل الحادي عشر من القرنين الأخيرين، كان يهتمون بشؤونهم الشخصية، وليسوا مهتمين بغيرهم. الأمريكيون الذين هم قبل التصويت أنفسهم عناية الأولى بأصواتهم في انتخابات الرئاسة. بعد مائة من أربعين بوش إلى ثمانية من حوالي ٢٠٪ من الأمريكيين، كان معظم هؤلاء يصوتون بشأن قضية محلية. أما بعد الأمريكيين الذين صوتوا لانتخابات جورج بوش بناء على سياسته لانتخابات فضيل جداً، فالغالبية لا يهتمون. ذلك أنه مسألة بعيدة كل البعد. وكان الذين أصبحوا مركز التجارة العالمي يهزكون ذلك، وتغير الواقع قليلاً تقريباً مؤخرًا، لأنك ستدشن من السرعة التي تغتنم بها الناس من العودة إلى عاداتهم الدينية الكلاسيكية.

ومن المفارقة أن مواقف الأمريكيين تجاه الإسلام والعرب قد تكون قد تحسنت استجابة لحدثين من مستخدمين. في بيون استدعاء لفرار أجرة حشره إيدي بي سي نيوز/إيبيديت، كان هذا مثيراً كشيء ٢٠٠١ الأمريكيين أنه تكون اهتمامهم بغيرهم من الإسلام في أوقات الهجوم على مركز التجارة العالمي. حيث دعا هؤلاء إلى ٢٤٪، وبهذا لا تظهره الاستطلاع نفسه، ينظر ٢١٪ من الأمريكيين إلى الإسلام نظرة طيبة. ومعتقد ٢٤٪ من الإسلام يدعو إلى أكثر طيبة. ومعتقد ٢٤٪ من المسلمين، ويعتقد ٥٧٪ من الأمريكيين أن الإسلام مثير للجدل. وهذا يعكس شيئاً نلاحظه من قبل. في الوقت الذي يزداد فيه اهتمام الأمريكيين بالشرق الأوسط، هناك فرصة تعرض وجهة النظر الغربية للإسلامية على الأمريكيين الذين يسعون للحصول على المزيد من المعلومات وعلى قدر أكبر من الفهم.

في سبيل المثال، وفيما يتعلق بالدين، بل كل هذا قبل الحادي عشر من سبتمبر كان بعيداً. واحد منهم للغة كانت الدينية الأكثر ميلاً على قائمة موقع «هاتزون» عن الإسلام، أما الآن فهناك أربعة عشر عن الإسلام ضمن الحادي عشر.

وهذا الأمر صريح أكثر. فلماذا يؤيد الأمريكيون إسرائيل؟ لأننا جميعهم لأمم ويؤمنون بالتساويات اليهودية الإكسكروني وتؤمنون المنظمات الدينية؟ لا ليس نتيجة للإيمان، أو الصلح مع جانب اللوبي اليهودي، أو أي عامل خارجي آخر. بل هو أنهم يريدون تتحدث بلغة الآن، فإن معظم المواطنين يهودون إسرائيل لأسباب دينية؛ أي تلك الأسباب التي وردت في سفر التوراة. آخر أسرار العهد الجديد التي يتنبأ بها يوحنا، وفي الحركة الأخيرة مع العصر الحالي التي سوف يتناقص واستمرار المسيح وبداية ملكوته على الأرض، وفي استطلاع آخرته مؤخرًا، تأييد ١٥٪ من الذين أجريت معهم المقابلات أنهم يؤيدون بأن يهودات الكتاب المقدس سوف تتحقق، وقال ٣٦٪ منهم يؤيدون إسرائيل. ١٤٪ منهم يؤيدون منوهة القتال بينهم بضربوا عن تلك القضية إسرائيل قبل أن يذهب المسح إلى ذلك بقليل. القائمة وتأييد العامة يعتقد حوالي ٢٥٪ من المستطلعين أنهم لا يوافقون على تلك الأسباب. وجهات النظر عند من يسعون، فلماذا نعلم عن إحصائيات أظهرت أنها في كثير من الظروف تميل إلى على من يشعرون أنه يمكنهم كسب الدعم لفرضية استقصائية عن طريق الشؤون في اللوبي اليهودي أو عن عيشة التفرق في مساهمة. فليس من المفكر كسب اليمين الإسلامي.



ومع ذلك هناك فرصة كبيرة في الوسط. فاعلمية الأمريكيين - روستناتنات العام وتفرؤهم من التكاليف. على أن استخدام المظالمين لأن ذلك الواقع الختصة عن أي جانب في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ورغم مسحة أن حوالي ٢٤٪ من الأمريكيين متعاطفون مع اللوبي الإسرائيلي - وهم نفس العام الذي لم يتغير منذ عام ١٩٦٧. فإن الغالبية العظمى التي تبلغ أكثر من ثلاثة أرباع الأمريكيين، تزيد من الحكومة أن تعيد تلك القوات التي في الخارج، وتلك المساهمات الخارجية، بل ينقص بل الأمم المتحدة، تلك المؤسسة التي لا يهتمها الكثيرين من الأمريكيين ولا يتفقون فيها في واقع الأمر. (تصوّر مصلحتهم من الروايات الجديدة عن سفر التوراة يشعري طبيعة كبيرة. المستكبر العام للائحة على أنه أصبح الجدل.) وهذه أراء غير العلمية، ولكن صدورها في الإسلام. أنها نتيجة للزعة الانتمائية بكل جنسياتها.

ولم بعدة الأمريكيين عموماً كسحب محاولة فهم الثقافات الأجنبية. بل هو مهجور. دينياً، وماذا عن سفر العالم. ولم لا يتحدثون اللغات الأجنبية. وما يفسرون. قد يكون من الصعب تصديق أن أقل من ٢١٪ من الأمريكيين لديهم جوازات سفر، ولكن هذا هو الواقع. بل الرئيس بوش نفسه لم يملك جواز سفر خارج الولايات المتحدة إلا أربعين لحي انتخابه. إنهامها للعسكريين والأمنيين. وكذا، بعد مائة سنة من الحرب العالمية الثانية على يد الحادي عشر من القرن الماضي، هناك حاجة إلى المزيد من الفهم.

مواقع إسلامية على الإنترنت أو بث برامج مؤابية للإسلام، وهذا يعني أن هذه المبادرات عبر مدية، بل هي مفيدة بالفعل. ولكن أي فطر أو أوضح أن أمريكيين كثيرين لا يظنون بأنهم على ذلك الموضوع في التسايرين الإسلامية الوضوعية التي يطالب بها كثيرين في الشرق الأوسط. (أما إيماننا نحن بالحق، بالواقع، فلا مد أن يكون ذلك من خلال مشكلة. ومن الناحية الدينية كذلك. تعد أمريكا أكثر الأمم تشارياً. فقد تلقا إيماني في العالم كل خط على شواطئه، ولقد يكون مستغرباً كذلك بالنسبة لبعض غير الغربيين أن يكشفوا أن الأمريكيين عموماً شدمو الدين. فالأمريكيون الذين يؤمنون بالله أكثر بكثير من نظرائهم الأوروبيين أو الإسرائيلييين، وهم أكثر انفتاحاً في حضورهم الصلوات في أماكن العبادة. وتبين دراسة أجريت حديثاً بأنهم يعانون من الشك في الهوية الدينية الإسلامية (٢٠٠١). فالأمريكيون أقل غلابة عما يشعرون بشك كثير من غير الأمريكيين. وقد طرح الاستطلاع على المستجيبين السؤال التالي: «حين يشعل الأمر بوقدك، هل تتحدره (١) علمانياً (٢) علمانياً على حد ما (٣) دينياً بعض الشيء» (٤) دينياً». إجمالاً وصف ١٦٪ موقفهم بأنه علماني أو علماني على حد ما، بعدما وصف ٥٧٪ موقفهم بأنه ديني أو ديني على حد ما.

وتحت سطح هذا الاختلاف تقع قضايا التعديلات الدستورية المتعلقة بالانتماء والانحياز واتكالت الاستقصائية والهوية والفصلية لشخصية وما شابه. ومع أن نصف الناس ٧٦٪ من الأمريكيين الذين وصفوا أنفسهم بأنهم مسيحيين تقريباً هم من الروستناتنات، فإن العلماء والممارسات الروستناتنات متشعبة تنوعاً بعدة دلالة؛ فهي لا تتراوح بين الناحية البنية السائدة العادية لنبذة الحاخامات بطائفة الكاثوليك في أوروبا وبسلفطانيا وأطراف البنية المسجلة والخارجية في الشمال الغربي، الباسيفيقي، فالناسلون يحدون الجميع، بينما الغامبون لا يظنون سوى الكفر، وهذه الأمور لا تلتك في الجماعات على في الشرق الأوسط، بلهم قد يمتاحقون الجميع أو يظنون أن كل إيمان دون تفرق بينهم.

وكشأن الكثير من بعد انتماءات الهاتمية، يصعد كذلك عدد كبير من المواقف الروستناتنات التي انتقلت إلى التيار العام على الناحية الحرفية للصراعات الخاصة به على الناحية المقدس، ولكن في غياب خلفية معرفية كافية، وسكن في هذه الجماعات التي نتائج شديدة الاختلاف بشأن معنى شخصها الدينية. ومن ذلك في الحكمة الإسلامية التي تعطينهم عن فهمها دورها في التيار العام لمسألة الخارجية الأمريكية. ويصنف نفسه أكثر تقريباً أنفسهم يهوداً، روستناتنات، وهذا قد لا يعني أنها جميعاً يهودون بطبيعة واحدة كما ينبغي ذلك.

ولماذا الكثيرين على سبيل المثال، فاليمين اليميني المحافظ كان على الدوام الأكثر تأييداً لإسرائيل. وفي وقت الانتخابات الرئاسية السابقة في عام ٢٠٠٠، كان معظم الناس في التيار العربي يؤيدون المستجيبين. وكان كتاباً من مروجين في الكفر وحسن نائب رئيس يهودي في الولايات المتحدة، فليطير، وما لم ندرسه أو لن المستجيبين الإكسكرونيين جيهوديون في الفهم. ولم نجدتهم ثانياً إسرائيل من أي أمريكيين ليهبر اليمين. ومن بينهم الكثير من اليهود.

العشرة الأكثر ميلاً. وبالمثل، اتجه ٢٤٪ من مرتادي الإنترنت الأمريكيين ضد الحادي عشر من سبتمبر إلى مصادر الفئحة للحصول على مزيد من المعلومات. وفي الجامعات كذلك يزداد عدد للتعليم لبرامج في الدراسات العربية والشرق أوسطية، وإلى مرة في التاريخ الأمريكي بوصفها الإسلام والعالم العربي جزءاً مطوياً في منجز الجامعات والدارس الثانوية في أنحاء البلاد. فعلى سبيل المثال، يلزم في إحدى مدارس كاليفورنيا الآن أن يحضر طلاب الصف السابع (١٣ عاماً) دورة مكثفة لمدة ثلاثة أسابيع عن الإسلام يتعلمون فيها مبادئ العقيدة، ويترسون عن الشخصيات، ويتحدث كل منهم أسساً ويترنون الجلباب، ويتخذ كل منهم أسساً مسلمات، ويظنون جهادهم (بعض الطلاب عما يعني هذا). ورغم عدم مشاكل في هذا المنهج، إلا أن وجوده أفضل من عدم وجوده بالرارة.

لا بد أن يكون هناك رد فعل معاكس، إذ اشكتي بعض أولياء الأمور أن في القرنين التي تحكم الفصل بين الكنيسة والدولة تعني تعليم للطلاب بعض العقيدة، وفي أماكن أخرى دفع للحد من تعليمهم المسيحية. رافع على لائحة طلاب ومعلمة مسيحية محافظة دعوى ضد جامعة نورث كارولينا بشأن شرط جديد يفرض بأن يقرأ كل الطلاب الجديد كتاب: Approaching the Quran: The Early Revelation التي يشتمل تفسيراً للإسلام والخمس ولأكثر من مئة مرجعاً من القرآن نفسه. كما يهتمون بحضور مناقشة من قبل الكتاب، سوف يكون الطلاب قليلين من الأمريكيين على حد ما للإسلام أكثر من قبله. ويتسبلي أن تری كسب سيكون رد فعله الليبراليين داخل المؤسسة السياسية، وسننر العالم بصورة عامة. وجاء هذا، وكما الحال سبيلهم الدوامان ويبدو كانه يول، والامر الإسلامي عشر من المسلمين يسرع عملية إيجابية كانت تحدث بشكل من الانكسار. ولأننا أن هذا يؤيد مصداقية في ذلك الزمان، وإننا بعد خمسة عشر سنة من الآن قد تنتشر إلى أن أنه الخلقة التي أصبح فيها الإسلام وأحد من أديان التيار العام الأمريكية.



إنها فرصة أخرى في سبيلها لتجويد، ويمكن أن تهمهم صورة الإسلام أن يحدوا فرقاً. إذ يمكنهم عن طريق عدم معقلات مثل مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية، ومجلس التنسيق السياسي الإسلامي الأمريكي، والتجلس الإسلامي الأمريكي، المساعدة في تشكيل مواقف الأجيال القادمة. وسوف يكون من المثير بصورة خاصة لو أعطيت حقوق الأفراد الأمريكيين غير المسلمين الذين يحضرون ويتحدثون مع أفراد عرب ومسلمين حقيقيين أمجاد، ولكن معظم الأمريكيين لم يلقواوا بأي من هذا الأمر. تعيش في الشرق الأوسط، شنس أحياناً مدى اختلاف السكان الأمريكيين والعرب في أمريكا، معظم الأمريكيين العرب ليسوا مسلمين، ومعظم المسلمين الأمريكيين ليسوا عرباً.

وفرات مؤخرًا أن حوالي ٣٠٠ أمريكي اعتنقوا الإسلام في الولايات المتحدة منذ الحادي عشر من سبتمبر. وإن أن هذا رقم مبالغ فيه، إلا أن التناقص - وإن لم يكن



## كتاب الزاوية



مقدمة ابن خلدون

مقدمة ابن خلدون التي اشتهرت بهذا الاسم هي مدخل  
موسم لكتابه الشهير «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام  
العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان

ويقع الكتاب في سبعة مجلدات يتصدرها المقدمة التي تحدثت عن حقائق جغرافية ورياضية وعمرانية وفلكية كثيرة.

كما تناولت أحوال البشر واختلاف طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان وتطور الأمم والشعوب وأسباب انهيارها .

وقد سبقت أفكار ابن خلدون في هذا المجال علماء غربيون كثيرون وخاصة في أحوال المجتمع الإنساني أو ما أسماه العمران البشري، واعتبرها المؤرخون نقلة نوعية في دراسة التاريخ التي لم تعد مجرد سرد للأحداث، بل ميداناً للتفكير والتحليل والاستنباط.

ولد ابن خلدون، واسمه بالكامل عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، عام ١٣٣٢ ميلادية في تونس لأسرة تنتمى إلى فرع من قبيلة كنة ودخل أجداده الأندلس وبسقوط أشبيلية انتقلوا إلى تونس وفيها درس العربية والقرآن والفقه وتقلد عدة مناصب ثم غادر تونس إلى القاهرة عام ١٣٨٢، حيث زار الأماكن المقدسة في الحجاز وعاد للعلمة ثانية حيث توفي عام ١٤٠٦ ميلادية.

امتاز ابن خلدون بسعة اطلاعه وقدرته على استعراض الآراء ونقدتها ودقة الملاحظة مع حرية في التفكير وكان خبرته في الحياة السياسية والإدارية وفي القضاء وكذلك أسفاره أثر بالغ في موضوعه وعلمية كتاباته.

أمريكيون  
طاقة



كثيرة تقصصهن عن أوليها. وبينهم: أرويين، عذرا، أمينا، بوابا، صفيقة والصدالة، وروح العذابة، وعق الشعور الديني، وتقدري الأسرة، والمقارنة البردية الحسية. الحيلة. كما أنها يكونون على (قاف) شجيرة أو لها قافا أو على الماضي، وسجودون كذلك من جديد في المستقبل القريب، ولا يجدون تحديا في الشئ السحيق والغريب (سوف يقترن - متطابق - السبق السحيق والغريب - السبق السحيق الأمريكي، وهو يقترن بالفعل، وإن كان هناك الكثير الذي يصعب قوله.

إن اعظم وأهم التحقيقات التي هي انتماسا غير أن الدولة الوسيطة (التي تلتحق بالجمهورية) ذاتها، قد أصبحت تصف عرري مدائها في العالم العربي وشرحه للافريقيين، والتصاف الآخر المدائي والافريقيين وشرحه للعرب. وقد لفت إلى أن الجماعة التي في يوم من الأيام سيعيد بسامع ما كان يجب أن قوله، والتفكير في هذا الأخير قبل ميزان انحصارنا من السابق. وما أحد يعرف ذلك، لأنه مرجع شديد الإزاحة. وفي يوم من الأيام لم يصول جونسون: «الذهب من عارض عارضاً إلى نفسه قدرة ذات و هو المنفعة الحقيقية ما تشترى به من عبق. إن الإنسان يهاجم الحقيقة بقل إلى عدم لفتي لها هذا، المنفعة، إلا أن الذي يبعثني شغري بالحقائق. ولأن الذهب من يبعثني أشعر بالحقائق.

يعتني أشعر بالحقائق.

للعرب، غير أن أي واحد قد أي حاصل

تجسّس ضدّي، وضمّد على عينيّ، وضمّد على عينيّ الحسينيين. بل على العكس من ذلك، يخرج القائل عن داهلته أن يسلموا من التجسّس، بل أن يكونوا على اعتقاد وزيادته بأن يتعاملوا بسبحة عن أمريكا، ولا أوجه له أن يقول شخصي ضدّي، ولا ضدّ عائلتي أو أفرادها، بل ضدّ ضدّ أعدائنا الأمريكيين إن أتت الاعتلاء القولية سليمة، على الحسينيين، عبارة وليست ذات صفة رسمية وأية مرفوعة، فإن تطليق مفرد للنفسين غير صادر عن تفكير مفرد لا يتطابق مع العبارة القولية الدوائية لإسرائيل أو على الغيبة العراق فمفرد أراء الناس، ومنه أن السؤل وزعمته.

سطين ومواقف الحسينيين ومواقف صفحات الرأي، وحشد الجهاداء ومواقف الأضرار، الأكاديمية وإيقتها وجهاء أن زوّى القرص، أول كل شيء هو أن الأحداث العالقية لا بد أن تأخذ مجراها، وهناك القليل الذي يمكنه كساره بعد عشان، لأن أي يمكنه أن الوقت تأخذ أن تحدث فرقاً، مع أفراد الآخرين. وهذا ما كان عليه الحال مع الأمريكيين: فتمن أنظر مفردين مستقلّين وإفكاراً ولدينا إتساقاً الشخصية من الحاجات والمعتقدات والحدود والتناقضات، ولا نذكر أن هذا، حين بدلي برؤى عن الجانب الأخرى، سوف تلقع بعد طاعة كبيرة في أجناع التمسيد لفردس جهة تتنظرون في المستقبل.

# العلم والحوكمة

## أولاً: عن مضللة المعلومة والمعلومة

### المضادة، وكيفية تناولها

#### ١) المعلومة، وبينها من

#### ظواهر هامة...

■ **المعلومة** مصطلح غامض، شاع استخدامه حتى شيعت هذه الظاهرة الكوبية الفاضحة التي تتلوه بجمع المواليد: مولد، الطاب السبسية، وإدامة الإعلام، ومزج الإشاعات والأموال، وكبار التكنولوجيا، ومزج الثقافة وعلم الاجتماع، وبالعلاقاتية العلم والفكر والأخلاق. تصبو المعلومة الرافعة إلى أخطاء كل شريحة الإنسان وممارساته، وعلاقاته وأفكاره وقيمته ومعتقداته، وأمر تضييقه ويبيته وحدته وشغل أولات فراغه، بالإضافة إلى كل ما يتعلق بالسياسة والحقائق وحقوق الأقليات والمثلية وغيرها، وحتى عالم البشر لم يجرم هو ولا غيره من غطاء المعلومة، من جرائم الخلفاء وعشائر الأموال وخيرات المخدرات، وفساد الحكومات والمؤسسات.

إن المعلومة بطور مجرد مركب يعني التفكير ويختلف معناه لدى الفطريين، وربما يكون ذلك هو ما حدا بچون جرایم أن يخصص لها في كشاية الإنسان عبارات، معطوفاً، وما لا تعنيه المعلومة، وأحياناً، فبعد تعددت الآراء بشأنها، فهاك أن يبرأها من الصفات ومن يعثرها غير نهايتها، فالحتمسون لها يسيطر عليهم اعتقاد بأن الحضي البشرى لديه القدرة - لأول مرة - على بناء مستقبله، لا على أوامره إيديولوجية، سياسية، بل على مجموعة من الآسس والقيم العامة المشتركة بين البشر جميعاً، ويوم هذا الاعتقاد على أن حالة الحرب لا نهاية لها، ولا تعمل على نفع نهائي: فهي إلى تطوير مستمر ملقح على الجهول، وهي - إلى الحداد - تتجدد دوماً كلما تجددت الحالات بالقدرة، والوعي يخصص ما هو سادس. على الفطريين من ذلك، هناك من يرى المعلومة نوعاً ما، وحداً، وسحاولة متسيرة لصلها، نوع من المشروعية على الراسمالية الرافعة وألية التكنولوجيا الحديثة

ومن منظور تاريخي، هناك من يرى معلومة هذه الأيام مجرد دماء تعدد لقلعة نوعية حادة من حدالة غريبة إلى ما بعد حدالة بارعة، ومن يبرأها مجرد طور جديد متخلف من الحداد، واستمر لنقص مسار التقدم القاطع على استعمارية التفكير التكنولوجي، والنمو الاقتصادي، وأخيراً وليس آخراً، هناك من يرى المعلومة والمعلومة جميع البشيرة بمعاد، في «ميسرولوجيا» من تنوع الإشاعات وإشراق الحشبات، ومن يرى ذات المعلومة صراعاً يوجب الدعاية العرفية والدينية والمثوية

## (ب) المعلومة المضادة وبها

### من سموم...

لدم يعد شعار «التقدم الاقتصادي بأي لمن» ينطلي على أحد، ولم يعد العالم مستعداً لأن يصلي مرة أخرى لدم سميت جديد يبشر جديدة. لقد انطوت ظاهرة المعلومة بأن ألزمت نفسها للضادة وهي مازالت في مهدها، وكما تسرع مناصو المعلومة في التفكير لها يجعلها منها إيديولوجية حاقمة تقسم من خلالها الظواهر الكونية، وتنبئق منها الحلول الجزرية للمشكلات التي يواجهها المجتمع الإنساني الحديث، كما تسرع هؤلاء، كذلك تسرع مناهضو المعلومة لتجني عوالمهم الضادة من الالجنة واضحة، مفادعة إلى حد أقصى من الأسس النظرية القادرة على الصمود أمام تيار المعلومة الجارح.

وقد تراجعت رتود الإلعال إزاء المعلومة من حيث مدى خطتها، بدءاً من الاستسلام التام لها، والتسليم بها بصفاتها مرحلة تاريخية حتمية في مسار تطور المجتمع الإنساني، إلى الرفض التام لجميع الأسس التي قامت عليها والأداف التي تسعى إليها، فبعد الموقف العرسي إزاء المعلومة نموذجاً مغلفاً لهذه المواقف، انقلبوا في انقيصين، فحسب هؤلاء أن الحلول العبريون المعلومة خيبر للامعة الحربية، بل هناك من يتعادى في القول بأن أمة العرب أكثر حاجة من غيرها إلى المعلومة، من أجل إشاعة إيديوقراطية، وفسان حقوق الإنسان، والإسراع في حركة التنمية التفضمية، وتوطين التكنولوجيا المتقدمة في التربة العربية، على الطرف النقيض، هناك بعض يرى المعلومة شرراً وتكريماً للهوية القومية، ويعتقد قدرة المجتمعات العربية على التمكن التكنية، وضمن هذا البعض المخاض من يرى في المعلومة تناقضاً جوهرياً مع مداهية الإسلام،

يحدث أن حدة التناقض إلتائية أفعال والرفض، هناك من يرى المعلومة ذاتة بعض من سماته غير مسخرة لتوذيدها، وهو موقف يقوم على قناعة بأن حل مستقبل الراسمالية هو مزيد من الراسمالية، وحل مشاكل التكنولوجيا هو مزيد من التكنولوجيا، وأن نجاح الإنسان مسرفون بوجوده سلطة مركزية، عن طريق المخططات الدولية، فإدارة على الفوضى والتقسيم وعلى إضعاف المجتمعات بنيانها، وإقرارها، لا سيما بعض تصور هؤلاء الناسة عن حل مشاكل الدول الفظيرة، فليس هناك أكثر من زيادة الدورات والهدوء، وتشجيع الاستثمارات، لا ريب أن أكثر المواقف الجانحاً للجدد هو القول بأن قارب الموت لا ينسحب بالبحر، ولا بد للفكر - والعلم - أن يستلوا قدرهم الحكيم، وبمضا القصور الحديث فيما مضى على سكون الفطرية، جدمه الآن قد اتسع لنشعل غداً للفكر، ورعاية

محدية خاصة بالفكر، وتربية للفكر، وإعلاماً للفكر، وتكنولوجيا للفكر، وأضاف إليها أخيراً، علماً أحمد زويل علم الفكر، بل ولا يجد البعض حرجاً في الحديث عن ذكاء الفطرية، وحتمية الأشعة الاجتماعية مزجزة برواسب من الحتمية الأولية مازالت عاكفة بانهاض البعض

خلاصة القول، فالعولمة باتت واقعاً على الجميع أن يتعاضد معه، والعولمة - المضادة - بالتالي - أصبحت أكثر حاجة إلى تجاوز مرحلة الاحتجاج إلى مرحلة التسليم

والتفاصيل والقروح البهيم، وإن يثاني ذلك إلا إذا تم التخلص من الخطأ التكنولوجي وتقرعن الاقتصادي، ولا سيما إلى ذلك إلا من خلال النظر إلى مشكلة «المعلومة والمعلومة المضادة» من رؤى مستخدمة تقطعي المكاتبات المختلفة لنظومة المجتمع، الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية والأخلاقية والعلمية والتكنولوجية، والتي على رأس هذه الرؤى - في رأي الكاتب - الرؤية التكنولوجية بهدف إبراز الآثار الناجمة عن التكنولوجيا الحديثة التي أدت إلى وضع معظم المصروع التي قامت عليها مكونات منظومة المجتمع مسافة الشكر

## (ج) الرؤية المعلوماتية

### وبها من أهمية...

■ **كون** التكنولوجيا المعلوماتية هي أداة الوصل بين التكنولوجيا التقليدية، وهذه أصبحت الشفافة هي صحت معلية التنمية المعلوماتية، في حين التنمية التكنولوجية المعلوماتية هي محور التنمية التكنولوجية الشاملة، وعليه يصعب بعد العلاقة بين اللغة وتكنولوجيا المعلوماتية، ولكن في زيادة إنتاجية المعلومة والتكنولوجيا، والتي ما تفرده الصناع والزراعت والمكاتب، والتي ما تفرده كماله في مجالات التعليم والرعاية الصحية ونظم التجارة، علاوة على تنمية روح المشاركة وتوسيع الديموقراطية، وتأتي الإنترنت لتزيد من زعة التفاعل، كتك، بزم أن هذه الشفافة المعلومة ستجعل المعرفة متاحة للجميع، في أي وقت، وفي أي مكان، كما هو متوقع، أعرضت كسبون على هذه إسيديويوات المسرفة في تالافها بتأسيسه في الدول النامية، وصاعدت شقوق حول كون المعلومة المعلومة وحدها هي صحت المعلوماتية، بل ربما لا تكون أيضاً هي الحل الوحيد، ولا جبال ولا تكنولوجيا المعلومات - يمكن أن تكون أداة فعالة أصمن استغلالها، إلا أن تكون أداة فعالة للتنمية البشرية، إلا أن من الضروري إدراك أن جميع الإنجازات التكنولوجية هي مدى

■ **الرؤية** المعلوماتية أكثر عدوى من غيرها في كيف تداخلت التكنولوجيا الحديثة التي تتضح أكثر ما تتضح على صعيد المعلومات، ويكفي هنا أن تشير إلى أن تكنولوجيا المعلومات تلحق التكنولوجيات الأخرى من حيث قابليتها للاستغلال البشري، وتكون شاهدة على ذلك ما تسعنه حاليته، وتكون شركات الأمريكية العملاقة في مجال البرمجيات والاتصالات من شدة الاستغلال الإحتراقي الذي تمارسه عليها شعير - ميسرولوجيا، أنها تتكاثر على شعير المعلومات التي لا ترحم، والتي استغلها إلى نذل إلى قلب النطق الراسمالي ذاته

■ **اللامية** الباشية تدخل المعلومة اقتصادياً، لقد قام نموذج الاقتصاد عصر

# المضادة .. رؤية معلوماتية

## نبيل علي

وضوحاً يوحاً بعد يوم، وما نحن نسمع عن «جودة رقمية» تزداد التساقط بين من يملك المعلومات ومن يفتقدها، ومن مخاطر أخرى مستحددة يترن بها عصر المعلومات من قبيل: الإرهاب، الرمز، العنف الترفيهي، والابتزاز المعلوماتي، وسوء الاستغلال الرقبي.

«الأممية التقيادية للمعلومات بالنسبة للفلسفة العلم الحديث، لا تضاهي تكنولوجيا المعلومات مع الفلسفة من جانب، ومع الميكروبيولوجي الحديث من جانب آخر» وأصبح مثلاً اللغة - الميكروبيولوجي - تكنولوجيا المعلومات، بمثابة رأس الحرية لقائمة المعرفة الإنسانية؛ لفلسفة وعلماً وثقافة، وهي المعرفة التي تعد أصصى الألسنة في ترسانة معسكر الحولة، وهي ذاتها مناهل أهل الحولة المضادة في إيجداد الدلائل التي تصرها من حتميات الحولة وفيهوا.



«وأخيراً وليس آخراً، إن التصدي لسقوة القوى المركزية، وفترتها الطائفية على فهميش الأطراف، لن ياتي إلا باحث عن شكل جديد يتخلص من ترتيبات hierarchy المنظمة القوى الاجتماعية السائدة، لقد تدهست هذه الهيكلية ذات الطابع الهرمي، مثل جمهورية اللاطون إلى يومنا هذا، لتحكم معظم أمور حياتنا، سواء على مستوى الفكر أو الواقع، ويمتلك الكثيرون أن المفاهيم المعلوماتية هو الكل يتخلصنا من صرامة هذه التقنيات الهرمية، لقد كانت تكنولوجيا المعلومات سبالة في التخلص منها، وذلك بتحولها من نظم المعلومات المركزية إلى نظم المعلومات اللامركزية الموزعة جغرافياً ووظيفياً، ويتبدى هذا التوجه اللامركزي - أكثر ما يتبدى - في شبكة الإنترنت، فهي شبكة بلا مصور، وبلا سلطة مركزية، وبلا هرمية أو ترتيبية.

### ثانيها: الحولة والصولة

### المضادة هي كـسولة

يلخص جدول رقم ١ في نقاط مركزية أهم مفات الحولة والحولة المضادة مصفاة في منافرة تذكائية بين الأسال التي تبرزها بها الحولة، والمضاد التي تحذر منها الحولة المضادة، وقد تم تصنيفها وفقاً لأهم جوانب هذه الظاهرة التكوينية، كما يراها الكاتب، وهي:

- «النموذج الاقتصادي العولمي
- «توزيع العمل وتوزيعه وإثراؤه
- «سلطة الدولة وسيادتها
- «منظومة القيم والهوية القومية

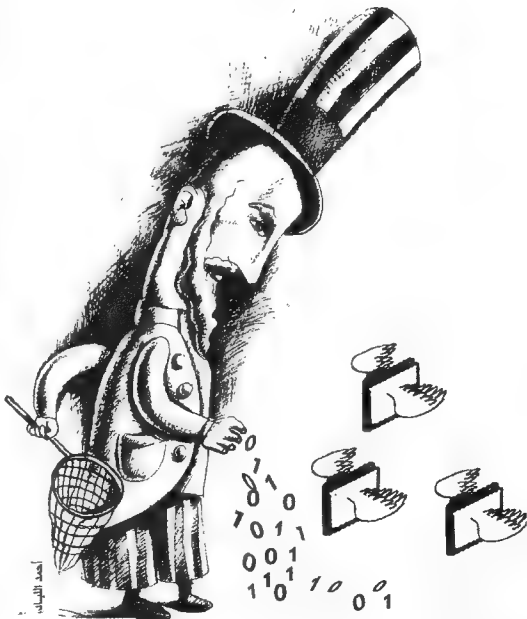
إن يتعرض حديثنا الزمان لأية تفاصيل حول هذه الحولات، وقد أعلنها كثيرون من مفكرى الغرب والعرب

العودة مع البيكة، لقد خسى هؤلاء - لو تناسوا - أن الجوانب السلبية لأية تكنولوجيا لا تظهر إلا بعد مرور وقت ليس بقصير، فما فعلته عوادم السيارات بالمدينة لم تظهر آثاره إلا بعد عدة عقود من التراكم التدريجي، وليس ثمة شك من أن تكنولوجيا المعلومات - مثلها في ذلك مثل كل ما سبقها من تكنولوجيا - لها هي الأخرى وجهها القبيح الذي أخذت ملامحه تزداد

ولا يقتصر تكرار الإنتاج عند حد منتجات المعلومات وأصولها، بل يمتد إلى المعاملة البشرية أيضاً، وذلك بـ«تسخنها» عن طريق الروبوت (الإنسان الآلي) والنظم التكميلية والخبيثة.

«إبراز الآثار الجانبية لتكنولوجيا المعلومات، فما أن ظهرت حتى لفتت الكثيرون زاعمين أنها التكنولوجيا الهميفة التلغيفية،

الصناعة على «طور الإنتاج»، وعلى ما يبدو فإن النموذج الاقتصادي لحصر الحولة سينطلق من النقلة النوعية ولادة للتغير المعلوماتي، ويحدد بها الحولة من «طور الإنتاج» إلى «طور تكرار الإنتاج»، وهو انطور الذي يقوم على أساس أن منتجات صناعة المعلومات وأصولها، من برامج وبيانات ومعلومات وموسيقى وأعلام ونصوص وأفكار، جميعها قابل للنسخ، أي تكرار الإنتاج،



أحمد الدياب

من الناحية صعبة، وقد ارتفعت بها هي كبسولة  
تخفية عامة مسددة عليها حديثنا الخاص  
عن الرؤية المعلوماتية وقد تمت صياغته هو  
الأخر في ثنائية قوائم الأمال والمخاطر، جدول  
رقم ٢

## ثالثا، تأسيس الرؤية المعلوماتية

سنحاول فيما يلي كلاً من جوانب المفارقة  
الرؤية المسألة الذي، وذلك بطرح الأمال التي  
تعد بها الوجه المعلوماتية متنوعة مباشرة  
بالمخاطر التي يكثر بها نظيرها المضاد على  
مستوى كل نقطة من النقاط وفقاً للتسلسل  
الواردة به في الجدول رقم ٢

## (١) - جوانب المخاطرة، النموذج المعلوماتي الأمم

يتصور النموذج المعلوماتي العولمي حول  
إقامة نموذج طيفي للاتصال، يرتبط أفراد  
وكياناته وتفاعل دينامي، من خلال شبكة من  
الطرق السريعة للمعلومات Information  
Super Highways، وهو المصطلح الذي أطلقه  
آل جرو، نائب الرئيس الأمريكي الأسبق، إن  
الطريق السريع للمعلومات هو بمثابة الخلف  
لسلسلة طريق السيارات السريع، وكما كان  
السلف «الاصطناعي» هو شريان نال بشاعة  
الصناعات الأمريكية التقليدية «محليا»،  
فسيكون الخلف «المعلوماتي» هو شريان نقل  
«بضاعة» صناعة الثقافة الأمريكية «عالميا»،  
ويلعب دور «بضاعة» الثقافة هنا ما تنتجته هذه  
الصناعة من سلع وخدمات، والتي تشمل - على  
سبيل المثال لا الحصر - الأفلام، والبرامج  
التلفزيونية، ووسائل تسجيل الموسيقى  
والألعاب، وبرامج الكمبيوتر الترفيهية  
والتعليمية، وكما هو معروف، يحتاج كل هذه  
السلع والخدمات، من مراحيل إنتاجها إلى أماكن  
استهلاكها، سعة هائلة لتدفق المعلومات تلقوا  
بكثر سعة الكابلات الفضائية التقليدية، لذا  
فيما شبكة الطرق السريعة للمعلومات يتم  
إنشائها باستخدام الألياف البصرية ذات  
السعة الهائلة، وكما هو يسعى إلى تحقيقه  
الجيل الثاني من الإنترنت، الذي سيمنح - على  
سبيل المثال - من نال ليفير سيمناتي من  
يؤدي دور إلى اندفاع في السالم في أقل من  
دقيقة، وهو ما يستحق ساعات عديدة  
بالتفكير إمكانية فله عبر الجيل الحالي من  
الإنترنت.

في إطار هذه الاستراتيجية لدعم صناعة  
الثقافة الأمريكية، حرص آل جور على أن يتقل  
طموحه للجيل خارج حدود بلاده، حيث نادى  
بالقيام ببناء أساسية معلوماتية عالمية يتم  
بها - سواء بسواء - أغنياء وأغنى وقراءوا -  
والمستحق للسمع إلى كل المدينة الصغيرة  
أصيلة التي أصبحت «مكتلا الميديا»، مبشر  
عصر الإنترنت، يقول آل جور: «دعونا نتجاوز  
البيولوجيا لتنتشر ما حول يد مشتركة  
لبناء هذا أساسية معلوماتية عالمية  
جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر،  
لتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية  
النسبة والديمقراطية»

## العولمة والعولمة المضادة

يتصور النموذج المعلوماتي العولمي  
حول إقامة مجتمع كثيف الاتصالات،  
يرتبط أفرادها وكياناته، وتتفاعل  
من خلال شبكة من الطرق السريعة للمعلومات.  
إن هذا الطريق هو الخلف لسلسلة  
طريق السيارات السريع

## الأمم

لا يخفى على أحد ما يستتقر وراء دعوة آل  
جور من دوافع لخدمة المصالح الأمريكية، وكما  
كان فلان جون ستراتون عندما تلت نظريا أن  
«سنويش» آل جور الوارد في دعواه تلك،  
حينما وضع أجندة التنمية البشرية، من صحة  
وتعليم وصحية بيئية، بين طمري هذا  
النموذج، ومعنى بهما «الاقتصاد الحر  
والديمقراطية»، لقد اعترض على نموذج آل  
جور هذا الكثيرون من داخل الاتحاد الأوروبي،  
بل من داخل الولايات المتحدة نفسها، فقد  
عابوا عليه مركزه الاقتصادي، وتركيزه على  
الجوانب الفنية، وإغفاله للجوانب الاجتماعية  
للتنمية التكنولوجية، وهي الجوانب التي  
تتأخر أضعافا كثيرة بالنسبة للتكنولوجيا  
المعلومات التي تلوّح - وقدر كثير - ما سبها  
في تكنولوجيايات من حيث شدة العلاقات التي  
يربطها بالأنظمة المجتمعية، هذا من موانع  
بعض أولئك المشعشع أن نموذج الطرق  
السريعة للمعلومات، أما فيما يخص دول  
الجنوب، فإن عملية إنشاء الشبكة الحديثة  
للمجتمع الشبكي تتجاوز بكثير قدرة هذه  
الدول، ولا يمكن أن تغطي بالأولوية في خدم  
المضائل العديدة التي تواجهها هذه الدول،  
وهو ما أدى بالبحر إلى رفع شعارات من  
قبول «الخصا» إلى مصادر الخلف  
مصادر المعلومات، و«البحر» قبل  
البنيتوم (٣)

## الخط

كيف لنا أن نوافق بين هذه «الطوبالدية  
الانصالية»، وكل ما نسمع من تضليل القنات  
الفضائية، وما نشهده حاليا على ساحة  
الإنترنت من تقشع ظلمة التوازي الخاصة  
بالمعلومات (الاضعاف لفظ)، ومع ما أورد  
كيس سترايكل في خطبه من أن لكل  
ساحة العالم ليجر مكانة هائلة واحدة طيلة  
حياته، إن ترك الدول على العرب لتنمية جيل  
الاتصال من خلال الاستثمارات الخاصة،  
وهنا يكمن بالمخاطرة وفقا لآراء البعض، سوف  
يؤدي - بالطبع - إلى حرمان شرائح  
عديدة من الطبقات الفقيرة من أفضية الاتصال

والنفاذ إلى مصادر المعلومات، وهي الأفضية  
التي تعد حاليا ضمن حقوق الإنسان  
الأساسية، وعلى المستوى العالمي، يمكن أن  
تؤدي سيطرة القطاع الخاص على قطاع  
الاتصالات إلى نوع من طبقة الاتصال، يتم  
فيه العالم المقدم عبر شبكات الألياف الضوئية  
بضعفات ذات طابع إيجابي، تسمح بالتفاعل  
الدينامي الحي بين المستخدمين ومصادر  
المعلومات، وبين بعضهم البعض، في حين  
يظل العالم القليل أسير الاتصال السليم، تحت  
رحمة ما تكتفيه عليه القنات الفضائية عبر  
الاتصال الصناعية، وشتان الفرق بين الفواصل  
الإيجابية التفاعلية الحرة للعقل والوجدان،  
والثقافي السليم، أصاري الاتجاه، الذي ينمي  
تزعزعات الاسترخاء الذهني والعزوف عن  
المشاركة

من حيث ظاهرة الانعراج المؤسسي بين  
قطاعات خدمات المعلومات المختلفة، فمن  
المتوقع أن تعمل على جعل هذه الخدمات أكثر  
على هذه الكيانات العلاقة الخاصة على تحويل  
صناعات المعلومات، ذات الطابع الذهني، إلى  
صناعات كثة للتكنولوجيا، لذلك راس المال،  
بما يترتب عليه استبعاد الصغار من السوق  
في هذا الضمان الحيوي ذي الأهمية البالغة  
بالنسبة للتنمية الإنسانية.

## الأمم

يعد النموذج المعلوماتي العولمي بؤلابة  
المعرفة للجميع بما ضمن الإسراع من معدلات  
التنمية، ومساعدة الجميع على مسيرة التقدم  
العلمي والتكنولوجي والبرادي.

## الخط

يخط أصحاب هذه الوعد الوارفة بين  
المعلومات والحرفة، ويشجعون الفارق  
الشاسع بينهما، فكما تسال في (إس)، إبيوت  
في مولدته الأخيرة، «أين هي الحكة وقد  
ضاعت في خضم الحرفة»، يمكن لنا أن  
نتساءل على ضوء ما يجري حاليا على جبهة  
الإنترنت، «أين هي الحرفة وقد ضاعت في  
خضم المعلومات»، لقد بات العقل الإنساني  
مهيدا بالتأنيص كما افترعت الأطر  
المعلوماتية over-information، وأصبح من  
الضروري إدراك أن المعرفة لاكتساب  
المعرفة لا تنحصر فقط في «أداة النقل» إلى  
المعلومات، بل تتجدها في الهمام الإنسانية  
لتحويل فيض المعلومات هذا إلى أداة فعالة  
لتطوير الفكر الإنساني، وهي تشمل المهام  
التالية:

- نقل المعرفة واستيعابها
- ترسيخ المعرفة وتطويعها في صورة
- مفاهيم أساسية وأفكار حورية
- توظيف المعرفة في حل المشاكل الفعلية
- استخدام المعرفة للتحكم من أجل توليد
- معرفة جديدة
- إضاح القصور هذه - ناخذ - كمثال -
- معلومات مشروع الجينوم (المعرفة الوراثية
- الإنسان) وتشتت دورها على شبكة
- الإنترنت، ولكن شتان بين توافرها على
- المعلومات البيولوجية، وبين تحويلها إلى
- معرفة فعالة للعلاج الجيني سواء لأغراض
- التفحص، أو استحداث أصناف جديدة من
- الدوا.

الأمصال	جانب المناظرة	الخاطر
• إمبريالية جديدة لتحصير الأسواق وتوحيدها • لتزوير السلع والخدمات وتخفيض أسعارها • تزوير العوازل، والإسراع من معدلات التنمية • وريادة الاستثمارات في البلدان النامية • إمبريالية التقدم الاقتصادي لمواجهة ريادة السكان، وتلبية مطالبهم المتزايدة	• العنود • الاقتصادي • العنوي	• إبحار الدول الهامية، وعمرها من النافذة عالمياً، وتلبية مطالب أسواقها المحلية • حيوية الاقتصاديات وتكنولوجيا تزويدات تساعداً، وتركيز • إبرون العالم فئات واستغلال القروض كوسيلة لهزيمة • استغلال الفوارط الطبيعية وزيادة الحافل في توزيع • الشؤون والفوارط وتضمن الفزعة الاستلاكية
• خلق مزيد من فرص العمل من خلال المنافسة • والتمتع سوق العمل العالمي • مساعدة الشركات المتقدمة الجنسية في تأهيل • العمالة المحلية • زيادة إنتاجية العمالة مما يؤدي إلى ارتفاع • الأجور، وتوقع وقت الفراغ	• توزيع • العمل • وشويه • والأزواء	• سوء توزيع سوق العمل، وإحتكار الصناعات الرقابة • وتصدير الأعمال التنموية للدول النامية • مبراف العقول نتيجة لفرص العمل الجود من قبل الشركات • متعددة الجنسية لأزوى المهارات العليا • مزيد من البطالة، بعد أن أصبح النظام الرأسمالي متنبهاً • أكثر من اللازم، وتأتي مستوى الأجور
• توفر سلطات مركزية عالمية تعدد من تسلط • الحكام المحليين • حكومات رشيقة أكثر عالمية، وأقل إساءة، وأكثر • ثباتاً، بما في ذلك طلب شعوب • إشاعة الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان • وضمان حقوق الأقليات	• سلطة • الدولة • وسياتها	• تقليص سيادة الدول، وانحسار دورها، وهزيمة • الهيئات الدولية في قدرات شعوبها • تصبح الحكومات الخسيف من مواجهة مشاكل الدول، والاضطرار إلى التصديق على الخارج • زيادة العمل الاجتماعي واستيراد الدولة بحجة تنمية • مطالب التكيف البيئي والاقتصادي
• خلق نظام عالمي جديد يسمح لحقوق الفوارط • الاقتصادية ويؤيد على القيم والمبادئ الإنسانية • المشتركة • الاحتشاد بالشعوب الضحايا، وأجساد القذرات، • وإتراج الكائنات وتضيق العوارض بين الأديان • «التصديق لفساد المؤسسات، والفساد بالقيم • الإنسانية	• حظوة • التهم • والأهوية • القومية	• تجميع قدرات العنصرية والدينية واللقوية كرد فعل • للدولة والاضطرار إلى لقومية • تجنيس الضحايا، وتضيق خصوصياتها وتسطيحها • وطرد الثقافة البرية للدينية • تقويض الروابط الأسرية، وتزوير جرائم الكبار مدافع • الجحيم، وجرائم الفساد ورائع حب الفداء

الأمصال	جانب المناظرة	الخاطر
• إقامة شبكة الطرق السريعة للمعلومات توفر • خدمات معلومات جديدة لخدمة التنمية الإنسانية • مخصصه قطاع الاتصالات، وتوسيع نشاطه • لتزويد خدمات أرقى وأكثر تنوعاً بصورة للجميع • إتاحة الفرصة للجميع للإسراع من معدلات • التنمية ومساعدة الجميع في السيرة التنموية	• العنود • العنوي • العنوي	• ظهور أجهزة رقمية تزيد التسامح، وإحلال الجوارب • اجتماعية للتنمية المعلوماتية • حرمان المعلومات للغير من أخطاء الاتصال، وإتقاء إلى • مصادر المعلومات • استمرار الدول النامية من تحويل المعلومات إلى معرفة • نماذج لخلق المشاكل وتوليد المعارف الجديدة
• ظهور نوعيات جديدة من الأعمال والوظائف • الأكثر ثراءً والأقل عبثاً • ريادة فرص الإبداع، وتحرير الناس من القيود • التي تحد من إبداعه • توفير فرص عديدة لغداية النظم لتتأثر للجميع • الأعمال تلبية لطلب سوق العمل	• العنود • العمل • وشويه • والأزواء	• ريادة البطالة وإحتكار الكبار لأعمال الرقابة وتكثيف • التخصصات والدينامية القروية • أفراد أقل في الحرية وقصور الدافع للإبداع الأصل • الإعلام السريع للفساد والمهارات وعجز الإنسان • والتمتع من ملاحظة التطور
• تقليص حجم الحكومات وأعمالها، وتقلص من • سلطة البيروقراطية من خلال الحكومة الإلكترونية • إقامة نظم حكم عالمية لريادة التنسيق والتعاون • الدول والمناطق من الحكم العالمي • توفير مسار أفضل لدراسة الديمقراطية • والقدرة، لسلطة الديمقراطية والشفافية	• سلطة • الدولة • وسياتها	• عجز الحكومات عن خدمة مواطنيها، وظهور مزيد من • مراقبة الرقابة لزيادة الاعتماد على نظم المعلومات • انتهاك سيادة الدول وإضرار الجحيم باستخدام • استخدام نظم المعلومات كسلاح ليدوي، وكالتة • الرقابة الإلكترونية على الأفراد والجماعات
• تكنولوجيا المعلومات كإداة للدعوة الدينية • والتمسكي الرعزي التعاون لعالم الأقليات • عدم تكنولوجيا المعلومات لخدمات القومية، • والاحتشاد للقوى، وكسر الحواجز للقوة • نظم المعلومات كوسيلة فعالة للمنافسة على • التراث وإعادة بناء التاريخ خلافاً	• حظوة • القوم • والأهوية • القومية	• مزيد من خواء الوعي، بفشل المعلوماتية والتصارف • الخطاب الديني مع التقدم العلمي والتكنولوجي • إفراز فئات تمت خيانت اللغة الإيجابية في نظم • المعلومات والإعلام • تكنولوجيا المعلومات كإداة لتهم، تراث الشعوب وتزييف • التاريخ بأداة بقاء خفايا

## (ب) جانب المناظرة: توزيع العمل وتنويعه وإثراؤه

### الأمصال

ستؤدي تكنولوجيا المعلومات إلى ظهور نوعيات جديدة من الأعمال والوظائف، أي بعد ما تكون عن تلك التي أفسدت تكنولوجيا المعلومات، وهي يحكم بنيتها أكثر ثراءً، وأقل فشراً، وتتمتع بالجدد العالم، وذلك لعدة أسباب من أهمها

• التوسع الشديد للتطبيقات التكنولوجية  
• ذي الأسس المعلوماتية في جميع مجالات الأنشطة الاجتماعية.

المعدل السريع لتطوير تكنولوجيا المعلومات مما يستوجب مواصلة تحديث النظم والتقنيات وأساليب أداء العمل، وهو الأمر الذي يؤدي بدوره فرصاً جديدة للعمل والإنتاج. تزايد حجم المشاكل التي يواجهها مجتمع المعلومات مما يتطلب مزيداً من الجهد البشري لحلها.

جدول رقم ١  
الأمصال والمظاهر  
(مستندة على خطاب العرولة والعودة للضد)

### المخاطر

لقد كاد العمل أن يصبح نوعاً من الرفاهية في مجتمع المعلومات، مجتمع الخصم الوحيد العامل كما أطلق عليه البعض، وذلك بعد أن أطلقت تكنولوجيا المعلومات ونظم اقتصادها بقرص العمل، وأصبح التعامل، شأنه شأن قطع الغيار، يمكن استبداله بغيره من أصحاب البائعات التزاد إلى ما سبق «أصحاب البائعات» من فصيل الروبوتات. لقد اتسعت فرص تزايدية العمالة الإنسانية على مرأى إلى أعلى، وقد احتكرها أصحاب البائعات البيضاء من نخبة التكنوقراط، من مخططين ومستشارين وصميين ومحللين الاقتصاديين ومعالجين محليين والقياسيين وعالميين، المدججين بنظم معلومات آتية تجعلهم غنى عن الوظائف الوسيطة التي كانت تفضل بينهم وبين مستويات التنفيذ النهائية التي تقوم بها عمالة المصانع والمخبرات والمكاتب، بالإضافة إلى ما سبق. ويرغب أن تكنولوجيا المعلومات تتيح أعمالاً أكثر ابتكارية وإثارة على المستويات العليا، لأنها على العكس من ذلك، تؤدي إلى مزيد من التبسيط والاعترايب على المستويات الدنيا من سلم العمالة.

إن أخطر أسباب إغتراب عمالة العصر يرجع إلى ما تطلبه الإدارة الحديثة من أساليب تكنولوجيا وتنظيمية لتفكيك المهامات، أي تفكيكها إلى مهام أصغر فأصغر ليتناشى مع عملية التفكيك هذه العامل الشخصي للمهامات. ولا شك أن تكنولوجيا المعلومات تلعب دوراً حاسماً في الإسراع من عملية تفكيك المهامات، ولا عارياً في ذلك، لها أن ننسى أن جميع المسائل، من فوارط ومشكلات وحلول يتم «تفكيكها» من خلال البرمجية، وهذه هي القطعة، وغيرها من وسائل تكنولوجيا المعلومات، القدرة على سحق هذه المسائل في نهاية الأمر إلى «ذرات» صغيرة والوحد، وهو لما أن نذكر مسألتين من مصلح إليه أحد علماء الكمبيوتر في صدد تعريفه لعملية الفكاء الاصطناعي بأنها تلك العملية التي تفلت نبتت من خلالها حتى لا يبقى هناك كذا...!!

خلاصة القول، لقد احتكرت مراكز تطوير المعلوماتية الأعمال الرقابة، وطردت إلى الأضواء الأعمال النشابة على الطابع الملتكر، الباعة على الضجر، ومثال بارز على ذلك هو ما لورده دراسة حديثة من زيادة فرص العمل في ولايت كاليفورنيا بفضل المد المعلوماتية الوافدة إليها من الولايات المتحدة، فقد انصهرت أنواع الأعمال المولدة

لهذه الدول - أساسا - على المهام البسيطة لإرخال البيانات وما شابه. وينتقل الآن - بدرجة أقل - على كثير من الأعمال التي تنحليها تلك المراكز إلى الشركات الهندية لتتولى البرامج، حيث غالبا ما يقتصر دور هذه الشركات على مهام شبه الميكانيكية - كتكوير البرامج - التي يتم تصميمها وتصديق مواصفاتها تفصيليا في مراكز التطوير الأمريكية

## الأمم المتحدة

ستعمل تكنولوجيا المعلومات على توسيع نطاق الإبداع على اختلاف مجالاته، وتكثفها هناك إلى ذلك - يسر بعض ما تتضمنه بالة فنون عصر المعلومات: فن الوسائط المتعددة art multimedia الفن التفاعلي - interactive art الفن التفاعلي - communicative art الفن السيبراني - cyber art الفن الهجوي - conceptual art. ستعمل أسفقت تكنولوجيا المعلومات كخبراً من القبول التي تكتل الإبداع الفني. فحصر تلك التشتيت من فيود إطار التوجه وثانياً إبعادها: حيث أصبح بإمكانه أن يرسم أشكاله في فضاء غير محدود ثلاثي الأبعاد، وحصر فضاء الموسيقى في سطوة الآلات: حيث أصبح بإمكان المؤلف الموسيقى أن يصمم الصانع بحيث تسجل مباشرة إلى الشروط دون الحاجة إلى عزافين. بل بإمكانه أيضاً أن يصمم آلات غزف جديدة، تماماً كما يؤلف الصانع الجديدة، وحصرت النضات من صلاية مائدة، واستأنتية كله، من خلال آليات التصنيع، وبرامج توليد الأشكال المجسمة الترميزية، وكذلك حشرت الأبيد من خطية السرد المكتوب الذي فرضته عليه تكنولوجيا الطابعة. وكان للمبرمج السيغمالي تصعيد حيث أن دعم تكنولوجيا المعلومات - حيث أصبحت كل العمليات السيغمالية والمظاهر الفنية والتشاعخ الجديدة، كبريات الفضاء virtualization قابلة للتصديق الخائلي virtualization. من خلال استاليب الشفافة الترميزية، أما المبرمج - الدرامي - على طائفة ضيقة ذرعا بمصمودية خشبية مسرحة، فقد وفرت له تكنولوجيا المعلومات وسائل عديدة على يتحدر من قبضة هذا الحيز: وذلك من خلال نقل المظاهر الخائلية - بعد، والمشاركة في التشتيت من بعد وما شابه.

## الخطوة

تمثل تكنولوجيا المعلومات تهديدا حقيقيا للمبرمج، سواء من حيث إنتاجه أو طبيعة عمله. فتكنولوجيا المعلومات بدأت في نسخ الأعمال الفنية وسرحا وأداة استحداثها وتوطئة اللغة وكان للفرق في مادة خرفة مثل إلى النحر، كالمخاضرة والبيضاء، ونجح الصنف، ينطق الإفس - إلى أن يسعو بنفسه فوقه، الصنفية، بعد أن نتج من إتيان تفرد، والمخاطلة على تجديده، وانتهائه الدائم للتوابع السلاسة. وتأتي تكنولوجيا المعلومات لتختص عليه سكبجة برجة العالجي، تكاد تتركه بل على سابق نمط، حرفة بولائها هؤلاء المهنيين الحدس من - أسطوات - عصر المعلومات، ذوي القدرة على عدم الانكسار، ومرج الإحسان، وتكرار التجميع والتصميم وهكذا، كانت نبوءة شومريرج، زلات الموسيقي الملقب - أن يمدح، فقد سبق له أن أنقذا بان الفنان على وشك أن يلفد دالته لتفرد، وإلّا يقتر بولينا رويدا من رويدا من الوطوع إلى الفن الصنعية، وهو ما حذرنا عنه - أيضا - أديبنا الإلهامي ألبيركو ورواها عندما استعصر الخوف من قرب وقوع الألب في فخ الوثائقية.

## العولمة والعولمة المضادة

لا يخفى على أحد ما يستتر وراء دعوة آل جور من دوافع لخدمة المصالح الأمريكية، وكما كان هفتنا جون ستراتون عندما ألفت نظراً إلى «ستدويتش، آل جور الوارد في دعواه تلك، حينما وضع أحلام التنمية البشرية، بين شطرى الاستدويتش، وعنى بهما «الاقتصاد الحر والديمقراطية»

سلطات هذه الدول، وتضيق الخناق على كيفية ممارستها لهذه السلطات، وهذا نكل سياستها تتأكل إلى أن تصبح هذه الدول عاجزة عن الوفاء بالتزامات العقد الاجتماعي تجاه مواطنيها. يحدث هذا تدريجيا ولكن بصورة متسارعة، لتجد تلك الدول نفسها وقد تحولت من راعية مصالح المواطنين إلى حارسه الليبرالية السوق الجديدة، حامية نراس المال الخارجي والمحلي. وما أن يشد عود العولمة حتى تجد الحكومات المحلية نفسها أضغف من أن تقى بواجباتها كالتأمينات الاجتماعية والخدمات التعليمية والرعاية الصحية وحماية البيئة وما شابه، ولا يلف الأمر عدا هذا الضد بل تصعب هذه الحكومات المحلية عاجزة أيضا عن تقديم العون للشركات متعددة الجنسية فيما يخص حماية وتأمين حقوق الملكية بأموالها، والحفاظ على الأمن الاجتماعي، وحماية الاستثمارات ضد الجريمة المنظمة، وضد موال الأعمال المتهوون، وهنا تشبع المؤسسات المتعددة الجنسية بوجهها من الحكومات، لتستدسر صوب المنظمات الدولية طلبة دعمها، والتأكل الذي يفرض نفسه هنا، لم يستجيب للحرف، الذي ألبت جدارته في حصول ثروات الأراضي وثروات الأموال، لم يستجيب في عصر الثورة المعرفية والعملية الذاتية: هناك من يشك في ذلك مستوقفا فشل الدولة في تقديم أسور الصنعة المعرفية، مما سيؤول مرضها ويهدد بانكدار نظامها.

## الأمم المتحدة

إن تكنولوجيا المعلومات، وشغافية مجال الرأي العام الذي توفره، ستعمل على توفير مناخ أفضل، ممارسة الديمقراطية، على تلك الديمقراطية السياسية السائدة حاليا من حيث تشييدها ساحتها الخائلية، وتبريد التي أسماها عالميا بشرى ظهور الديمقراطية الجديدة، ويمسوق الإنترنت (أو) المبرمج الديمقراطية كما يطلق عليها البعض، التي سوف تسلط الحلقة الوسيطة للتشتيت، النيابي الحالي التي تصل بين الجماهير وأجهزة اتخاذ القرار. محاولة على ذلك لقد أصبحت شبكة الإنترنت من القوى الساحة لعولمة الحضارة، والتخصي نظام الظلم العالاج الذي تنطوي عليه، والتقاليد الجات بصيغتها الحالية، وقد وفرت بالفعل أدوات جديدة لمناهضة نظم الحكم، ومواجهة عتق القوى القابضة على زمام السلطة.

## الخطوة

لقد برعت أجهزة سلطة الحكم في استغلال نظم الإعلام كأمضى الأسلحة البيروقراطية لتشتيت الخاضع، وتكريز قرائنها، وتبريد ممارساتها، وتسخي هذه الأجهزة - حاليا - لنظم الإنترنت ضمن ترسانة هذا الأسلحة، مما يخشى منه في ظل هذا الوضع أن تصبح الديمقراطية الانترنت المدعومة مجبر، وسيلة للتفتيس دأها إلى القوضي، مما يؤدي - بدوره - إلى مريد من تدخل الحكومة من أجل السيطرة على جماهيرها، خاصة أن الإنترنت توفر الوسائط لتفعيل المظالم والظلم دون السطوة، حيث تعمل العولمة على إخماد هذه الظلم، لتكتف - وبالتالي - عن أوتوماتها السياسية والفكرية، مما يجعلهم أمام عرضة لهذه الترفاة الإلكترونية التي تتلفق لها على، ويسفر عن المواقف الشديدة السلبية، التي تهدد من الإعلام الحديث المعرف الذي جان بوليداي، إلى حد اعتباره ثقافة «البيدبا»، وهي بمثابة الجريمة الخائلية التي تدفع جماهير صامدتها إلى حجابات للتجنيس والتهميش، وتعمل على

الحلقة الوسيطة التي تتصل بين طالبين الخدمات وتقديمها.

## الخطوة

لاشك أن شخصية كثير من الخدمات الاجتماعية التي كانت تكتفل بها الحكومات، خاصة فيما يخص خدمات التعليم والرعاية الصحية، سوف يجهل هذه الخدمات دون متناول الطيفات الفائرة عبر القارر على سداد كلفة هذه الخدمات، خاصة مع إرباد هذه الكلفة نتيجة لزيادة اعتمادها على التكنولوجيا خاصة عامة، وتكنولوجيا المعلومات بصفة خاصة.

وفيما يخص صاهيرة الحكومة الإلكترونية في تخفيف عبء البيروقراطية، يلوح في الأفق بزوغ بيروقراطية - من نوع جديد، «معلوماتية»، إن جاز القول، تدل بها الكفة ونظما مماثلة لبيئة البيروقراطية الحالية، لتحكم قبضتها على الحياة بشرى بعد أن أصبح كثير من المؤسسات ورائق البيروقراطية للنظم الكيرة، وعرضة للشلل التام ما أن تدهطل هذه النظم، أو يتصور أدائها.

## الأمم المتحدة

ستوفر نظم المعلومات البنية التحتية لتخفيف عبء عملية من خلال المنظمات الدولية والنظم المالية العالمية، وطريق مشترك هذه كفاءة هذه المنظمات وتوسيع نطاق نشاطها، وهو الأمر الذي سيعمل على زيادة التعاون الدولي والتشبيك ما بين النظم المحلية وإشاعة نظم المعلومات لصالح في البلدان النامية.

## الخطوة

حذر كثيرون من التصير المظنوم الذي تدفع العولمة إليه حول الأطراف، فهي تقص من

## الأمم المتحدة

تتيح تكنولوجيا المعلومات فرصا عديدة لخلاصة القطع ذاتها من الحياة من أجل تجديد المعارف وتلهايات تلبية طلب سوق العمل، وزيادة قدرة العامل على المحافظة على لبقائه المهنية.

## الخطوة

إن معدل التطور السريع لتكنولوجيا المعلومات، وما يترتب عليه من تسارع تغيير النظم والأعمال والتطبيقات وعلاقات العمل، سيؤدي إلى زيادة معدل إهلاك المعارف والمهارات بصورة ربما تفوق قدرة البشر على ملاقتها. إن التجميع الإنساني بدأ يلبث وراء ركب التكنولوجيا المتفرد، وقد يفيد بعض الممارات والمهارات دعما إلى مخرقة الاستهلاك السريع، السمة السلاسة والتخلفة لعصرنا هذا.

## (ج) جوانب المظاهرة، سلطة

## الدولة وسيادتها

## الأمم المتحدة

تساعد تكنولوجيا المعلومات على تقليص حجم الحكومات، وتجميع سلطاتها، وذلك نتيجة للتوسع في التخصصية، وزيادة مشاركة المنظمات غير الحكومية في صنع القرار، وفي قيامها بكثير من الخدمات والمهام التي لو كانت الحكومات عادة، سيؤدي كل هذا إلى التشتيت من الأبعاد التي تفرضها هذه الحكومات على مواطنيها على صورة تراكيب ورسود أو تضيقها، وتنظيمات، من ضرائب أخرى ستعمل الحكومة الإلكترونية على نقل المعلومات بصورة أكثر شفافية، وإل بيروقراطية، وذلك من خلال إسقاط الكثير من

إخضاع نوازع الثقافة الطبية، وعلى ضوء الوعي الثوري لدى الطبقات المستغنى، وعلى دعم العمال في نسج المجتمع الرأسمالي للعناصر.

## (د) جوانب المتغيرة،

## منظومة القيم والهوية

## القومية

تطوّر علاقة تكنولوجيا المعلومات بمنظومة القيم والهوية القومية على العديد من الضباب الشائعة، سنكتفي منها هنا بثلاث:

- تكنولوجيا المعلومات والدين.
- تكنولوجيا المعلومات واللغة.
- تكنولوجيا المعلومات والتراث.

وسنستلّ كلّا منها فيما يلي بإيجاز:

## الأمم

ما زال تصور التكنولوجيا محصوراً من علاقة الدين بتكنولوجيا المعلومات خصوصاً في الأمم النامية بالشرق الإفريقي والديني، ونشر الدعوة من طريق وسائل الإعلام، والرّسائل والإعلام الجماهيري والإنترنت على منظومة القيم، بل هو آخر، تنهض النظر إلى العلاقة «الدينية» للمعلوماتية» في إطار ثنائية تكنولوجيا المعلومات كدالة دين، وتكنولوجيا المعلومات كظاهرة أخلاقية، ولذا نأثّر علاقة بين تكنولوجيا المعلومات تنهض هذه الثنائية، حيث أصبحت هذه التكنولوجيا نفس قضايا جوهرية في صلب الظاهرة الدينية ومنظومة القيم، وتكتمل العلاقة الوثيقة بين الدين وتكنولوجيا المعلومات في صلب كل من منظوماتها، ومن الوجه أن تكنولوجيا المعلومات، تلعب دورها في مجال التعامل مع الزمن. أما صلة الدين بالزمن، فتقتضي هنا إذا ما أخذنا النظر في التفرعات المختلفة لمفهوم الدين كما يعرّفها علم الأنتروبولوجيا، والتي نوردّها في القائمة التالية:

- الدين كشكل من المعتقدات والممارسات السلوكية والأخلاقية.
- الدين كنظام للأفكار والنوّهات.
- الدين كمجموعة من الطقوس والشعائر.
- الدين كمؤسسة اجتماعية ثقافية.
- الدين كمجموعة من التشريعات والسنن.
- الدين كنسج من الرّسوم، برسخ لدى الإنسان حال وجدانيته، وواقع وجودي، وذلك في شكل تفكير لوني خفية عن الوجود.
- وكل من هذه التعريفات، خاصة التعريف الأخير، ذو صلة وطيدة بالرمز، وهناك دليل عديدة تشير إلى أن تكنولوجيا المعلومات، سيكون لها دور حاسم في بلورة هذه العلاقة الإنسانية الرّمزية، والدينية الرّمزية وراء ذلك، أن الإنسان كان العنصر ملتبساً يرى العالم من منظور معشوقته، وراء إرضاء، بصورة أو بآخر، من خلال تكنولوجيا المعلومات، وذلك بأن أصبح هذا التكنولوجيا في وسط الإنسان للتعامل مع حقائق وأهده، علاوة على ذلك، فإن الرموز المدسّنة ذات طبيعة مجردة، وكلما ضاقت المسألة بين الحسوس والجدري، وزادت فإن الإنسان قريبا من رموزه المدسّنة، وزادت قدرته على التماسك، وإقامة العلاقة، وبذلك غاب عنه، وما مضى من دنيا هذا الواقع، أي شواهد واقعته، ومن هنا نترجم صلة أخرى تربط بين الدين وقيمته الروحية، وبين تلك هذه المعلومات، مسندة هذه الصلة إلى أن تكنولوجيا المعلومات تدخل، بلا هوادة، على إسقاط الحدود الفاصلة بين المادي واللامادي، وعلى

## العولمة والهوية الضائعة

## الخصائص

تتعرّض الهوية القومية إلى تهديد شديد في ظل عولمة أعنت لنفسها الحق في تجنيس ثقافات العالم وطمس ملامح خصوصياتها، فهم... على ما يبدو - يرمون لنا بعوالم تلك أن تكون عالمين بل مكان ولا تاريخ، وكأن تكنولوجيا المعلومات التي سحقت الزمان والمكان قد عمّلت ذرأها استخفافا بالمكان من ناحية، ممّلا في إرضاف الإرتباط بأرض الأمل وفقدان الأمانة لطابعها الخاص، ومن ناحية أخرى استخفافا بالزمان ممّلا في نسيان تاريخ الأجداد وإهدار تراثهم.

ولا يخفى على أحد أنه يمكن استغلال تكنولوجيا المعلومات لنهب تراث الشعوب من قبل من لديهم الوسائل التكنولوجية لتوظيف التراث عملياً، وذلك في ظل ما يشاع حالياً في إطار خطاب العولمة من أن التراث الإنساني ملكية شائعة للجميع. في نفس الوقت إن المحافظة على التراث الإنساني تتطلب تسجيل هذا التراث في صورة رقمية، عبر ارتفاع كثافة الرقمنة digitization بما تبيد أدول الفقرة نفسها مضطرة إلى مناقشة جزء من تراثها في مقابل رزمنت.

إضافة إلى سبق، هناك تهديد خطيري في استغلال تكنولوجيا إيعادة بناء التاريخ خبثاً من أجل تزيف هذا التاريخ، وتوجيه مساره لتخدمة الأفراس الإسرائيلية، وخير شاهد على ذلك ما تقوم به إسرائيل حالياً من إعادة صياغة كل ما يتعلق بصفة اليهود بتاريخ الشعوب العربية، من يسود التاريخ والسرير في يهود العراق وأسببه الجزيرة العربية، ناهيك عما يفعله الاحتلال الإسرائيلي كما في ادعاء فلسطينية لقرن الأساطير كما تشهد على ذلك مقننات المصحف اليهودي بالقدس.

## رابعا، الحاجة الماسة إلى

## تنظيم جديد

يشهد التاريخ الإنساني الحديث بأن الوسائل قد طالت على مفاهيم التضطرب الأمور وتخلط الرؤى إزاء هذه التحويلات التي يوجهها المجتمع الخاص، وبوسط هذا الوضع لتخرج إلى الوجود، تكنولوجيا المعلومات لتزجج أجزاء جميع الأمم القومية التي تأسست عليها المنظومة المجتمعية، وتخلط التماسك الأساسي، وأساساته السياسية والاقتصادية والثقافية، وتشكّل عز، ومن العجز الذي أصاب نظمته ومؤسساته، وصدى الجهود الذي لحق بمنظومة قيمه المستغنى، هذا، في نفس الوقت التي استخدمت فيه تكنولوجيا المعلومات الجديد الوسائل غير المسبوقة لإدامة وتوسيع الإشكالات التي يوجهها، ويترتبها المجتمع الإنساني، والتعامل مع مظاهر تعقدها المقام، وطرح بدائل مبتكرة للتعامل معها، ولكن... يقينا... أن تكنولوجيا المعلومات صارها نون أن يستندنا تنفير جند ضاير تماماً لا هو سائد لتفني من دنيا نبشلت فروع، هي:

- تطوير اجتماعي جديد
- تطوير سياسي جديد
- تطوير اقتصادي جديد
- وتستغنى قيمياً من تراث من أهداف ومجالات أساسية لفرق
- التنظيم الخلقة هذه.



## احتكرت مراكز التطوير المعلوماتي

## الأعمال الراقية، وطردت إلى الأضراف

## الأعمال التقليدية، كمثال على ذلك ما أحدثته

## دراصة حديثة عن زيادة فرص العمل

## في دول الكاريبي بفضل المعلوماتي

## من الولايات المتحدة



شج وسلاها تجسيد الجرات بصورة مرئية ومصورة، وقد تجلى ذلك بصورة حاسمة في تكنولوجيا الواقع الخائلي Virtual Reality.

## آخر

لقد قامت حياتنا المالية على تكنولوجيا غاية في النجاح، في حين تلبّ حياتنا الروحية تحت وطأة الخواء، لقد أهدت هذه التكنولوجيا ذات القدرة اللطافة على إحداث التغيير، فحسبنا ما يلي، وسيمضي دوماً - ثابتاً بداخلنا من تغيير، لقد نسيت مطالبنا الجودانية، ووجدنا الدائمة إلى الخلل العملي وإلى الألفه والتأخّي والإحساس بالذات والهوية، ومع ذلك العلمي والتكنولوجي، انحصر الخطاب الديني، وعصى غلاة العقلانيين في عيهم، وفي أحاديث نظراتهم، يعنون أن الدين ظاهري، لا عقائدي، ماكنّا إلى الاندثار محاذ في مجتمع انحصار العقل والعسم العلمي، فإنساناً - كما يقول أحد أعضائهم - مخلوق له ذات قادر من حرية التصرف، الذي يعنه، في أية مرحلة من مراحل تطوره - أن يصنع الهته كما يظن، له، في الحضارة الغربية، صنعت الألفه الصناعات، والزيارات الفضائية، والمعلومات الإلكترونية ليست في حاجة إلى آلة. لقد افتت عبدة التكنولوجيا هؤلاء، أن من صعدوا من تكنولوجيا، وما تبعها من أيديولوجيات، قد دخل في صميم تناقضات عالمهم، وفي تلبية أحد الآتي من مطالبه الاجتماعية والإنسانية. لقد تلبّ أهل الأنتروبولوجيا والمجتمع ما للدين من أهمية في منظومة المجتمع، فهو - أي الدين - ليس مجرد ظاهرة نفسية - كما يدّعي البعض - بل هو أحد النواتب الاجتماعية التي لا تضلّ مع التقدم العلمي.

## الأمم

توفر تكنولوجيا المعلومات عدداً من الوسائل مؤازرة اللغة - تنظيراً وتعليماً

## كتاب الزاوية



### الغلوب والغالب

إن الغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوالمه.

والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانتادت إليه ؛ إما لنظره بالكامل بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالب به من أن اقتيادها ليس لغلب طبيعي إنما لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاد فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه ، والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبي ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالب أيضاً بذلك عن الغلب وهذا راجع لألؤل . ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها ، بل في سائر أحواله . وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تمجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم . وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسرى إليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير ، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أم الجلالة ، فإنك تمجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجحران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر له . وتأمل في هذا سر قولهم : العامة على دين الملك ، فإنه من بابة إذ الملك غالب لن تحت يده والرعية مفلتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بابائهم

والتعلمين معلمهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق .

### (أ) تنظير اجتماعي

#### جديد قادر على

• تأكيد محورية الثقافة في منظومة التنمية الإنسانية . بهدف بلورة تطوير لا يرى الثقافة مجرد عامل مساعد يدفع المجتمع صوب غاياته كما في نموذج ماركس فيبر . ولا يجعل من الثقافة ناتجاً فرعياً لنمو الإنتاج السلبي كما في نموذج كارل ماركس . ولا يفتقر دور الثقافة في كونها مؤسسة ضمن مؤسسات اجتماعية أخرى كما في نموذج إميل دوركايم .

• إقامة جسور الوفاق . وإظهار أوجه التقاطع بين المحلي والعالمي . وبين العام والخاص . وبين الحكومي وغير الحكومي . وبين الرسمي وغير الرسمي . وبين النقابي والجماعي .

• تأسيس معرفة جديدة أكثر صلاية . تمكن الإنسان من أن يحيي غايته على حقيقته ، لا كما يصوره له فكر تنقيح . أو كما يقدمه له إعلام سلطه

• التخلص من الحتميات التي خلفها الماضي . من حتميات تاريخية واقتصادية وقانونية وبيولوجية . والتعامل مع "عدم اليقين" كعنصر جوهري كامن في صلب الكائنات والكيانات . مادية كانت أم غير مادية .

• التخلص من سطوة السطويات الهرمية . والفترض النمط الشبكي القادر على استيعاب التفاعل بين أنواع النشاطات المختلفة

والمتباينة التي تسرى داخل كيان المجتمع ، وإبراز دور أليات التصحيح الذاتي بفعل نظم المعلومات .

• التأسيس لمجتمع التعلم بصفوه الواسع . الذي لا يقتصر فيه التعلم على البشر فقط . بل يشمل الجماعات والمؤسسات والنظم والآلات . والتعامل مع "الذات الجماعية" الذي يتضاعف بصورة أسية مع زيادة الأعداد ، وريادة إنتاج المعرفة ودأبها واستقلها .

• تبني مبدأ اللاتكيفية demassification لتخلصنا من نزعة التكتل وادوية التكتلولوجيا الصناعية . وللتنشيط في إنتاج الجملة . والإعلام الجماهيري وتعليم المجموعات الصغيرة ومؤسسات العلم الضخم .

• وأخيراً وليس آخراً : ضمان عدم طغيان القيم المادية على القيم العنصرية . واستيعاب فروع شجرة الأخلاق عصر المعلومات ومن ضمنها أخلاق الإعلام وأخلاق العلم وأخلاق التكنولوجيا . والتغلب على الأخلاق بوصفها مزيجاً يجمع بين التزام نقره القوانين وإلزام تابع من الضمير .

### (ب) تنظير سياسي جديد

#### قادر على

• التخلص من تبعية الفكر السياسي للفكر الاقتصادي . وتأسيسه على فكرة اجتماعية جديدة تزد له طابعه الأخلاقي . وذلك حتى يستتعي للقيام بقيام بورها من أجل خرد حتى من النظام وسط فوضى وشيكة يندر بولوجها مجتمع المعلومات .

• الكشف عن وهم الديمقراطية الزائف . وتضريس مصححة الهواء الطليق ، على حد تعبير تيودور أورتون . الذين يعتقدون على كونهن إحرازاً وما هم بأحرار . يساقون إلى صناديق الانتخابات كالقطيع . وتخصه أراهم ومواقفهم لمصالحات قياس الرأي العام . وذلك بغية أن تتحول هذه الديمقراطية الشفعية إلى مشاركة إيجابية حقيقية .

• التخلص من الخمول الذي أصاب جبالنا

السياسي . كما خلس إلى ذلك نكارير اليونسكو . فقد أصبحت هناك هوة واسعة تفصل بينه وبين خيالنا العلمي والتكنولوجي . لقد نزل الوقت لهذا الفكر السياسي أن يزل من برجه العلوي . وأن يتخلص من برجاته . وأن يتسلق أبراجه الزمات . ويروده تجاوبه في مشكلات الجماهير بحجة الحرص على سلامة الإجراءات وشرعية المؤسسات .

### (ج) تنظير اقتصادي

#### جديد قادر على

• التخلص من أسس الاقتصاد العوي ، المصوب العنيتين . القائم على المضاربات في الأسواق المالية . واقتصاد الكارتينو . الذي جعل من مصير البشرية لعبة لتقاعدها آيابه الخفية . وتقلبات أسواقه . وقصر نظر إستراتيجياته وتكتيكاته . لقد بات ضرورياً أن يعجز الاقتصاد العنانيه عن يثبت يغبائه الأصلية كما يعينه مصلحته العناني لتوفير سبل العيشة وتلبية احتياجات الفرد .

• التصدي لمشكلات العلم الاقتصادي والنظر والتفهيم الاجتماعي المتزايد . وتفسير هذا التلغز الذي مازال يحير الجميع - على حد تعبير أمبارت سين الاقتصادي الهندي العائز - على عتبة تولد . وتفسد به لما يتسلط الناس جوحي برغم توفر مواردها ؟؟

• استيعاب أثر التفكير المعلوماتي على الأسس التي قام عليها التفكير الاقتصادي الزمان . وعلى رأسها مفهوما القيمة والمكسب . فالقيمة لم تعد مقصورة على "أشياء" قيمة المنفعة وقيمة التبادل . بيد أن قام بتوسيعها بديلان لتعويض رابعية . وذلك بإضافة القيمة الزمنية (قيمة الشئ حالا) . وقيمة الزمن (أو الإشارة) حيث أصبحت المعلومة ذات قيمة يعنى قيماسها والصحاب على الأفراد . وقد توارى مع مفهوم القيمة هذا التوسع في مفهوم المكسب . ليضلل المكسب الفكري . وما يرتبط بها من المال الفضي . والقصد المعرفي . وما يشابه يرتبط بها بأسلفه ضرورة سرعة التفكير الاقتصادي المنشود للتخلص الخاصة التي يفتقر بها صود المعلومات من حيث اختلافه عن جميع الموارد الأخرى في كونه المورد الوحيد الذي لا ينضب . بل يزيد مع زيادة استهلاكه .

• تخليص الفكر الاقتصادي من وضعية العلوم الطبيعية . وما أدت إليه من استغراقه في المؤشرات الكمية والعدلات الرياضية والوسائل الزمنية . فالقولي للاقتصاد لا يتوجه بمناهجه صوب الاستنتاجات لا الطبيعية ، بوصفه علما ينسأ في المقام الأول . إن المنطق الأخلاقي يلغسنا على أن نتحول احتياجات الإنسان الأساسية إلى سلمة . وقد أصبحت المعلومات - بالفل - ضمن هذه الاحتياجات الأساسية . بعد أن أضحت مورداً لا غنى عنه لإنتاج هذه الإنسان . وتوفير مسعته ومليسته وتعليمه ورعاية صحته والترفيه عنه .

### هوامش

(1) يقوم البكر بولوجي الحديث على لغة الجينات التي الكود الوراثي الرباعي المكون من زوج من شابات الرموز . وهو سر العلاقة الوثيقة بين وبين تكتولوجيا المعلومات الخاصة على الكود الثنائي binary code

(2) البرنامج Pentium طراز شريحة المعالجة المركزية central processor chip الصانع استمدتها في الكمبيوترات الشمية





إذا كانت اللغة العادية المتداولة عبثاً على الشعر فإن لغة السياسة والسياسيين والجنرالات هي التلوّث بعينه. هذا ما كان عليه الوضع باستمرار. لكن العالم يشهد هذه الأيام ، لغة تفكّل . لغة غريبة تلد فتايل ذكية . لغة متوحشة ترسل الشباب والصبايا إلى مراعى الفتك. فهل يؤدّي اعتيال الكلام إلى اغتيال البشر؟



العاصفة، تُفّر من المبدعين الراغبين في اكتشاف قدرة الفن الساحرة على الاحتفاظ بجدارته وصفاته، وعدم السماح بتدويره. وفي واحد من مقالاته المأخوذة كتب الشاعر الأمريكي وس. مارفن:

عندما يسود الظلم (واين لا يحدث ذلك) لا خيار أمام الشاعر سوى أن يسمى الخطأ باسمه ويادق صورة معكئة وأن يحاول الإشارة إلى مطالب العدالة، كما يراها الضحايا الذين يشاهرون حياتهم.

وأنفقنا معه هذا، كما نلتأ أشعاره مخافه من جهة أن يواجه الشاعر في هذه الحالة، من حيث الجساسة فبريقته التي لا تُخوض، وتشويه موهبته ذاتها إذ يتحول إلى «مكتر صوت»، لقد أخذت منا إسرائيل أرض الفصيدة وتركت لنا الفصيدة الأرض. لكنّ ألق فصيدنا لحاول أن يكون أكثر تسامحاً من هذه الفئانية المخوفة، ليحيط بالكونيّ والإنساني من جهة، وبالشخصي والحميم من جهة أخرى. ويصص الفضل للشعراء الفلسطينيين والحرب الحقيقية الثنائية: الفلسطينيون أو التجريد بعيد التعصب لكنه بانسيب للشاعر، انتحار.

إن عمانية أمة من الأمم يجب ألا تكون ذريعة لتبرير الركاكة والتسليح في أي شكل من أشكال التعبير الفني، فليس مسؤولاً. لأننا نعيش في الحياة المأساوية للتاريخ، أن نفترق الورقة إلى المنصن، والأغنية إلى النشيد، والمسرحة إلى موعظة، والرواية إلى أيديولوجيا عارية، والنشر إلى شعار.



حول اخلفت دائماً ما المعلوم المنتشر وقد ما اصطلح الخدعة الكسالي على تسميته الحرب الوطني، رغم أن عائلنا يشهد أوقاتاً ضاغطة قليلة الرحمة أصبحت الحرب كلها في الخيال «الأول» إلى شدة قسوة الكون، وانتشرت الحروب الصغيرة كالظفر في أكثر من مكان على امتداد السنوات الأخيرة، وصار مصطلح «عملية السلام» أبلغ علامة من علامات التلوّث للتواري بل أصبح زيادةً لغوية تشير إلى إطلاقة أمة الصراعات الدائمة من قصد تصميم، ويدل كل جهد ممكن من أجل تغيير الحالة، ولأن القوة تُسلي ولا تُعلم عليها، فإن الحداثة التي تروق للنظم الأقوى هي الظلم الشامل.

شعنا لث دائماً: «نحن اخترعنا

بقيادة جورج بوش هو إعادة الكون إلى الفوضى القديمة قال الشاعر العربي: وإن الشان بالعدونين ذُكرنا

وإن الحرب أولها للكلّم

وأنّ، هل يحق للشعب الأمريكي وشعبو الأمم الأخرى أن يفكروا وأن يحلوا وأن يفحصوا هذا «الكلام الموثق» نعم، نظرياً نعم. لكن إدارة جورج بوش لا تحب التحليل «الزائد» ولا تسمح به. إنها تريد أن تنظّر النتائج الناجمة عن التفكير، وأن تسيطر على مستقبل الأفكار!



وماذا عن القنابل والكتّاب في عصر كهذا؟ ماذا يوصي شاعر فلسطيني أن يفعل بشعري وليفتي، هنا والأين، في هذا الجزء من العالم حيث الموت «لا يقع لأسباب طبيعية كالتي تسود في الأراض وحوادث الطرق، الموت هنا ينتسب، يقم، يتجول في الأرض، في الغني، يمارس حياته العادية بيننا، يصدق في وجوهنا جميعه، يجعل البلد يطالب عكاز الشيخ وطرحه الصعود ورضاعة الطفل بالأسفّر اليومي» بالنسيان اليومي، وبما هو القسي من ذلك كله: بالبطولة، باليوينية!

إنها حافة الحياة أو هي الحياة على الحافة. فلسطين حاضرة، وهي أيضاً مقلقة. هي المتكبرة، هي المقاصرة، هي متحاة. هي ممنوعة. هي خلفاء. هي مخفية. هي هوية أهلها. هي فدانهم الناعل الملوية. هي نهائية، مضطرون إلى الأمل، هي نهائية مضطرون، إلى اليأس.

هي مخفئة إنسانها من الرضعة الأولى إلى الشبهة الأخيرة، إنها الطوارئ التي تقتض صفة الدومعة، حيث الاحتلال يتدخل في الحياة كلها وفي الغضب. يتدخل في السهر والشرق والموت. يتدخل في الشبهة والشيء في الطرقات. يتدخل في الذهاب إلى الإسكان ويتدخل في العودة منها، سواء كانت سوق الخضار المجاور أو مستشفى الشيوخ أو شاطئ البحر أو غرفة النوم أو عاصمة مثلية!

في مكان آخر تحدثت عن «الشعر في مجتمع الكارثة» ، حيث تفكّل جميع الأرويات بما في ذلك الأرويات الثقافية بمعناها الأشمل، وبمعناها الأدنى على الأخص، والشعر على وجه التحديد. قلت إنه ينبغي أن نظل هناك، حتى في بؤرة

الحجم الهولocaust على نيويورك، كما أنشأنا من قبل العالم كله، وكفلسطيني من ضحايا الإرهاب الإسرائيلي وكثيري من الضحايا الذين يتعاملون مع القبح، فإنني تماثلت على الفور مع الضحايا داخل الحربين وتعاملت مع كل روح تهافت آنذاك. الآن وبعد مرور سنة وبضعة أشهر اتساع لما سجد ذلك اليوم في التاريخ على أنه ٩/١١ فقط، دون الإشارة إلى عام ٢٠٠١ يقولون ٩/١١ ولا يشيرون إلى السنة أياً! المؤكد أن علماء السياسة يستعملون الإجابة عن هذا التساؤل بدرجة من الدقة لا يمتثلها مثالي من غير المختصين، لكنّ الواقع أن هذا التفسير السطحي يستجيب لنجور البيت ومستشاريه ذوي الأنياب في البيت الأبيض أن يصوروا ذلك اليوم بوصفته يوماً خارج التاريخ وخارج السياسة، وذلك من أجل تدمير فكرة استمرارية التاريخ وتربطيته. وهكذا يسهلون الطريق لنظرية خيطة وخظيرة تفضل أن ترى ٩/١١ بصفته

بداية القانون، بداية الحق، بداية الباطل، بداية الأعراف، بداية الصدقات، بداية الهدوء، بداية المصالح... «بداية التاريخ»!



سيصبح هذا النوع من التسليح فتره جماعية توحي بأن التعامل مع ذلك اليوم يجب أن يتخلل إلى معادلة الشر المطلق ضد الخير المطلق. لا تخز ولا أقل. هكذا سيتمكن البيت الأبيض من منع أي تحليل سياسي أو تاريخي وتجديد أي محاولة للربط بين ذلك اليوم وأية قضية أخرى على سطح هذا الكوكب، وبأنه يرغم جورج بوش دول العالم على تقبل أي خيار اختاره الولايات المتحدة، والرضى عن أي ضربة توجهها إلى أي طرف، في أية لحظة، في أي مكان. هكذا ينهي جورج بوش «مفهوم الحيداء» في الحرب، فيفتك على تحاللاته التقليدية دون أدنى اعتراض بالجميع للاتباع والأعوان التاريخيين، ويمكن من تشكيل عجيبة القانون الدولي والولايات المتحدة والنظام الدولي العالمي برته، كما تشتهي يداه عن طريق «اغتيال البرغم» وتوثيق نظم يهصدف هو ودارته على تصحيص نظم الاعتقاد المألوفة لدى البشر. نعم. إن أبشع ما يفشي أن تحلقه هذه الإرادة

وقرنا أسماء عربية. لكن، سفها ما شئت، نظل الخفيفة إن هذه الأرض «محتلة». لكنهم إن سيمسحوا لهذه الحقيقة إن تحسروهم، والصل بسيط جداً: هذه الأرض سيمسحها حكام إسرائيل «الناطق»؛ نقطة! إنه حل في منتهى البراعة! أنا فلسطيني لكن بدلي اسمه «الناطق»؛ ما الذي يحدث هنا؟ بكعة واحدة يقوم الغزاة بإعادة تعريف شعب بأكمله ويحذفون التاريخ.

وسيكبر الاحتلال إعادة تعريف الفلسطيني مرة بعد مرة وبلا هواة: سيمسحونه الخرب، المسلح، المطلوب، القاتل، الإرهابي، الغاضب عن الحاجة، السرطان، المصراي، الأفعى، الفيروس، إلخ. ولا نهاية للغاشة، ولا يتحقق إلا بدون الوسائل المألوفة: اغتيال اللغة، وإلحاق المعنى، وفرض التعديلات، واختيار الدقة، وتجسيد الخرافة بحيث تصبح حقيقة سياسية على الأرض، وكسوة الاستراتيجية العسكرية والتكتيكات الحربية بكساء المفردات الرسولية والأخلاقية. حينذاك يسهل كل شيء، فالوصف جاهزة: «نظر الطرف الذي يضع التعريف، غريباً؛ مثلاً: أخذنا، أخذنا، شوه المعلومات، أخف المعلومات، علّق الوصمة؛ لم أرسل الديابات والقذافات من سيلوم بعد كل ما فعلت؛ الست في حالة دفاع عن النفس؟»



إذا كانت اللغة العادية المتداولة عبثاً على الشعر فإن لغة السياسة والسياسيين والجنرالات هي التلوّث بعينه. هذا ما كان عليه الوضع باستمرار. لكن العالم يشهد هذه الأيام ، لغة تفكّل . لغة غريبة تلد فتايل ذكية . لغة متوحشة ترسل الشباب والصبايا إلى مراعى الفتك. فهل يؤدّي اعتيال الكلام إلى اغتيال البشر؟

نعرف أن التسليح أمة شباب الشعر والنثر. وعندما يكون السياسة الغالبة على خطاب صناع السياسة ومحترفيها، فهو يؤدّي حتماً إلى تلوّث الخطاب النعيب والسفلية ميئاً ويساراً وإذا أفسد له التسلسل الرخص بالرسولية والتوقوع معاً، كما هو الحال الراهن في لغة الخطاب المتحمدة وإسرائيل، فإن التسليح، كما عظمنا التاريخ، يؤدّي إلى الفاضية. وعليه، فإن الخطاب النعيب على «مهم/نحن» أو «إمسا معنا أو مع البشر» ليس رطانة عجيبة هوجاء فقط، بل هو عمل من أعمال الفتل



## نفسه الجبنرالات القتالة

الفتنرات والعصبات الالاصقة ولكن، هل  
زرى بوضوح افضل من الالاصى  
تيريسياس؟» وحاولت الاجابة:

«هذا عالم اكتشفت فيه الالاصقة  
الميتافيزيقية والفلسفية الكبرى الى  
الزوايا بينما تقدمت فيه العضلات  
وغرسة القوة الى المركز: «الوت» يتم  
بنه يدًا «حيًا» ومباشرًا على الشاشات.  
اللفة النظيفية، اللفة التي تحاول أن  
تعنى ما تقول، هي نوع من الرد الاخلاقي  
على اللفة الملوثة، فاللفة عنصر مشترك  
بين عالم السوق وعالم الجمال، والشعر  
يحاول أن يبعد لكل مفردة خصوصيتها  
المطبوسة بالابتذال الجماعي. لاحظ  
شغف الطاغية باللفة الرنانة ولاحظ  
الشاعر الحقيقي إذ يختار لفة التلطف  
الزخرفي واللفة الجراحية في مفردات  
عمله. لم يعد الشاعر هو الشعر».

إن الشعر المعاصر أو الجزء المهم منه  
هو دحض الشاعر لقيح الطاغية ولبخ  
السوق، فاشعر أن يكف عن تجديد لفته،  
على عكس مؤسسة الامر الواقع التي  
تصاب بالهلع من التجديد وتشعنى  
باستمرار لتجديد لفتها السعيدة كجزء  
من دفاها عن تثبيت وجودها ذاته.

«هكذا تصبح لفة الشعر الحقيقي  
إدانة لفة الصليقة المتواطى عليها من  
خائبة، وتحييها عن عجز الشعر عن  
هزيمة هذه الصليقة من ناحية أخرى.  
ولعل هذا العجز هو الذي يفسر «مجنون  
الشعر» في العالم كله».

واللفة المسومة لا تعمل بدون الدور  
الحاسم الذي يلعبه إعلام مسموم. إن  
مليارات الدورات التي يتم فيها إعادة إقناعنا  
بأن حروب الولايات المتحدة حق،  
وضرورية، ولصالحها تمامًا كالأوتار  
المتزايدة، ومن خلال البرامج الزامية اللون  
وتشويق الحوارات التليفزيونية اللاهية،  
والمؤتمرات الصحفية المجددة النتائج  
والمحددة المسار، تقوم موهبة التليفزيون  
العملية، والإمبراطورية الصحفية  
الشاسعة بحشرونا في ثقافة الحرب  
الامريكية ولا تكتفي بمحاولة إقناعنا  
بوقاحة القوة، بل تريد أن نصدق لها!  
ولكن، ما شأن المثقفين في كل هذا؟  
الإجابة هي أن شأنهم كبير: ليس هؤلاء  
الاعلاميون كُتّابًا؟ ليسوا صيغيين  
ومفكرين ومترجمين واكاديميين وفنانين  
واصحاب معرفة بالحياة وباللغة،  
ارتضى كل واحد منهم أن يمارس مهنة  
«هكذا الخدم» في احتفال القتل، وأن يكون  
نادلاً من سقاة الجحيم؟ أما الطار الآخر  
فهم المثقفون الذين اختاروا الصمت

## كتاب الزاوية



### الامة اذا غلبت

إن الامة اذا غلبت وصارت في ملك غير ما أسرع اليها  
الفتنة، والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس  
من التكاسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة  
لسواها وعالة عليهم، فيقصّر الأمل ويضعف التناسل  
والاعتماد إنما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من  
النشاط في القوى الحيوانية. فإذا ذهب الأمل بالتكاسل  
وذهب ما يدعو إليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهبة  
بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وثلاثت مكاسبهم  
ومساعيتهم وعجزوا عن المداخلة عن أنفسهم بما خضد  
الغلب من شوكتهم فأصبحو مغلبين لكل متغلب وطعمة  
لكل أكل وسواه كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أو لم  
يحصلوا.

وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الإنسان رئيس بطبعه  
يمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس إذا غلب على  
رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه ورى  
كبه وهذا موجود في أخلاق الأناس. ولقد يقال مثله في  
الحيوانات المفترسة وإنها لا تساعد إذا كانت في ملكة  
الأميين. فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص  
واضمحلال إلى أن واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت  
قد ملأت العالم كثرةً ولما فئت حاميتهم في أيام العرب بقى  
منهم كثير وأكثر من الكثير. يقال أن سعداً أحصى ما وراء  
المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفاً منهم سبعة  
وثلاثون ألفاً رب بيت. ولما حصلوا في ملكة العرب وقبضة  
القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلاً ودثروا كأن لم يكونوا. ولا  
تحسبن أن ذلك ظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فملكه  
الإسلام في العدل ما علمت وإنما هي طبيعة في الإنسان إذا  
غلب على أمره وصار له لغيرة.

والتواطؤ للمدروس إخلاء الساحة من  
البدائل.

من هنا تبرز أهمية دور الأقلية  
الثقافية الشجاعة في كل مجتمع. وفي  
هذا الوقت الكاسي بالذات، لا يمكن  
الاستهانة بمدى حاجتنا لشرف  
وجودهم، ففي الحركة على اللغة، الصمت  
ليس حكمةً والتواطؤ جريمة، وبينما يحوم  
شيخ الحرب في أرجاء الكون، تتصاعد  
بين الإلوياء والضعفاء لفة أحب أن  
أسميها «لفة إلهابها كونيته». إنها لفة  
للطمع لا للوصل، لفة نهم وتنتهم.  
تُشرف وتُشتم. لفة تسمى «الذخاف»  
وتُعذّم المعنى، تُعزّز الحقوى الإنساني  
للنفسات، والعقائد، والهويات العديدة  
على اتساع كوكب الأرض. الحرب فيها  
جواب لا لسؤال والموت أرقام لأجساد  
وأرواح. لفة تحسّن لعملاً وضغناً  
بألمها إلى خبير لا شرف فيه، أو شر لا  
خير فيه.



المحتسحت الولايات المتحدة القرن  
الواحد والعشرين بدايةً كاريبةً بالانسية  
للأسوياء من بني البشر، محجن الحياة  
والجمال والسلام والكرامة والعدل  
والساعين للحقيقة. وما هي فواهر  
الإهاب الفردى وإرهاق الدولة والتعب  
لا تزال طاغية على جانبي الصراع. أما  
لغة فقهاء القوة الراسالية وبنائة  
الإمبراطورية في البيت الأبيض، المولعين  
بفصلين الحروب كالأزياء، فقد أزيات  
انتضالاً بصفتها لغةً جراحية تهدهد  
حياتنا وتجعل كوكبنا إلى أنشأ كل  
صباح. وبما أننا لا نستطيع أن نفصل  
الظلمات الملوثة بلقاء الساخن والصاينون  
«كما تفصل الصحن من دهنه»، فإنتنا،  
نحن شعراء العالم وقُتّاب، سنقبل نشير  
بقوة إلى خطر «اغتيال اللغة» وتوقيض  
بشكل التعميم والتبسيط والتسطيع.  
مواضيل الخناية بقصائدنا وقنايتنا،  
بلغة مطبوسة تعرف فضيلة اللغة  
وجدرة الاعماق، التي نسترد احتراماً  
المعنى، وإتقاد معنى جديداً للهدد  
بالعيب والهياه والادوى. ورغم إدراكنا  
لحقيقة أننا سنظل دائماً الأقلية، وأن  
نجاحنا ليس مضموناً على الإطلاق، إلا  
أننا لا نستطيع أن نتواطى مع أولئك الذين  
لا يرفّ لهم جفن وهم يقتلون للغة  
ويقولون طمانينة البش، ويقرؤون بحرب  
قد تحصد أرواح الملايين، ليرفضوا على  
الإنسانية «عدائهم المملقة» !!

## كليلة ودمنة

### قراءة جديدة... في كتاب قديم

الحكمة وحكمته والسفهاء للهوى والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه من أمر يربط في صدره ولا يدرى ما هو.

إن للكتاب عرضاً ظاهرياً وآخر باطنياً وحسب ابن المقفع أيضاً: «من قرأ هذا الكتاب ولم يهتد ما فيه ولم يعلم غرضه فظاهراً أو باطناً لم ينتفع به بدا له من خطه ونقصه».

ويقول «كليلة ودمنة» على كناية مثل يسأل الملك ديشليم الفيلسوف يبيد عنه فيسوق له الأخير قصة عن هذا الملك وتتأخذ تلك القصص شكل خرافياً على السمة الحيوانات لتأول وتنسج لتضفي في جوانبها قصصاً أخرى متداخلة إلى أن تصل في النهاية إلى حلقة متشابكة من القصص يفضي بعضها إلى بعض، عاقلة عالماً في الحكم والتجارب يتولم من الفأري في كل قراءة جديدة للكتاب منبهة برشالة الأسلوب وعمق الفكرة. ■

كان فيه ابن المقفع مع الخليفة العباسي المنصور الذي كان بصاحبه إلى الكثرة غير المباشر لما عرف عنه من قوة البأس والبطش بكل من يمانه أو يفرج عن طاعته، لذا التسمت ترجمة ابن المقفع للكتاب بخصوصية طرفها الزماني والمكاني. فاضاف ابن المقفع بعض القصص من نسج تأليفه وعمل في بعضها واكسب المترجم منها روحاً جديدة اضافها أسلوبه المشوق وعرضه الرائع.

يتناول الكتاب قصصاً تجري على لسان الحيوان في ظاهرها وتستتبط الحيوان لتصل إلى أهداف أخرى أخلاقية وأصلاحية لشئون المجتمع والسياسة. وقد يتخلف الهدف يعرض الحكمة مباشرة أو من خلال الخرافة التي تظهر في قيام الحيوان بالذوق الإنساني سواء في الملك أو الحيوان. وفي هذا الصدد يقول ابن المقفع: «واما الكتاب فجمع حكمة ولهذا فاختاره

أنورثرون فقرأ في كتاب الهنود زعمًا يقول إن لديهم نبياً ينذر على الميت فيتمكث في الحال، فارتحل برزوييه إلى الهند بتشجيع من كسرى أنورثرون وولجته مصاعب كثيرة حتى عرف أن الثبات المقصود هو رمز لكتاب كليلة ودمنة الموجود لدى الرجا حاكم الهند. وبعد محاولات جديدة استطاع برزوييه الحصول على النسخة الهندية وكان يرسل إلى كسرى أنورثرون ما يحفظه منها فباعاً وتولى برزومهر كتابة ما يصل من برزوييه وصدر الكتاب وبه نبذة عن العالم برزوييه.

الكتاب كله يرتكز حول قصص برزوييه الفيلسوف يبيد الملك ديشليم. وقد اطلع ابن المقفع (توفي ٧٠٩ ميلادية) على النسخة الفارسية لكليلة ودمنة وكان لها أثر بالغ في نفسه وتفكيره وقياساته. كان الخلفاء الإجماع والسياسي للفيلسوف الهندي يبيد ما الملك ديشليم يشابه ما

■ قليل من الكتب نال من إقبال الناس وعنايتهم ما نال هذا الكتاب. فقد تنافست الأمم الجادة في إخراجه منذ كتب، وحرصت كل أمة أن تنقله إلى لغتها، فليس في لغات العالم ذات الأباب لغة إلا ترجم هذا الكتاب إليها. ويحق عيت ابن المقفع هذا الكتاب العجيب الذي يدخل من الحكم والآداب وضروب السياسة وإفتائين القصص ما يملأ القارئ عيرة وإعجاباً وسروراً.

لقد كان «كليلة ودمنة»، ولا يزال، منار اختلاف حول أصله وترجماته، وتساءل كثير من المؤرخين والفقهاء عن اللغة التي ظهر بها أولاً واللغة التي جرت ترجمته إليها بعد ذلك، وفي هذا ظهرت خلافات بين من تكن هناك وسيلة لحسمها بشكل قاطع.

وتنسب الموسوعة العربية العالمية (الرياض ١٩٩٩) قصة الكتاب إلى العالم الفارسي برزوييه الذي كان مواعلاً بالحكمة والعلم وكان مقرباً من كسرى

المقصرة ومعها أصحابي حتى أعز ظهر البيت الذي أريد أن أسره، فانتخيت إلى أنقوة التي يدخل منها الضوء إلى البيت فأراني بهذه الرقيقة وهي: «شولم، شولم» سبع مرات، ثم اعتنق الضوء فاهبط فيه إلى البيت، وألحظ نواقيع أحد. ثم أقوم في أسفل الضوء فأعبد الرقيقة سبع مرات فأبقي في البيت ما لا متاع إلا ظهري، وأمكنني أن أتناوله، ولقيت علي حمله. ثم أعيدته واعتنق الضوء وأصعد إلى أصحابي فأحلفهم ما معي، ثم نسلت ولا تشعر بنا أحد.

فلسا سمع للصمصوم ذلك فرحوا وقالوا: لقد ظفينا من هذا البيت بأمر هو خير لنا من المال، وأما من السلطان. وأطالوا المكث حتى ظفروا إلى الرجل قد قام. ودنا ريشهم إلى شغل الضوء من فوق. فقال: «شولم، شولم» سبع مرات. ثم اعتنق الضوء لينزل إلى البيت فوقع متخفاً فوقاً إليه صاحب البيت بهراوة فأواجهه ضرباً وقال له: من أنت؟ قال: أنا المصقق الخدوع، وهذه ثمره تصديقي.

العقد الواحد والخمسون، أبريل ٢٠٠٣



قولي لي: الآخرتي من أموالك الكثيرة هذه وتكونك، من أين جمعتها؟ فلذا أبيت عليك فالحقي في السؤال. فقلت المرأة ذلك. وسعم للصمصوم كلامها. فقال الرجل: أيتها المرأة، قد سالك القدر إلى رزقي واسع، فكني واشتريني واسكتي ولا تنسلي عما لو اخترتكم به لم أم أن يسمعه سامع فيكون لي ذلك ما أنكره وتكرهين. فقلت المرأة: لعنري ما بأمرني أحد يلهم كلامنا. قال الرجل: فإني مخبرك أني لم أجمع هذه الأموال والكنوز إلا من السرقة. قالت: وكيف كان ذلك وانت في عين الناس عتق مرضى لم يهكم ولم يسترب في أحد؟ قال: لقد أعلم أصبته في السرقة كان المظف وأرق في من يهمني أحد لو يرباني في. قالت: وكيف كان ذلك؟ قال: كنت أذهب في الليلة

ويمايتها ويضع عليه أسفاً. وعرف أن فلتته وعلمه لم ينفعه شيئاً إذ لم يستعملهما.

#### في حتمق تصديق

#### ما لا يصمدق

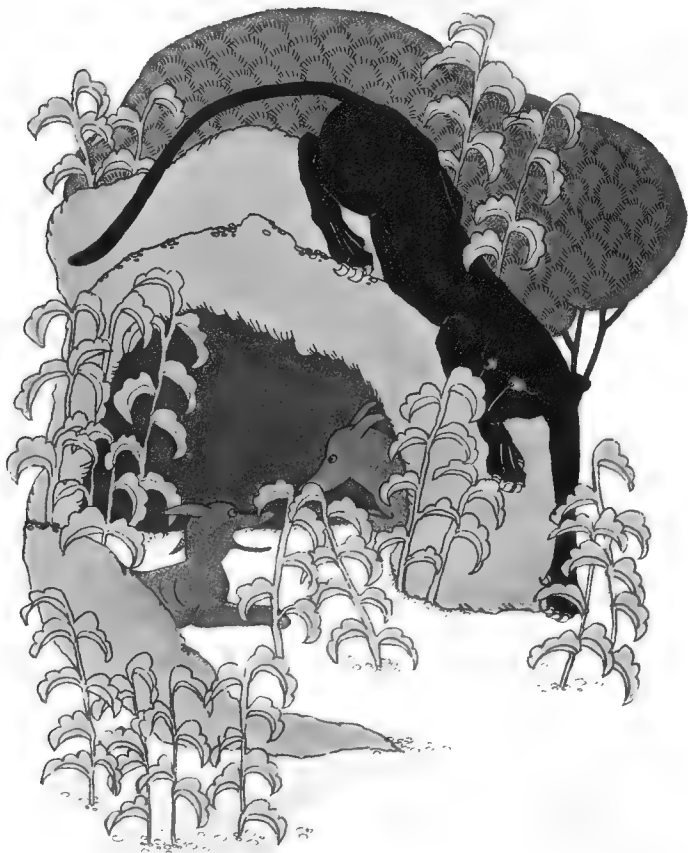
زعموا أن جماعة من اللصوص ذهبوا إلى بيت رجل من الأغنياء ليسرقوا متاعه، فعلموا ظهر بيته ليلاً فالتفت به صاحب البيت لوطهم، وألحظ بهم، فعرف أنه لم يعمل ظهر بيته في تلك الساعة إلا ضروب. فاستبقوا أمراته وقال لها: رويداً! أتاني لأحبب اللصوص قد علوا ظهر بيتنا. وأنا متخافاً لك، فاستبقيني بصوت رفيع يسع من فوق البيت من اللصوص، ثم

من علم ولم يستعمل علمه لم ينتفع بعلمه،

■ وكان كمثل الرجل الذي يلغني أن سارقاً نزل عليه في منزله، فاستبقط الرجل القابل في نفسه: لستكن حتى انظر غايه ما يصنع، ولزغته حتى إذا فرغ مما يأخذ فمت إليه فنهضت ذلك عليه وكثرته، فسوف هو في فراشه، وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه حتى غلب على صاحب البيت. فحمله النوم فنام ووافق ذلك فراغ السارق. فعمد إلى جميع ما كان قد جمعه فأحمله وانطلق به، واستبقط الرجل بعد ذهاب السارق فلم يرفي منزله شيئاً. فجعل يلوم نفسه

المصوم والولاح ملخوة النسخة التي حقها الدكتور عبد الوهاب عزام والصادرة عن دار الشؤون (الطبعة الرابعة ١٩٩٤)

# فى مواجهة البفى والاسـتـعلاء



لوحات الغلاف للفنانة سوزانا فريز

العدد الواحد والخمسون، أبريل ٢٠٠٣م



## في الخوف يودي إلى التهلكة:

يحكى أن رجلاً لجأ الخوف إلى يثر تدلى فيها وتعلق خمسين نابيتين على شجرها موقع رجلاه على شيء عندهما، فنظر فإذا هو بباربع أسباع قد اطلعن رءوسهن من أجرحتهن. ونظر إلى أسفلها فإذا هو بنيتين فاعثر فاه نحوه. ورفع بصره إلى الخمسين فإذا في أصولهما جردان أبيض وأسود يقرضاهما دائبين لا يفتران. فبينما هو على ذلك بهلثم بالحبيلة لنفسه إذ نظر فإذا قريب منه غواراة نحل فيها شيء من عمل، فتعلم منه واشتغل بحلواته عن التفكير في أمره، ونسى الحيات الأربع التي رجلاه عليها ولا يدري متى يثبون، أو إحداهن. ولم يذكر أن البجرتين الدائبان في قطع الخمسين، وإنما إذا فلعلهما وقع في فم اللتين فهلك. ولم يزل لهما ساهياً حتى هلك.

## في الدماء والحسيلة

### أسماء القوة والشدة:

قال دمنة: لا تتفان إلى مصرى وضعى: فإن الأمور ليست بالقوة والعظم. وبب ضميم صغبر قد بلغ وجمانه وحيلته ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء. أو لم يملك أن شراباً احتمال لأسود (نوع من الحيات) حتى قتله. قال كليله: وكيف كان هذا الحديث؟

قال دمنة: زعموا أنه كان وقّر لفراب في شجرة في جبل. وكان يقر به جحر أسود. وكان الفراب كلما فرخ عند الأسود إلى فراخه فاكلها. فاشتد ذلك عليه، وبلغ منه خيلفاً شديداً. فتكا ذلك إلى صدق له من بنات أوى. وقال: أردت أن استأمر في شيء همت به إن اتفقني عليه. قال: هو؟ هو؟ قال: أتى الأسود وهو نائم، فالتفت

عنيه لعل أشفاهما. فقال ابن أوى: بنست الحيلة همت بها، فالتمس أمراً تصيب منه حاجتك، وأبصم فيه عروة إيك. وإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه. قال الفراب: وكيف كان ذلك؟ قال ابن أوى: كان علجوم مشغوباً في أجسة شخصية سمكة، فعلى مثلك ما عاش، ثم هم فلم يستطع للصبيد، فاصابه جوع وجهد، فالتمس الحيل وقد عفرًا حزيناً، فأراه سرطان من بعيد. فلما رأى حاله عرف ما به، فآاه فقال له: مالي اراد كتيلاً حزيناً؟ قال العلجوم: وكيف لا اكتتب واحزن. وإنما كان معاشي من السمك فأخبره بذلك، فاشقني إلى الصبيد. فقلت: انتقم لنفسك علينا، فإن هذا العقل لا يدع مشاوره عدوه. إذا كان ذا رأى في الأمر الذي يشركه فيه. وانت دى. وك في بقاءنا صلاح، فأشر علينا برأيه. فسال العلجوم: أما مكثرة السمائين وقتلها فليس عندنا ولا نطيعهما، ولأعلم عيلة إلا أنني قد عرفت مكاناً كبيراً للماء والخضرة، فإن شئتُ فانتقلن إليه. فلقن له: ومن يثر علينا بذلك؟ فقال: أنا. وجعل يحمل مخون انتنن في كل يوم. يتعلق بهما إلى بعض الكلال فياكلهما.

ثم إلى السرطان قال له: إنني قد اشتقت مما خردنا: فلو دعيت بي. فاحفنه حتى دنا من المكان الذي كان ياكلن فيه. فلما يصر عظامهن مجموعة تلوح: عرف أنه هو صاحبهن وأنه يريد به مثلن. فقال:

إذا لقي المرء عدوه في المواطن التي يعلم أنه هالك فيها، فهو حقيق أن يقاتل كرمًا وحشاً. فاهوى بقتليبه على غلق الطجوم فغصره، فوقع إلى الأرض ميتاً. ورجع السرطان إلى السمك فأخبرهن. وإنما خبرت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيل مضر على صاحبه، مثلك له. ولكن انطلق فالتمس حلياً، فإذا نظرت به فاحفنه، ثم حر به. وأصاحبه ينظرون إليك حيث لا تقومهم بأنهم سيطلبونك حتى تنتهي به إلى جحر الأسود فترمي به عليه.

وإنما خبرت لك هذا المثل لتعلم أن الاحتياط ربما لجزى ما لا يجزى القوة.

## بين الحزم والعجز:

قال دمنة للأسد: وأنت أيها الملك أعلم بالأسود، وأبلغ قبيلها آياً. وأنا أنرى تحسناً للأسد قبل تقاضاه. ولا تتفكر وقوعه، فإنه لا تامن أن يفوتك. ثم استدرته: فإنه كان يقال: الرجال ثلاثة: حازمان عاجز، فاحد الحازمين من إذا نزل به اليلاء لم يدعش، ولم يذهب قلبه شعاعاً، ولم يخى برياه وحيلته أو مكيدته التي بها يرجو المخرج والنجاة. وأحزم من هذا، المتقدم للعدو، الذي يعرف الأسر ميتدا قبل وقوعه، فيعلمه إعطاه، وفوقه. وأما العاجز فهو الذي لا يزال في التردد وتعنى الأمانى حتى يهلك نفسه. وصل ذلك مثل السمكات الثلاثة. قال الأسد: وكيف كان كلهن؟ قال دمنة: زعموا أن غديرًا كان فيه ثلاث سمكات: كبيرة، وأكيس منها، وعاجزة. وكان ذلك المكان يتجوع من الأرض، لا يكاد يقر به من الناس لحد. فلما كان ذات يوم، سر

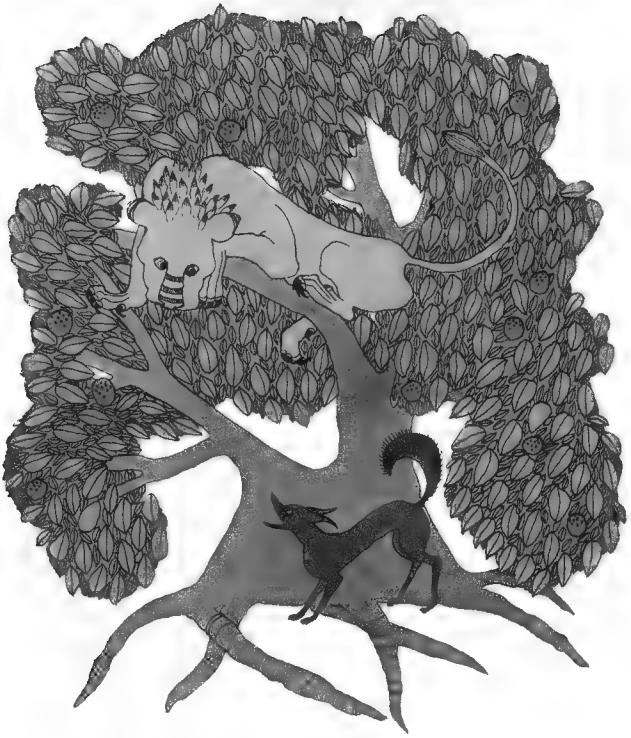
صبيان أن ذلك الغدير مجتازين، فتواعدوا أن يرجعوا إليه يشبكهما فيصيدا الثلاث السمكات اللواتي راياهن فيه. فلما انتهما الحازمة أرتاب بهما، وتخولفت منهما، فلم تعرج أن خرجت من مدخل الماء إلى النهر. وأما الكيسة فتلبت حتى جاء الصبيان، فلما أبصرتهما قد سدا مخرجها، وعرفت الذي يريدان بها، قالت: فزطت، وهذه عاقبة الطريق، كيف الخلاص ولقما تتجح حيلة المروء؟ ولكن العالم لا يفتق على كل حال، ولا يدع الأخذ بالرأى. ثم تلاوت وجعلت تطفو على وجه الماء متقلية، فأخذاها فاللقياها على الأرض غير بعيد من النهر، فوثبت فيه فنجت منهما، ولم العاجزة تفل تزل في إقبال وإدبار حتى صاهاها.

وإذا أرى أن أيها الملك، معالجة الحزم والعجيلة، فقصم أداء قبل أن يثبتي به، وتذبح الأسر قبل نزوله.

## أوهام التسمتى:

قال دمنة: لا إته لا يجعله على ذلك إلا ذلك: فإن اللذيم الكفور لا يزال ناصحاً نافعاً، حتى يرفع إلى المذلة التي ليس لها ياهل. فإذا فعل ذلك به، انمس ما فوقها بالخس والخيانة. ولا يخدم السلطان ولا يصبح له إلا عن سرق أو حاجة: فإذا استغنى وأمن عاد إلى أصله وجوره، كذب الوامب الأعطف، لا يزال مستقيماً ما دام مربوطاً، فإذا حل عاد إلى ما كان عليه. وأعلم أنه من لم يقبل من شخصه ما يفل عليه مما ينظرون له فيه، لم يعدم مائة أمة ورأيه: كالمريض الذي يترى ما يفتع له الطبيب ويعد ما تشتهي نفسه، وخير الأوامر ألقهم مسامحة، وأفضل الأعمال إخلاها عاقبة، ولحسن الذماء ما كان على أهواء الأحرار، وأشراف السلطان ما لم يخالطه بطر، وأبسر الأغنياء من لم يكن للحصر أسير، وأفضل الإصداق من لم يخاصم، وأمثل الأخلاق أعوثها على الورع. وقد





ذئبٌ وابْنُ أَوَى وغُرَاب، وإن أناسًا من  
التجار مروا في ذلك الطريق فتخلف عنهم  
جمل لهم، فدخل الأجمة حتى انتهى إلى  
الأسد، فقال له الأسد: من أين أجيئت؟  
فأخبره بشأنه، فقال له: ما تريد؟ قال:  
أريد صصية الملك، قال: فإن أردت  
صصيتي فأصحبني في الأمن والخصب  
والسعة، فأقام الجمل مع الأسد حتى إذا  
كان يومٌ توجه الأسد في طلب الصيد  
فقلبي فيلاً فقاتله قتالاً شديداً ثم أقبل  
الأسد تسليلاً دماؤه مما جرحه الفيل  
بنابه، فوقع مَحْضًا لا يستطيع صيداً.  
فلبث الذئب وابْنُ أَوَى  
والغراب أياماً لا يَـصِـيـنَ شيئاً

وإنما ضربت لك هذا المثل أن صاحب  
الشر لا يسلم منه.

#### قد يهلك الظلمة البيرة

لو اجتمع المقرء الظلمة على البيرة  
الصحيح كانوا خلفاء أن يهلكوه، كما  
هلك الذئب والغراب وابْنُ أَوَى الجمل،  
حين اجتمعوا عليه بالكر والخلاية. قال  
دمعة: وكيف كان ذلك؟ قال الثور:  
زعموا أن أسكاً كان في أجمة مجاورة  
طريقاً من طرق الناس، له أصحاب ثلاثة:

فلا تأمنه على نفسك، واحذر أن يصل إليك  
منه مثل ما وصل إلى القملة من ضيافة  
البرغوث. قال الأسد: وكيف كان ذلك؟ قال  
دمعة:

زعموا أن قملةً لزمت فرائش رجلٍ من  
الأنشراف، فكانت تُصيب من دمه وهو  
نائم، وتدب ديبكاً رقيقاً فلا يشعر بها، ثم  
إن برغوثاً ضافها فقالت له: بئس هذا الليلة  
في دم طيب وفرائش وطيب، لين، فسلعل.  
فلما أوى الرجل إلى فراشه، لأذعه  
البرغوث فأوجعه، فاستيقظ وأمر بفرائشه  
أن يغتسل ويُنظر ما فيه. فوَلَبَّ البرغوث  
فنجاً، وأخذوا القملة فقتلواها.

قيل لو أن امرأً توسد النار، والسترش  
الحيات، كان أحقَّ بأن يُهَيَّذَ النوم عليها،  
منه إذا أحسن من صاحبه الذي يغدو عليه  
ويروح، بعداوة يُريد بها نفسه، وأعجزُ  
الملوك أخذهم بالهوي، وأنشبههم بالفيل  
المغلكم الذي لا يلتفت إلى شيء، فإن  
حزبه أمر تهاون به، وإن أضاع ما يتبعه،  
جعل ذلك على قرابينه.

#### صاحب الشر لا يسلم منه:

قال دمعة: قيل إن نزل بك ضيفٌ  
ساعةً من النهار، وإنك لا تعرف الخلقه،



ليكن ذلك في منزلنا، فإن الشئب والماء كثير، ومنا قريب، وذلك لقرى بنا من غيره. فقلت: يا غافل، لتحسن نظرك فيما تقول؛ فإننا بمكاننا على غر؛ لأن البحر لو قد ضلَّ ذهب فراخنا، قلنا: لآراه يحمل علينا لما يخاف الوكيل عليه من الانتقام منه. فقلت: ما أشدَّ فيك في هذه الحالة! ما ما تستحي وتعرف قدر نفسك، في وعيدك من لا طاقة لك به، وتهددك آياه؟ وقد قيل: إنه ليس من شيء أشدَّ معرفة لنفسه من الإنسان. وذلك حق فاسمع كلامي، وأطع امرئ؛ فإني يجيبها إلى ما تدعو أمري؛ فلما رأت ذلك قالت: إن من لا يسمع القول النافع من أصدقائه، يصيبه ما أصاب السحابة. قال: وكيف كان ذلك؟ قالت: زعموا إن عيباً كان فيها بطنان وسحابة، وكان قد ألق بعضهم بعضاً ومصادفه. ثم إن هذه العين صارت ماها في بعض الأيام نقصاً فاحتشأ، فلما رأت البطنان ذلك قالت: إنه ينبغي لنا ترك ما نحن فيه، والتحوُّل إلى غيره. فوَدَّعتا السحابة والقالة: عليك السلام فإننا ذاهبتان. قالت السحابة: إنما يثبت لنفسنا الماء على مثلي، لأنني لا أعيش إلا به؛ فاحتالاني وأذهب بي ممكماً. فقلت: لا تستطيع أن تفعل ذلك بك، حتى تشترط لي أن إذا حملتك فراك أحد فتكره، إلا الجيبية. فقلت: نعم؛ ولكن كيف السبيل إلى ما ذكرته؟ فقلت: انظروا إلى الجيب: سحابة بين بطنين تطيران بها في الهواء، فلما سمعت ذلك قالت: زعم لا تفعل. فلما فسحت لها بالمنطق، ولعت إلى الأرض فسات. فقال الطيطوي للأنثى: قد فهمت ما ذكرت، فلما تخافني وكيل البحر. ولا رهيبة. فباضت مكانها وبُذِعت. فلما سمع وكيل البحر ذلك أحب أن يعلم غُته الذي يقدر عليه الطيطوي من الاجتزاء منه، وما حيلة في ذلك. وأمله حتى مد البحر. وذهب بالفراخ في غشوه فيجيبين. فلما فقدتهن أسمن قالت للطيطوي: قد كنت عارفة في بدء امرئنا أن هذا كائن، وأنها سترجع على عليك، فلهذا مسرعت بفسك. فانظر إلى ما أصابنا من الضر في سبب ذلك. فقال: سترين منعي، وما يصير إليه عاقبة امرئ. وانطلق إلى أصحابه فشا ذلك إليهم، وقال: إنكم إخواني وأهل موطني وفقتي، وأنا أطلب ظلماتي، فأعيتوني وظافروني؛ فإنه عسى أن يزل بكم مثل ما نزل بي. فسألوا له: نحن على ما وصفت، وأنت أهل لأن تُسفل بما طلبت؛ ولكن ما عسى أن تقدر ذلك من ضر البحر ووكيله؟ قال: فاجتمعوا بنا، فلنات سائر الطير، فلنذكر ذلك لهم.

كثمت الأسد حتى لرب بكنا وكذا. فكيف الحيلة للجمال إذا رأى الأسد أن يلقى قتله أو يامر به؟ قال صاحبنا: يرفلك وراك ترجو. قال القائل: البراء أن نجتمع والجمال، ونذكر حال المقاتلة، وما أصابه من الجوع والجهنم. وتقول: لقد كان إلبنا محسناً، ولنا مكرهاً. فإن لم ير منا اليوم - وقد نزل به ما نزل - اهتماماً بامرء وحرصاً على صلاحه، أنزل ذلك منا على لؤم الأخلاق وغفر الإحسان. ولكن هلوا فتقدموا إلى الأسد ذكر له حسن بلائه عندنا، وما كنا نعيش به في جباهه، وأنه قد احتسبنا إلى شكرنا ووفائنا، وثأل لو كنا تقدر له على فائدة تأتيه بها لم نذكر ذلك عنه، فإن لم تقدر على ذلك فاعلمنا أنه ميوالة. ثم ليعرض عليه كل واحد منا نفسه وويله، كلني أيها الملك، ولا ضئ جوعاً. فإذا كان ذلك فقل: أجابه الأثرون يوماً عليه فقاته بغيره. وكان له ليلة غدر، فحسبت ويستولون، فاستولوا وتكون قد قضينا ذمام الأسد. ففعلوا وواطاهم الجمال على ذلك.

ثم تقدموا إلى الأسد، فبدا الغراب وقال: إنه استحسب أيها الملك إلى ما يفيدكم، ونحن لحق أن نهب أنفسنا لك؛ فإننا كنا نعيش، وبك ترجو عيش من بعدنا أن نعاقبنا، وإن أنت هلكت فليس لأحد منا بعدك بقاء، ولأننا في الحياة خير؛ فإننا أحب أن نأكل من طعامنا، فما أطيب نفسي لك بذلك. فاجابه الذئب والجمال وابن أوى أن اسكت فما أنت؟ وما لي أكل من الشيع لملكك؟ قال ابن أوى: إنما شيعي لملك. قال الذئب والجمال والغراب: أنت متن البطن والريح، خبيث اللحم؛ نضاف إن أكله الملك، لن يفتحه خبيث لحكم. قال الذئب: لكني لست كذاك، فليأكلني الملك. قال الغراب وابن أوى والجمال: من أراد قتل نفسه فليأكل لحم الذئب، فإنه يأخذه منه الشقاق. ولكن الجمال أنه، إذا قال مثل ذلك عن نفسه، يلتصمون له فخراً كما صنعوا بانفسهم. ويسم ويرضى الأسد. قال الجمال: لكن أيها الملك، لحسي طيب ومرى، وفيه شيع لملكك. قال الذئب والغراب وابن أوى: صدقت وتكرمت وقلت ما نعرف، فوثقوا عليه فمزقوه.

#### في حق الاستعانة بالأعداء

من استصغر أمر عدوه وتهاون به، أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوي. قال شذوية: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: زعموا أن طائرًا من طيور الماء يدعى الطيطوي كان هو وزوجته في بعض سواحل البحر، فلما كان إبان بيضها أعلمته بذلك، وقالت له: التمس مكاناً حريزاً (أماناً) أبيض فيه. فقال لها:

نظرونا في أمر واتفق عليه رأيًا، فإني وافقتك عليه فحسن خصيصون. قال الأسد: وما ذلك الأمر؟ قال الغراب: هذا الجمال أكل الشئب، فاستمرع بيضنا في غير متعة. فغضب الأسد وقال: ويك! ما أخطأ مخالفتك، وأعجز رايك، وأبعدك من الوفاء والرحمة. وما كنت حقيقاً تستقبلني بهذه المخالفة. ألم تعلم أنني أمنت الجمال، وجعلت له دمنة؟ ألم يتفكك أنه لم يتصدق المتصدق بصدقة - وإن غفلت - هي أعظم من أن يجيب نفساً خلفه، وإن يحزن بها مهدور؟ وقد أجبرت الجمال، وسنت غاربه؟ قال الغراب: إنني لأعرف ما قال الملك؛ ولكن انظر الواحدي يقتدى بها أهل البيت، وأهل البيت يقتدي بهم القليلة، والقليلة يقتدى بها المصر، والمصر قدى إذا ذلك ذمته مخزجاً، فلا يتكلم الأسد أن يتولى نزلت به الساجدة. وأني جامل لملك من دمنة مخزجاً، فلا يتكلم الأسد أن يتولى غرًا ولا يامر به؛ ولكنا محتالون حيلة فيها ولاء لملك بذمته ونظرنا بها جاحلنا. لست الأسد.

فأتى الغراب أصحابه فقال: إنني قد

مما نحن يعيش فيه من فضول الأسد، وأصابهم جوع وهزل شديد. فعرف الأسد ذلك منهم فقال: جهنن وأحتجن إلى ما تأكلن. فقال: ليس ههنا أنفسنا ونحن نرى بآلنا ما نرى، ولست نجد للملك بعض ما يصنحه. قال الأسد: ما أشدَّ في موطنكم ومحبكم، ولكن إن استطعتم فانتشروا، فحسبي أن أضيفوا صيداً فتأتوني به. ولعلي أكسبكم ونفسي خيراً. فخرج الذئب والغراب وابن أوى من عند الأسد ففتحوا ناحية، وانتصروا بينهم وقالوا: ما لنا ولهذا الجمال أكل الشئب، الذي ليس شأته شائناً، ولا يراه رأيًا؟ لا ترى للأسد أن ياكله ويضعنا من لحمه؟ قال ابن أوى: هذا ما لا نستطيعان ذكره للأسد، فإنه قد آمن الجمال، وجعل له دمنة. قال الغراب: أقمنا مكانكمما ونعاني والأسد.

فانطلق الغراب إلى الأسد. فلما راه قال له الأسد: هل حصلت شيئاً؟ قال له الغراب: إنما يجد من به ابتداء، ويصير من به نقر. أما نحن فقد ذهب منا البصر والنظر لما أصابنا من الجوع؛ ولكن قد





فاجابوه إلى ذلك، وأعلمهم ما أصابه وحل به، وحبرهم أن ينزل بهم مثله. ففطن له: الأمر على ما ذكرت؛ فما الذي نستطيع من مساة البحر ووكيله؟ فقال: إن ملكنا محشّر الطير العنقاء، ففتحوا نصح بها حتى تبدو لنا. ففعلوا ذلك، فظهرت لهم والبال؛ ما جُمعكن؟ ولم دعوتكن؟ فأنوين إليها ما لكين من البحر ووكيله، وكن لها: إنك ملكتنا، والملك الذي يقتعد أقوى من وكيل البحر، فأنطلق إليه فليعدنا عليه. ففعلت ذلك، فاجابها إلى ما سألت، وأنطلق ليقاتله. فلما علم بذلك وكيل البحر، وعرف ضعفه عند قوته، رد فراح الميطوى عليه.

### لا تبصرونم لا يفهم.

قال كلية مخاطباً دمنة: زعموا إن جماعة من القرية كن في جبل، فراين في ليلة باردة برأعة، (حشرة لمع في الغلام) فحسبها ناراً، فجمعن حطباً فوضعه عليها، وجمعن ينفضن بالهوهن، ويروهن بأيديهن. وقرب ذلك الموضع شجرة عليها طائر، فقال لهم: لا تدعين أنفسكن، فإن الذي ترين ليس بنار كما تحسبن. فلم يسمعن منه، ولم يعلنه. فلما طال ذلك عليه، نزل إليه. فمر به رجل، فقال: أيها الطائر! لا تنمسن تقويم ما لا يعتدل، وتبصرن من لا يفهم: فإن الشجر الذي لا يقدر على قطع له شجر في السيف، والهود الذي لا ينحني لا يعالج حبه: فإن من فعل ذلك دم، فلم يلفت إلى قوله، ومنا منهن أبيضتهن، فتناوله بهضمه وضربه به الأرض فقتله. فهذا كلك في قلة الاتعاج بالوعلة؛ مع أنه قد غلب عليك المكر والعجب، وهما خلقتا سوء. إنه سيمسك، من عاقبة ما أتت فيه، ما نحل على الحب (المخارج) شريك المغفل. قال دمنة، وكيف كان ذلك؟ فقال كلية: زعموا أن رجلين، أحدهما خبث والأخر مغفل، اشتركا فبيعتاهما يتشميان إذ وجدا بئر فيها ألف دينار فأخذوها، وبدا لهما أن يرجعا إلى الخبث: فما ذكوا منها قال المغفل للخبث: خذ نصفها وأعطني نصفها. فقال الخبث، وكان قد أضمر الذئاب بها كلها: لا فإن الخفاصة يوم للمصافاة؛ ولكن يفضن كل واحد منا منها شيئاً ينفقه، ونفد يبقيتها مكناً حريزاً، فإذا أحجمنا إليها استدرنا. فاجابه إلى ذلك، وبناها تحت شجرة عظيمة، ثم خالف إليها الخبث، فذهب بها. وبقية المغفل فقال: أخرج بنا إلى ويعدنا فليقصها، فأنطلقا إلى المكان فأحرقاه فلم يجداهما. فحبل الخبث بتف شجرة وبق صدره، ويقول: لا تفلن أحد يابحد، رجعت إليها فأخذتها. وجعل المغفل يحلف أنه ما فعل، ثم أنطلق به إلى القاضي فقص عليه الأمر، فقال له:

العدد الواحد والخمسون، أبريل ٢٠٠٢ م



عادوته إياه، وجوهه. وقال: اجمع سمكاً واجعله له سطرًا فيمسا بين مكانيهما؛ فإنه يأكل الأول فالأول حتى ينتهي إليه فيهلكه. ففعل ذلك به فتبعه حتى وجد الأسود، فقتله. ثم جعل ابن عرس يخرج بعد ذلك يلتمس العادة، فلم يزل يطوف حتى وقع على غش العُلجوم، فأكله وفراخه. وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه من لم يثبت، أوقعه ما يحال به فيما عسى ألا يخلص منه. قال قد فهمت ما ذكرت. ■

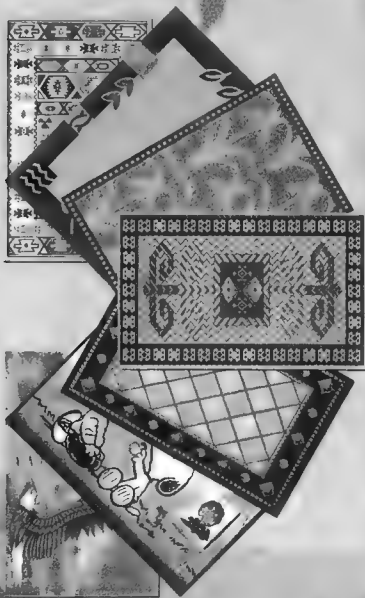
فتدخلها. فإذا جاء القاضي فسأله لقت: المغفل لخصت الدناير. فقال: يا بني إنه رب أمرئ! قال أوقعه تحله في ورطة: فراك أن تكون كالعلجوم الذي اهلكه تحيله. قال: وكيف كان ذلك؟ قال: زعموا أن علجومًا كان مجاورًا لأسود، وكان لا يدع له فرخًا إلا أكاه. وكان ومثله قد وافقه وأعجبه، فحسن لذلك وإهمته. فلفن له سرطان، فسأله عن حاله فخبره به. فقال: ألا أكلك على شيء فربحت منه؟ قال: بلى! ففشار إليه، وقال: انتقل إلى ذلك الجحر، إنه جحر ابن عرس - وأعلمه

هل من يشهد؟ قال: نعم؛ للشجرة تشهد لي بما أقول. فانكر ذلك عليه القاضي لشدة الإنكار، وأمر به فقتل، وقال: وأقوني به غيًا باكراً، فأنصرف إلى أبيه وأعلمه بذلك، وقال: إنني لم أقل ذلكي إلا لأمر قد رؤيت فيه؛ فإن أنت طاعتني أحررتنا ما أخذنا، وأضفتا إليه مثله من المغفل. فقال: وما ذاك؟ قال: إنني قد كنت توخيت بالذناير شجرة عظيمة من النوح جوفاء فيها مدخل لا يرى، فدفنته في أصلها، ثم خالفته إليها فأخذتها وأرعبت على المغفل: فلما أجب أن تذهب الليلة

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

www.maccarpet.com

ماك على الإنترنت



متواجد في مراكز بيع بواق



# .. ماك



بوع  
يات  
وكيت  
ن حمام  
اطفال  
قى

التصدير المنتشرة فى كل أرجاء مصر

المباشرة، ويبلغ ذروته عادة في أوقات الحروب والأزمات.



قبل أغسطس ١٩٦٤ - عندما اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولى - كانت صناعة السينما الأمريكية تتقاسم أسواق العالم مع إنجلترا وفرنسا وإيطاليا والبنمك والسويد والمكسيك، وكان لاتحسار السوق الفرنسية خلال الأشهر القليلة التي سبقت الحرب، وتضائل اهتمام الجمهور بالأفلام التاريخية المبهرة التي كانت تنتجها إيطاليا، فضلاً عن استقرار نظام إنتاج الأفلام الروائية الطويلة ذات الميزانيات الضخمة في أمريكا، وتزايد معدلات الإنتاج، واتساع نطاق الجمهور الذي يفرده على السينما، وظهور بعض الاكتشافات الجادة التي تعبر عن بداية احترام الفيلم الأمريكي كشكل فني... كان لكل ذلك أثره البالغ في التمهيد لسيطرة هذا الفيلم على الأسواق

لنهاية «مهبجة» للجزء المزمع تصويره في العراق: «مشروع لفرض الديمقراطية ولو بالقوة، ليس في العراق فقط، بل في كافة البلدان العربية التي نكبت بانتظمة حكم مائلة لنظام الرئيس صدام حسين».

ومما يؤكد عزم الإدارة الأمريكية على جعلها «حرباً سينمائية...» استخدام كلمة «سيناريو» لوصف «الخطوة» العسكرية والسياسية، وهو في الغالب تقليد مستحدث بدأ مع حرب الخليج الأولى وأصبح شائعاً الآن. إن كلمة «خطوة» تبدو واقعية، أي أكثر ملاءمة لفعل الحرب على ما فيه من خشونة وتقديرية، أما كلمة «سيناريو» فهي أكثر عصرية، أكثر تعبيراً عن الحرب كـ «صورة» متحركة، أي معدة سلفاً.

يبدو الأمر في ظاهره وكأنه دتوارد خواتم بين صانعي الأفلام وصانعي القرار في أمريكا، غير أن العلاقة بين الاثنين منذ عشرينيات القرن الماضي، وتصديداً منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، لم تخل من «تنسيق» تختلط فيه الدوافع الوطنية بالمصالح المالية

افغانستان، وكان محكاً من الناحية الدرامية إلى حد كبير، واستخدمت فيه أحدث تقنيات «صناعة الصورة»، وحقق مردوداً كبيراً معقولاً على الرغم من أن بن لادن وفلولاً من القاعدة لاتزال طليقة (فيما يشبه النهايات المغتوحة). وفي حين استقر الرأي على أن يتم تصوير الجزء الثاني في العراق، وإن يكون الإنتاج (أي الحشد السياسي والديبلوماسي والعسكري والتقني) باهظاً، لأن «هككة الإبراء» ستكون هائلة هذه المرة، فإن الإدارة الأمريكية تقاضل من الآن بين أكثر من موقع لتصوير الجزء الثالث، بينها كوريا الشمالية.



وفضلاً عن عدد الإجزاء ومواقع التصوير فإن «نهاية» كل جزء - شأن الأفلام هوليود الطويلة - لابد أن تكون «سعيدة»، بقدر ما هي زائفة ومراوغة (تأمل ما يحدث في أفغانستان الآن). وقد طرحت الإدارة الأمريكية بالفعل مسودة

٢٢ (٣) إن ما سمعتموه عن أمريكا التي لا تزيد الحرب هو شيء غامض، فالأمريكيون طالما احبوا الحرب. كل أمريكي يحب القتال. عندما كنتم أطفالاً كنتم تبتغون إعجابكم بأبطال الملاكمة وسباقات الركن. الأمريكيون يحبون الرابحين ولا يحتفلون بالخاسرين، فهم دائماً يلعبون ليريحوا. إنني أحقق لفخراً عميقاً كل خاسر لا يتبلى بالفخارة، ومن هنا لمزج الأمريكيين لم يخسروا وإن يخسروا حرباً، لأن مجرة التفكير في الخسارة أمر مكروه بالنسبة لهم.

من خطبة للجنرال «جورج س. باتون» في فيلم (باتون).

عندما أعلن جنرالات البنتاجون وصول البيت الأبيض أنهم سيفوضون حرباً على ما وصفوه بـ «الإرهاب» قالوا إنها ستكون «حرباً طويلة» (روائية) بمعنى ما، لأن «الواقعي» سيشتبك فيها بـ «اللفظي»، وغالباً ستبقى هذه الحرب ولع الأمريكيين بالسلاسل، على غرار ما يحدث في هوليوود، ومن ثم سيجرى «تصويرها» في أكثر من موقع Location. وقد صور الجزء الأول بالفعل في

## هوليوود



العالمية. ثمة جهات الحرب -بما ترتب عليها من تدهور في صناعة الفيلم الأوروبي نتيجة استخدام المواد التي يصنع منها السيلولويد في صنع القاذبات- لتتصمم هذه السجطرة بصورة نهائية ودائمة.

وقد لعبت التأثيرات الاجتماعية التي شهدتها سنوات ما قبل الحرب دورا أساسيا في التزام هوليوود بموقف الضياد الرسمي خلال الأسهر الأولى للحرب. كانت هناك حركات قوية تدعو إلى السلام وكبح جماح قوى الاعتداء. وكان «الحس الاجتماعي المتصاعد» سببا في انتخاب ويسلون رئيسا عام ١٩١٢ وتجناب ميلهانه التي تدعو إلى حصرية جديدة، ولم يكن برنامج الرئيس ويسلون سوى تعبير عن «طرف الطبقة الوسطى» التي هالها نمو القوى الاقتصادية وتركيزها، وفساد السياسيين الأخلاقي والاضرابات العمالية وانتشار الفقر والبطالة... إلخ. قد حاولت هوليوود أن تعكس المشاعر التقدمية التي سادت تلك الفترة، وظهرت خلال الأسهر التالية لاندلاع الحرب

لتقبل قرار دخول الحرب. وأخرج ستوارت بلاكتون فيلما بعنوان (مركبة السلام) يصور الألمان وهم يحاصرون نيويورك من البحر ويدمرون ناطحات السحاب. وظهر الألمان أيضا في فيلم (القيصر إلى الجحيم) وهم يفرقون السفن التجارية ويعلقون الفنازات السامة ويضربون مراكز الصليب الأحمر. ومثل هذه الأفلام كانت سانجة وبديلة وقصيرة، لكنها كانت مؤثرة في ذلك الوقت.



وعندما أصبحت الولايات المتحدة شريكا فعالا في الحرب، أنشأت الحكومة وحدة سينمائية لأعمال الدعاية باسم «لجنة العلاقات العامة» كان رئاسها «جورج كريل» الذي كلف بمهمة «بيع الحرب لأمركا»، وعملت اللجنة على تشجيع الاستديوهات على إنتاج أفلام «ذات محتوى وطني، وزوبتها بالفنانين والفنانيات والأموال وبمقترحات

السينما الأمريكية كان ظاهرة عامة، ببيل عدم استطاعة هنري كنج تحقيق فيلم (بادو المصالحع) القلم على دراسة الحياة في المقاطعات الأمريكية، وتحويله عوضا عن ذلك نحو الروايات العاطفية الرائجة. وحتى أفلام رعاة البقر التي جعل منها توماس إنس ووليام هارت «فنا» سينمائيًا، أصبحت -بإستثناء أفلام جون فورد- مرادفا للأفلام الرخيصة.

أنت أواخر العشرينيات حدثين فاصلين: دخول عتصم الصوت في صناعة السينما والأزمة الاقتصادية، فانتفضا الأمريكيون على أنفسهم، وأصبحت عائلات المصالحات الأولى للمصنف مدمرا أساسيا لبعض العبد من الأفلام الرخيصة، باستثناء بعض الأفلام التي قدمت معالجات واقعية أشبه بالتسجيلية مثل (قيصر الصغير) (١٩٣٠) و (عندو التسع) (١٩٣١) والوجه ذو اللبدة - (١٩٣٣)، واتاحت تقنية الدويلاج لهوليوود استعادة بعض أسواقها الخارجية التي كانت قد لفحتها بسبب نقص عدد الأفلام من

وتقدمها في صورة جذابة، ووضعت وزارة الحرب كافة إمكانياتها - من قاذبات قنابل وباص وحتي قواعد عسكرية - تحت تصرف أي منتج يصور فيلما يشجع المواطنين على التلوع في القوات المسلحة. وفي عام ١٩٤٠ أخرج ألفريد مشكوت فيلما الذي (تراسل الأجنبي) الذي من فيه مشاعر المتفرجين عندما أبرق فيلما «جويل ماكري» إشارة لسلطة -من قلب لندن التي عزقها الغارات الجوية الألمانية-: «إن الأتوار تنطلق في أوروبا.. دثري نفسك بالفلوذا في أمريكا». وكان الفيلم صيحة تحريض ضد الذين يتأذون بالعزلة وتجنب الاشتراك في الحرب، وعندما دخلت أمريكا الحرب تحول الألمان واليابانيون والبريطانيون في الأفلام هوليوود إلى أشرار، ومن أصل ١٣١٧ فيلما قدمت خلال سنوات ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ نحو ١٠٠ فيلما فقط (أي حوالي ٧٪) في إضاح الجحيم للجمهور، سواء داخل أمريكا أو خارجها. لم أنتهت الحرب، وتسلطت الولايات المتحدة زمام المعسكر الراسالي لتفعل حربا أخرى ضد الأيديولوجيسا الشيوعية، ودخلت هوليوود مرحلة تخبط بلغت ذروتها أواخر عام ١٩٤٧ بمحلول عدد من السينمائيين أمام لجنة مكاري المهرقة، وبينما كانت اللجنة تباشر عملها نشرت مجلة «سبردرا» ريفيو، أوائل ١٩٥٠، مناقشة دور صناعة السينما في دعم السياسة الخارجية للولايات المتحدة. فقد ظهرت سلسلة مقالات في أربعة أعداد من المجلة تكشف عن الصعوبات التي تواجهها الفنانين على أمر الدعاية للبرنامج العسكري لحكومة الولايات المتحدة، كما تكشف عن الهام الخاصة الملقاة على عاتق هوليوود في الخطا العالمية.

وقد أبدى «نورمان كازينز» - وكان أحد الخبراء البارزين في شئون الدعاية والإعلام آنذا - أسفه لأن الأفلام الأمريكية غالبا ما تصور الولايات المتحدة كما لو كانت أمة من القلقة ورجال العصابات والكسالي والمفسدين ودمني الخمر وسماسرة الضمان والعاهرات والتمساحيين، وطالب بضرورة أن تحدث الأفلام على «توفير العدالة واحترام الحكومة الليتالية»، فعارضه «ريك جوستون» الذي كان رئيسا لاتحاد المنتجين قائلًا: «إن هوليوود تؤدي دورا عظيما بإنتاجها أفلاما «للتسلية.. خالية من الطوع والإرشاد الذهني». كان «جوستون» يدعو في الحقيقة إلى ستر برنامج الحرب بمسوح الديمقراطية والحرية (وكان الزائق الذي وادبعته أجهزة الدعاية وأضعا خلال الأسهر التي سبقت التدخل المسلح في كوريا، ثم عتقه الحرب الكورية بالفعل)، فيما لم يكن «جوستون» يكتن احتراما كبيرا لهذه الشعارات، بل لعله لم يكن يفهم معانيها. فهو يعبر عن اعتناك كبار رجال الأعمال

# .. والحراب

## لمحمود الكردوسي

لنقص وشرايط من مشاهد المعارك الحربية.

وإذا كان جريفيث قد تعرض لضغوط من قبل وزارة الحرب البريطانية وأخرج فيلما هزليا بعنوان (القب القاتل) اعتبره النقاد والمؤرخون بداية تدهوره... فإن جريفيث شارلي شابلن جعلت من المستحيل فرض قيود على عمله من دون إفساد تأثيره كتمثل كوميدي. ومن خلال هذا الوضع المميز قدم شابلن فيلما (حياة كذاب) وكفعا سلاح اللذين سخر فيهما من مستعبري الحرب. ومع ذلك فص الرقيب آخر مشاهد الفيلم الثاني الذي يسخر فيه شابلن من انتصار الحلفاء. وكان حذف هذا المشهد دليلا قويا على التناقض الظاهري بين موقفه من الانتفاض والاضغوط التي تتطلب انعطافا موحدة ومضامين مسؤولة. ويلاحظ المؤرخ ميشالني الفرنسي الأسهر «جورج ساولو» أنه حتى بعد أن أصبحت هوليوود قوة دولية، وأخذت في تدويل موضوعات أفلامها... فإن فلاتر من مصالحتي الأفلام التجارية للتأجحة هم الذين جعلوا من «أمريكا» إطارا لأفلامهم، ويقول إن نزوع الطابع القومي عن

بعض الأفلام التي تتدد بعدم إنسانية العطف، وكانت وجهة نظر ديفيد وارد جريفيث المعادية للحرب في فيلمه (التعصب) جزءا من الاتجاه العام لدى مخرجي الأفلام البارعين الذين يعكسون إحساس الجماهير، هذا الإحساس الذي أمد ويسلون بملايين الأصوات عام ١٩١٦، على أساس أنه سيبيعه الأمريكيين عن الحرب. وليل أن فيلم (الحضارة) لتوماس إنس كان تصويرا حيا لشعارات السلام التي رفعها الحزب الديمقراطي، حيث يتجسد المسيح في هيئة مهندس في غواصة ييسر العالم بإيجل السلم، وتكررت صحفها الديمقراطية أن هذا الفيلم كان أحد أسباب إعادة انتخاب ويسلون عام ١٩١٦، غير أن السينما كانت في طريقها إلى الظهور كفن جاسميري يخضع مباشرة لضغوط العصر، كما أن بعض الشركات السينمائية كانت مرتبطة بعلاقات مالية مع ميثاق اقتصادية له مصلحة مباشرة في تخلي أمريكا عن حيادها ودخول الحرب إلى جانب الحلفاء. وبذلك سبقت هوليوود الموقف الرسمي، وظهرت منذ منتصف عام ١٩١٥ مجموعة من الأفلام التي ساهمت في تشكيل الرأي العام الأمريكي واعداده العدد الواحد والخمسون - أبريل ٢٠٠٢

تعيد تصديق مكهومي البطولة والرجولة. وذات يوم التقت فوندا بجندي محقق يدعى «رون كوفيتش» قال لها إنه فقد السيرة على استخدام جسده. لكنه استعاده وأعيد. وتنت بينهما صداقة، وتناضلا سويا من أجل قضية واحدة هي وقف المعارك في فيتنام وأنسحاب القوات الأمريكية من هناك. وكان كوفيتش قد استغل عجزه كسلاح وقام بجولة في أمريكا، وحاول حضور مؤتمر الحزب الجمهوري في ميامي عام ١٩٧٢، لكن رجال الكونجرس منعوه. فقد أُلحست أنهم يضلون إسقاطهم بالخللات الواقية فوق دانتج عن النظر إلى، فيفضل كوفيتش عثرت جين فوندا على موضوع أليفها. وبدأت كتابة السيناريو «دانس بود» للعمل، إلا أن التفتيت لم تعجب فوندا التي كانت قد كتبت شركتها الخاصة وبدأت في البحث عن مساعدين مضمهرمين. وهكذا انضم إلى المشروع كل من الكاتب «والدوسول» والمخرج «جون شليزنجر» والممثل «جيروم هلمان»، وهم نفس طاقم عمل فيلم «راعي عام منتصف الليل». وخلال عام واحد أُنق سولت أكثر من ٥٠ ألف دولار من ماله الخاص لجمع المعلومات والموافقات المستدات اللازمة، في حين ملئت فوندا أليفاً كوميدياً بعنوان «المرح مع ديك وجين» بهدف استعادة أليقتها، ومن ثم استخدامها مكانتها كأحد نجوم نجمات السينما العالية، وبهذه الطريقة تستطيع أن تجبر شركات هوليوود - التي كانت تحبس ذلك الوقت تعارض إنتاج أية موضوعات عن فيتنام - على تمويل فيلم (الصودة إلى الوطن).

وبالفعل وأُلفت شركة «ديناشيد آرترستس» عام ١٩٧٥ على توزيع الفيلم بعد أن قرأ مسؤولوها شخصاً له من ٦٥ صفحة، غير أن شليزنجر - وهو بريطاني الجنسية - فاجأ الجميع بالاعتذار عن عدم إخراج الفيلم بحجة أنه ليس من صفه «التدخل في مشكلة أمريكية صرف»، فاختير «مال أشبي» الذي بدأ آنذاك مثل هيببي عجوز رغم أنه كان في الخامسة والأربعين، وأبدى حماساً كبيراً للمشروع: «لقد الضرب كنت أشعر بالاثم لعدم حديثي عنها في أفلامي، وسيمنح لي هذا الفيلم فرصة للتكفير عن ذنوبي».

ويول «جيرومي هلمان» منتج الفيلم إن من بين المشاكل التي واجهتهم اعتراض إدارة المصارين القدماء على التصوير في المستشفى الخاص بها في لونغ بيتش، لكن الاعتراض الأهم جاء من قبل البحرية والجيش والحرس الوطني:

«الآن كل ما حققه (الاب الروحي) من أمول، ويقول إن فيلمه... عن جنون الحرب الفيتنامية، حيث كانت التكنولوجيا الأكثر تقدماً في العالم تواجه فلاناً بسيطاً، وحيث كان يتم إرسال علب البيرة الملطجة إلى الصوف الأولى للقوات العسكرية بظلمات الهليكوبتر، وحيث كانت فتحات مجلة (بالي بوي) يقدمون عروضاً في مواقع المعارك، وحيث كان المراسلون الصحفيون يصيحبون في الجنود لكي لا ينظروا إلى كاميرات التصوير وهم يلتقطون لهم صوراً تذكارية».

وفي نفس الوقت الذي كان كوبولا في مسألة المونتاج في سان فرانسيسكو يحاول أن يعطي شكلاً نهائياً لحوالي ٨٠٠ ألف متر خام (٤٤٠ ساعة عرض) صورها من الفيلم. كانت جين فوندا تسمى منذ ١٩٧٣ لإعلان موفقتها المناهض للحرب من خلال فيلم سينمائي.



كانت جين في ذلك الوقت حاملاً في بطنها الثاني، وكانت تتعرض لاضطهاد مكتب التحقيقات الفيدرالية بسبب نشاطها المعادي لأمريكا، كما كانت هوليوود قد قاطعتها بعد حملتها إلى هاواي، مما دفعها إلى التفكير في اعتزال التمثيل. ولم تكن فوندا مهتمة في ذلك الوقت إلا بفيلم روائي عن فيتنام: «سرعان ما انتهيت إلى ضرورة أن تدور أحداث القصة في الولايات المتحدة، وأن

السيناريو الذين يتعاون معهم، بل إنه طلب حضور ممثل لرؤساء الأركان المشتركة إلى موقع تصوير فيلم (الجنحة النسنون) للمساعدة في وضع عناصر الحرية المقاتلة في الفيلم.

وثمة فيلم آخر يعد من أكثر الأفلام الحربية نجاحاً فنياً وجمالياً هو الأمريكي «جورج س. باتون» منذ ١٩٤٣ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد قدم الفيلم عام ١٩٧٠، أي في ذروة إحساس الأمريكيين بوطاة الهزيمة في فيتنام، لكنه - لهذا السبب على الأرجح - حصد سبع جوائز أوسكار. يدل على الجنرال «باتون» الذي وصفه النقاد بأنه «الرمز العصري لآله الحرب» ومن العجائب اللافتة أن سيناريو الفيلم كتبه الفنان أحدهم «إدموند نورث» المتخصص في هذا النوع من الأفلام، والآخر فرانسيس فورد كوبولا الذي استلهم بعد ذلك سلسلة من الأفلام التي تندد بمعاداة جري للامريكيين في فيتنام مثل (الصودة إلى الوطن) و(صائد الغزال) و(ماتو إيطالاً) وغيرها.

كان كوبولا قد أصبح - بفضل فيلم (الاب الروحي) - نجم شباك، ومن ثم كان الوحيد الذي يستحق أن يفرض رأيه. وما أن أعلن عن فيلمه الضخم (نهاية العالم الآن) حتى بدأت الشركات المستقلة في إعادة قراءة السيناريوهات التي تدور أحداثها في فيتنام، والتي كان بعضها مدفوناً في أدراج مكاتبها منذ منتصف الستينيات.

لقد أُنق كوبولا على (نهاية العالم

للشعوب وأمانيتها، ويدل على وجهة نظره بشأن الجنرال «صائد آرثر» على أفلام هوليوود... لأنها أسهمت بفعالية في واجب مهم هو إعادة توجيه الشعب الأمريكي، لكن الاثنين - كسازينز وجونسون - يثقان بمديتا على وجوب الحكم على الفيلم بوصفه «أداة للسياسة الخارجية» وعلى ضرورة أن تصدم الأفلام التي تصدها هوليوود «احتياجات الدعاية الحكومية».



في هذا السياق ظل تناول السينما الأمريكية لحرب فيتنام موضوعاً محمراً، يصبغه لثوب من المخاض استغلال ذنوب وتدم أسمة، والأمم: كيف يمكن تصور إمكانية تحقيق ربح مهما كان ضئيلاً من عرض أحداث حرب تايبعها الشعب الأمريكي ليلة بعد ليلة على شاشة التلفزيون؟. ولعل أن يعلن فرانسيس فورد كوبولا عن مشروعه الملحي (نهاية العالم الآن).

لم يلق من هذا الحصار سوى عدد محدود من الأفلام التي تعبر بالعين عن الموقف الرسمي، مثل (البيريهات الخضراء) الذي أخرجه جون فورد، رائد أفلام «الويسين» أو أفلام الحرب الأمريكي، عام ١٩٦٨، وبلغ فيه عن تواجد الجبهة الأمريكية في فيتنام. وقد عرف عن فورد أنه كان واحداً من أشد «صقور» هوليوود عداءً لنشيوغية، وعمل أثناء الحرب العالمية الثانية رئيساً لقسم التصوير الميداني التابع لـ «مكتب الخدمات الاستراتيجية»، للواء الأساسية لوكتالة المخابرات المركزية، حيث كانت مهمته تصوير العمليات التي تقوم بها مجموعات العمليات الخاصة في الحرب السرية التي تعرض على القادة ورؤساء الحكومات. وفي ١٩٤٦ أدمج شركة الإنتاج الخاصة به «أرجوس» بيمتكرش مع مساهمين آخرين كانوا جميعاً من كبار مسؤولي مكتب الخدمات الاستراتيجيية. وقد كان فورد متعاطفاً تماماً مع فكرة أن تلتحق لجهزة وكالات المخابرات الحكومية موضوعات لتقديمها إلى جمهور هوليوود، وطلب منهم أن يتحركوا لديه «نسخ من كتب بعنوان (الحرية المقاتلة)، كان خلاصة اجتماع سرى عقده رؤساء هيئات الأركان المشتركة في ١٦ ديسمبر ١٩٥٥ لبحث كيفية التصدي سينمائيًا لنشيوغية، كما طلب منهم أن يرسلوا إليه ١٢ نسخة أخرى ليقرأها إلى كتاب



«كلهم امتنعوا عن مساعدتنا حتى عثرنا على مستشفى في كاليفورنيا لجراسة العمود الفقري.. تعاونوا وتعاطفوا معنا.. ورغم ذلك فاز الفيلم بثلاث جوائز أوسكار، اثنان لكل من جين فوندا وجون فويت، والثالثة لكاتب السيناريو فالكو سولت.

وبعيداً عن أن هناك انقلاباً عسكرياً لم ترق إلى مستوى كراهة قيامنا وما ترتب عليها من آثار نفسية واجتماعية - كما قال (الجنود الطلاب) - المؤدية لخراس عسكري وازمة، وتناول محاولة مرسال عسكري في قيامته تهريب كلبو كلبو حرامات من الهيرويون النقي إلى الولايات المتحدة مساعدة على اجتياز البحيرة الأمريكية! إن هذا كله سرعان ما اجتمعتنا خيرة ورجانية (تسبب إلى الرئيس رونالد ريغان) بزيت في الثمانينيات وظلمت سلسلة من الفساد والأعمال الجادة، بهدف إعادة الثقة إلى المواطن الأمريكي، في نفسه أو في كونه "أمريكا" بالإنسان.



سئل المصلح الإسلامي الأصل فلسفة  
متقالون عام ١٩٨٥ عن ضرورة العلم  
الذي يحل به الجزء الثاني من سلسلة  
ورامبو، فقال: إنه فيرمي عليه أو بعد  
فترة السبب، أقوم به بتحرير مجموعة  
من الكتب المعقّلة بشكل غير قانوني  
منذ نحو ثلاثين عاماً، وهكذا اكتسب  
منه ما زال يولد اليوم مثل أولئك السبب  
هل كنت تود أن يقرأه بطلاً يصل إلى  
المعبر مسكاً في يده يقدّمها إلى أعدائه  
التي تسلمة السبب. ومع رامي في  
الغاية، وهي تشمل الخطورة، وهي  
الاعتداء، ورامبو يدفع عن فلسفه فقط  
الآن لا يتردد إلا بإعطاء أصله أن يتحول  
إلى تلك الفتنة. لا شككته الحرب، وهي  
أرما تقيده. ومع نتائج الحرب على  
الإنسان، من الجزء الرابع من «روكي»  
فيراها الآن فيسماً سياسياً أنه يقدم  
«مباراة» في الملاكمة بين أولويجيتو-  
الشيوعية التي يمثلها ملاكم سوفيتي  
عراق، وروكي الذي يجسد الديمقراطية  
أو المسألة الأمريكية.

ومع أنني أشك في أن أيًا من الممثلين الذين لعبوا أدوار البطولة في أفلام مثل (رامبو) و(روكي) و(كوماندو) و(غزو الولايات المتحدة) و(مت بمسحوبة) وغيرها، كان مدركاً تماماً لجوهر الرسالة السياسية التي يعبر عنها. فإن أيًا منهم لم تكن تقصيه الجازمية. فهم المدافعون عن لعبة كمال الأفلام الصامتة.

أرسله شوارزيجر، ولاعبو كاراتيه مثل  
كاد نوريس، أو مالكومو هوة مثل  
سلفستر ستالون. وقد حققت أفلامهم  
إيرادات هائلة في ذلك الوقت، ولعبت  
دوراً بالغ الأهمية في إنكسار الطابع  
الذمعي للنمساوية الخارجية الأمريكية،  
منذ الأربعينيات مهدت الطريق لظهور  
الإرهابي، أو بولصة هادج، أليس  
لحضارة أمريكا المتحدة فسيح... بل  
كل القيم المرتبطة بالتأنيذ في الأربعينيات  
وهو أحياناً أمريكي لاتيني، وأحياناً  
أخرى روسي أو جنوب شرقي آسيوي،  
وأحياناً ثقافة عربي مسلم. ومع أن هذا  
لا يستبعد أن يجرّم بجمعة أي من هؤلاء  
الإرهابيين فيما جرى في الحادي عشر  
من سبتمبر... فقد قررت الإدارة الأمريكية  
على الفور، ولاسياب لم يكن عنها حتى  
الآن، أن المذهب الذي يعلو عنوان "عربي"  
مستعصم، وبدأت تنسّق بالمشغل مع  
القائمون على صناعة السينما في  
هوليوود بحث سبل دعمها في حربها  
علا الإرهاب. وقد تكليف لجنّة من  
عشر أعضاء، الرئيس اختيار رئاستها  
«جاك فانتزي» وفرض جمعية الصور  
المتحركة الأمريكية التي شكلت اللجنة،  
وقد تولى اجتماع لها على شكل مؤتمر  
هاثلي في ١٦ نوفمبر، وكانت فكرة  
اللجنة قد تولدت بعد شهرين بالضبط  
من وقوع الكارثة، أي في الحادي عشر  
من نوفمبر، وذلك أثناء لقاء تم في  
بشارلي بلوز بين كبار رؤساء أفلام  
سبتمبري مثل السينمائيين والقيادي  
في الحزب الجمهوري، وجمموعة من  
خبراء صناعة السينما في هوليوود،  
عبر خلاله رؤى سبعة موضوعات

تحتها إدارة بوش أولوية على المدبرين التنفيذيين لأحدها في الاعتبار عند إعطاء الضوء الأخضر لإنتاج مشروعات سينمائية وتلفزيونية جديدة. ومن بين هذه الموضوعات ما تؤكد إدارة بوش من أن الحرب لن تكون مواجهة ضد الإسلام أو أي دين آخر، لكنها حرب على الإرهاب والشر.



وعلى الرغم من أن اللجنة لم تكن قد  
تتشكلت حتى ذلك الوقت فإن مسؤوليتها  
كانت واضحة مصيرين على أنها تعمل بصورة  
استباقية عن إدارة بوش، وموضحين أن تلك  
الإجراءات "مجهودات جادة" لصناعة  
السياسة وليست عام حكاميها "موجهة".  
وحتى جاك الفارتي أن يكون هناك تنسيق  
بين البيت الأبيض وهوليدو بشأن دعم  
السياسة الخارجية للحرب على الإرهاب، كما أنه  
أثبت السياسة من جانبه وجود أية خطط  
لإستخدام السيما والتفزيون والترويج  
للسلطان التي توجهها إدارة الامريكية.  
وقد يكون ذلك صحيحاً، إزاء خاتبة بهذا  
الحجم، وتحت الجميع في كرتة وقد تنسيق  
من يوم اثنى حاجة إلى خطط أو تنسيق.  
وحيث أن فريق هذه الحرب ليست اختياراً.  
لكن المؤكد أن هوليدو، وفي كل حرب  
القرن العشرين التي خاضتها أمريكا أو  
التي شاركت فيها، كانت على صراحة في  
طلبة المؤسسات الاعلامية التي تفتى  
الولايات المتحدة عن حياتها ودخل  
الحرب. وحتى في حرب اوقات الحرب كان  
استخدامهم الامريكوي خضوعون

لضغوط عنيفة لكي يخبروا أو يعدلوا  
جذبات افلامهم لتقبل الزيادة من العائد  
العسكري المكثف جدا، وما أكثر المرات التي تم  
متمكنا عسكريا. ولم تعد الفيلم بحيث تظهر القوات  
المسلحة الأمريكية بصورة بطولية، ولم  
يكن أمام شركات الإنتاج سوى أن نهضوا  
إلى المواقف، لأن ذلك سيوفر عليها  
الملايين، ولأن رفض التفسير يعني  
مساساة رفق الدمع عن الفيلم.

ثمة مشكلة عسكرية أخلاقية تجعل  
 في عليم (فورتس جامب) إلى لعب  
 بطونته من هاتس، وتوصي بأن  
 «الانضمام العسك إلى يوحى بان  
 الجيش» في فترة الستينيات كان يقع  
 بالوطنيين المحلي والجنود محدودي  
 الكفاءة. أمر غير مقبول. إن هذا الانضمام  
 غير دقيق، بالإضافة إلى أنه غير مدع  
 جيش، وبخصوص المشهد الذي جمع  
 بين هاتس وانكس الأمريكي القوي  
 متكررة سابقة أخرى: إن إيام مدع  
 في زى رسي بعش مؤخرته الرئيس  
 دي جانوا ستيفاني غير مقبول، وفي  
 فيلم G.I. التي قامت بطولته،  
 ديمو وفلترت غير حلقة الرأس  
 تماما. جيد جدا الجنود صعودية في  
 قضاه حشاه بسبب وجوها في نفس  
 الخندق: عدم الخضوع لسلطة تتعلق  
 بوجود أسرة في الحركات الانصاحيه  
 للخلع، فإن مشهد النبيل في خندق لا  
 يصلح إلى فئله للواء البحرية  
 الأمريكية. إن ما كتبه القائد جاري  
 شروت من قوات البحرية الأمريكية  
 المؤذي كانه إلى الخضر يدلي سكوت  
 دوجرا بالسادع المشهد، وواقفي على  
 إجراء تغييرات أخرى، لكن التوجيه  
 النهائية ظلت غير مقبولة. وفي فيلم نجم  
 كرون الشهور (بن جن) لم يحدث  
 الضحاك إلا بعد تعديل الدور الذي لعبته  
 كيلي مكجيليس، من متوقعة في  
 الجيش إلى أسرة من خارج الخدمة،  
 الملاحظات الاخلاقيه بين الضباط  
 والمتوعين في القوات البحرية  
 منوعة. وتظهر الوثائقيه أن شركات  
 الإنتاج غالبا ما تكون متلفه للتعانون  
 مع البتاجون. فقد كتب كيليبي بنجر  
 المدير التنفيذي لشركة ديزني: «نحن  
 مؤمن بقوة وأيمه وساعده الامم  
 الأمريكي سيكون (رامجيدون) اصغر  
 افلام ١٩٩٩ الذي يصومو ويحسد ايمه  
 ويطلعو جيش الولايات المتحد  
 الأمريكية.» أما فيلم (The Jackal) ابنز  
 (ليرس) ويليس وريتشارد جونز فقد  
 وافق البتاجون على مدع بعد أن  
 منح من أفضل القوات المارينز، لكن  
 الرائد «تاتسلي اولاناس»  
 اعترضوا رغم ذلك







وزارة الطيران المدني  
الفرقة الخاصة لمصر للطيران  
مصر للطيران للخطوط الجوية

تتلقى من  
تخصيص خدمة طياراتية للبحر  
٣٩٠٣٤٤٤

مطابق مع  
لخدمة الرد على الاستفسارات من قبل العميل و تأكيد التأكيد  
و معرفة السطر و مواصفات الرسالة



كما تلزم من تخصيص رقم التبريد  
الكتابة الرد على استفسارات شركات الخطوط  
٢٢٢٧٧٨٧ - ٢٢٢٧٧٧٧  
٢٢٢٧٧٧٧ - ٢٢٢٧٧٧٧

و كما تلزم من تخصيص رقم التبريد  
الكتابة الرد على استفسارات شركات الخطوط  
٢٢٢٧٧٨٧ - ٢٢٢٧٧٧٧  
٢٢٢٧٧٧٧ - ٢٢٢٧٧٧٧



# خطاب الكرهية يضمن

## الفوز في إسرائيل



## إسرائيل لا ور

■ قبل إجراء الانتخابات العامة في أواخر فبراير الماضي، فرضت إسرائيل مجداً إغلاقاً تاماً على الأراضي المحتلة، وتم ذلك باسم الحفاظ على الوحدة الوطنية، والتي أصبحت في حد ذاتها إحدى قواعد الوطنية. لمن ندع الإرهاب يتحكم في حياتنا، وباسم الديمقراطية «نحس جزءاً لا يتجزأ من الدول الغربية»، وأنجزت مئات الآلاف من الفلسطينيين في قراهم وبلداتهم، حتى نتمكن منهم أي نحن الإسرائيليون - من التمتع بحرية الاختيار.

وسبباً يوم تفكر فيه في عدد الجنود الصفيحيين الذين يظهرون الأمر لحماية الهدوء في أي موقع من مواقع الإحتلال، وتم تطلب من عمليات القبض والاستيلاء، ومن الركلات والصعقات، وتم من الأعمال حظر التجول، وإغلاق المدارس وسد الشوارع، وإغلاق المستشفيات من مرصاتها، وتدمير لأحواش التي يلعب فيها الأطفال، هذه الأعمال التي اتاحت لنا أن نفكر ونزهر بأن الإرهاب لم تكن له الكلمة العليا؟ أي قدر من الظلام يجب أن يسود هناك حتى نسعى نسعى أسواقنا (ومقاهينا ومسارحنا وسينماتنا) في ضوء وصالات الزواج؟ ما مدى شدة التكنولوجيا العسكرية التي ينبغي لمستخدميها أن تفكر في تفكرها على الفلسطينيين حتى نتاح لنا حرية اتخاذ القرار بشأن مصيرهم، بينما نحن نتفكر طوال الوقت بأننا الديمقراطية الوحيدة في هذا الجزء من العالم؟

إن هذه الرغبة في إعادة الأوضاع الطبيعية هي الوجه الآخر للاستيلاء. هل يمكن أن تعطى أسواقنا لأحزاب لا تطرح غير حلول عسكرية؟ القرار العادي سيؤول - ومع ذلك الأوضاع الطبيعية هنا تعني اللاامبالاة، واللامبالاة في درج لا تخشعها المعلومات. لقد شارك آلاف الإسرائيلييين في «الإحتلال»، وبذل كل مجهودهم لتفكيك ثقافات أوسلو، وقاموا بقياس جغرافية نقاط التفكيك، وآلاف الإسرائيلييين قد تعرفوا على واحد أو اثنين من آلاف الفلسطينيين الذين اعتادوا أن يشغلوا في مكان بعيدة رخيصة، والذين ذهبوا الآن في طوايا النسيان في الأراضي المحتلة. ومع ذلك ففي الحملة الانتخابية لم يتجاوز حزب يهودي واحد على الحديث عن العذاب الذي يعانيه الفلسطينيون.

وتم انتخاب المستوطنين ليصبحوا أعضاء في الكنيست الجديد. والسلطة الفلسطينية لم يعد لها وجود، إلا كهف سهل لجميع أنواع الاتهامات والعقوبات. ويبدو الإحتلال كأنه في مكان بعيد أو مستوطنة كبيرة بالقرب من الخليل فإن الحديث يكون عن الإرهاب داخل وطننا، ولكن عندما يقوم جيش

بترتيب خاص مع  
London Review of Books  
ترجمة أسعد حليم

الانتخابية. لماذا نسي الإسرائيليون جريمة جولدمان؟ ولماذا يهتمون كل سنة في عيد بوريم بالانتماء دون أن يفكروا للخطوة في النخبة التي وقعت؟ وألهم من ذلك، لماذا نسي حزب العمل الدور الذي قام به شارون في لبنان؟ لأنهم جاسوا معه في حكومة عشرين شهراً، كما لو كانت حرب لبنان لم تقع قط، وكيف كان في سمعهم أن يتحدوا؟ عن صابرا وشاتيليا بطريقة القديمة وهم لا يرون في صابرا وشاتيليا أدوات للدعاية المناهضة لإسرائيل؟

لقد وجه حزب العمل اللوم لشارون عن العمليات الانتخابية داخل إسرائيل، ولكن ذلك - أي جانب الفساد - كان كل ما أخذوه عليه. وكان سبب لومهم له أنه كان متورداً في بناء «سور حائل» على امتداد الحدود القديمة بين إسرائيل وفلسطين. وكان تردد اليمين في بناء السور راجعاً إلى التردد في وضع حدود هناك، أما اليسار فليدفع فكرة التحديد، ولكنه يريد أن يدخل كسيئراً من المستوطنات في جانبها من السور. والواقع أن السور يجري بناؤه الآن ويقوم بابتلاع قصبات أخرى من فلسطين التي يضمها جميعاً. والأسواق تدمر، والقرى تقسم إلى نصفين، والمزارعون لا يستطيعون الوصول إلى مزارعهم، وعمل الترحيل القارء يطلقون أمتهم الغاضب في العوالم على عمل داخل إسرائيل.



أن يكون لهم معدلاً في إسرائيل، وإلى جانب «اليسار العاقل» (وهو الوصف الذي يطلقه اليسار الصهيوني على نفسه، تعبيراً عن له اليسار الراديكالي الذي أيد النضال الفلسطيني) يكون معناه أن يؤيد السور الفاسل. ولكن إذا سافر المرء ورأى معينيه تلك الأجزاء من فلسطين التي فصلها السور بالفعل (مدينة قتيلاه) فإنه يستطيع أن يرى كيف أن السور يفصل المدن والقرى الفلسطينية ليس فقط عن إسرائيل بل أيضاً عن بقية فلسطين. والصلب يجري بطبيعة الحال من جانب واحد فللإسرائيليون الحق في دخول الجانب الفلسطيني، ولكن لا يستطيع الفلسطينيون أن يدخلوا وطننا. ونفس المنطق يطبق في كل مكان هنا. فـ «الطرق الفاصلة» كانت لأشاً تعني ليس الفصل بين إسرائيل وفلسطين بل بين المقاصد الفلسطينية والإسرائيلية. والآن، وقد أصبحت عملية الإرتهايد والفصل الحصري أكثر رسوخاً، لم يعد الفلسطينيون يستطيعون قيادة السيارات على تلك الطرق، بل وعلى الكثير من الطرق الأخرى في الضفة الغربية. ومن الضروري أن نفهم معنى عدم وجود الفلسطينيين في الوعي الإسرائيلي. فهم خط، وبالتالي يجب استبعادهم من أراضيها. إن الطرق الفاصلة تخلق استمرارية حقيقية بين المستوطنات اليهودية، بينما تقضي في

الدفاع الإسرائيلي بجرماته داخل مدينة فلسطينية فإن الراديو يتحدث عنه كأنه تحدث جرى هناك، في كل بعيد، وكأنه في موقع عالم عبر البحار... أو على الأقل كان هذا هو الأسلوب الذي يتحدث به «اليمين» لبعض الوقت - ولكن هكذا أيضاً يتحدث «اليسار الصهيوني» الذي قبل لأكثر من سنتين الآن هذا التوصيف الجديد للحدود المحتلة. وجيش الدفاع الإسرائيلي فوق الشك بطبيعة الحال. ولا يقتصر الأمر على أن الجنرالات السابقين يلعبون دوراً مهماً على كل من جانبي الخطبة السياسية، بل إن الأحزاب السياسية جميعاً بما فيها ميريتس، حزب مفقوبي اليسار، وحزب العمل، يستحقون مواقف الرفض. إن «شعاعة الرفض» حركة الجنتو المقاتلين الذين اغتالوا «الحرب على الحصر» سددتهم إلى رفض الاستمرار في أداء الخدمة العسكرية في الأراضي المحتلة، قد أصابتها صدمة عندما اكتشفت أن ميريتس لا تريد أن تتعامل معها. إسرائيل في حالة جمود إيديولوجي، وقد استسلم اليسار، وكانت حكومة الائتلاف السابقة هي التغيير الأساسي عن هذه الحقيقة. وحتى عندما كانت الأيدي في أيدي عيسو، أي جيش الدفاع الإسرائيلي، كان الصوت صوت يهقوب، أي صوت ليكو. واليسار الصهيوني - ميريتس، والعمل، والسلام الآن - لا ينبغي أن يظل بعد الآن جزءاً من هذه اللعبة، ولكن للأسف ليس هناك سبيل لإقناعه بالإبعاد عن العسكريين، حتى عندما يؤيد من التقارب إلى أرتامه الناضحين مباشرة في أحضان الليكود. وفي نهاية المطاف، لماذا ينبغي للناخبين أن يقلعوا القولاً زائفاً عندما يستطعمون أن يستمعوا أن يتحدثون بكلمات صادقة؟ لقد كان حزب العمل عضوًا نشيطاً في حكومة شارون السابقة، ولكن ميريتس أيضاً قبل الحكاية الأساسية التي تقول أن «رئيس الوزراء الأسبق يهودي باراك عرض على الفلسطينيين كل شيء» كغيب ليقيم لهم أرواداً أن يحصلوا حتى على أكثر من ذلك. وهكذا، أين ذهبت تلك الحققة من أعضاء اليسار الراديكالي؟ لقد أصروا لهم لمصالح «الجبهة الديمقراطية» (الحزب الشيوعي ومرشحوه آخرون) ولحزب البلد، الحزب العربي الوطني الذي يلوذ عنى بشارة. أما غاليتمتهم فقد لجأوا إلى الجامعات، في انتظار أن يقوم مورخو المستقبل بالخشف من أسرار الجاح الوحيد الذي حققه باراك وهو: تعزيز «حركة السلام».

لقد وجه أثناء الحملة العديد من الاتهامات، كما يحدث في كل حملة انتخابية. فاليمين اتهم اليسار بالشيوعية عن «ضحايا أوسلو» أي عن اليهود الذين قتلوا في هجمات الفدائيين والإرهابيين ضد عيد بوريم في فبراير 1994 عندما اغتال باروخ جولدمان، وهو مستوطن من كريات بيت، المسلمون الأبرياء الذين كانوا يصلون في «كهف الآباء» في الخليل. وقد نسبت الآن والعهلة أن هذه كانت هي بداية الاعتصام



# في وصفها الحركة السودانية الشعبية

## العقيد قرنق

### والحركة الشعبية لتحرير السودان



خلافا لما ظل يذيعه قرنق،

في ضمائر تقديم نفسه كمناضل

لوحدة السودان، من أن أول رصاصة أطلقتها

الحركة كانت ضد الانفصاليين الجنوبيين بشير

واقع الحال إلى أن تلك الرصاصة قد أصقت نحو

صدر مناضلين له حول الشوكة

والركن الأول في الحركة،



الحركة والجيش عن كذب من قواد لها، فله

حيث معرفة هذه الحركة الحق عن، كتمالي

سوداني، أمور، وأول هذه الأمور كما لا يخفى

هو محاصر الحركة الانفصالية التي خالطها

الغرض، ومن الأمور المهمة ذات السوودانيين

الشعبيين من نوى الحساسية تجاه مازلتهم

التاريخي والحساس من الجنوب، وهو ذنب

بعدمه لتقليد بعض الظن على ادوابع والآراء

الجنوبي وأرجعه الحكم عليها مدام

الجنوبيون على جانب الصحة السياسية من

حيث طلب الإتصاف ورفع الاستصاف عنهم.

بل دفع هذا الغضب بكتاب من الشماليين من

أمثال الدكتور منصور خالد، الدكتور، والواق

كبير للانضمام للحركة الشعبية وليكونوا

صوت عر비아 على كتابات صدرت لهم

للاتحادية والعربية عن الفكر الرعيع جون

قرنق وخرقته الشعبية، وهي كتابات غلبت

الحديث عن ظلم الجنوبيين ومشروعية

جهادهم وقلت من الفكر الدقيق في الديمقراطية

التي هي وحركته، والحق أنها لم تقصد أبدا أن

تجرب الظن في هذا الباب إلا لتدفع لما يقوله

حشود الحركة وبغيتها.

توفر لنا من جنس الخروج بفصاحة

ويصنف من الحركة الشعبية كتابان مرموقان.

مؤلف الأول هو الدكتور بل كقول الأستاذ

السابق بكتبة الهندسة بجامعة الخرطوم

وهو القادة العسكرية العليا من الحركة

الشعبية عام ١٩٨٨ حتى خروجه منها في

١٩٩١، ووزير النقل الحالي في الحكومة

السودانية، وعنوان مؤلفه هو الحركة الشعبية

لتحرير السودان والعربية لتحرير السودان،

لدخل ثورة إفريقيا التي صدر

بالتحرير عام ٢٠٠١ بالخرطوم. أما الكتاب

الأخر فهو نزاع السودان الذي خطه قدم الأستاذ

كتبت قد استعنت بقوله تعالى: "يثر  
سحابة وكفهم شديد، لوصف الحاسة  
السودانية وهي حالة غاضب لها المعنى وبقي  
المبني، وجف الرجيق واستخلف الزهرة.  
وخرجت الروح ونهات الجسد، ويقرب عامة  
السودانيين من هذا المعنى كثيراً حين يصالون  
قاصد البئر للقطعة بأنه إنما يرضع من «شعر  
ميت». فالقطر والتخفيف السياسي ونوابتها  
في اسناد السودان هما أثر من مستحيات  
القرن الماضي. وتصلحت بثر كل العبد الباهر  
محليا وعالميا كما هو مشاهد للجميع غير أن  
القصور السودانية من أحزاب ونظم سياسية.  
التي استقلت من ماله ثلث كما هي عليه. فقد  
قنادر أهل السياسة تجديده النظر في شأن  
بهرهم وقصرهم وانشلوا عن ذلك بعمية الحكم  
المجردة. وليس صدفة ربما أن داغ عن خلاف  
ال٢٠٠٠ بين السيد الرئيس والشيخ حسن القزافي عام  
٢٠٠١ من صراع «القطعة والبصر». فالقطعة  
هي شحامية اسفله الجرجوزية في مدينة  
الخرطوم التي سبقها القزافي الذي عليه علم  
التجديد القزافي والتبروي في الحركة  
الانفصالية. أما القصر فهو القصر الجمهوري  
الذي يدير منه الرئيس البشير. أمور الحكم  
عليه فخلال القزافي والبشير هو بعض جنل  
البشر المعطلة والقصر المشيد. فكما ضل أهل  
القصر عن إصلاح البئر، استغاثوا على إمرهم  
بالقوة المسلحة فأصبحت لحزب جوش، أو  
أصبحت الأحزاب نفسها جوشا. وتعدت  
السياسة وقل النظر.



جدلية البئر للقطعة والقصر للبشر وراء  
أكثر ما تبغيا ومظاهرها الفاضلة مثل الحرب  
الأيدي المتداخلة، والفرقة بين الحكم  
والدمكر، وانقلاب الأحزاب على نفسها  
بصورة تافهة. وقد سبق أن صدر لي كتاب  
بعنوان «الزحف إلى الشمال» في مساهلة  
لتشخيص كساد جهاد السياسة السودانية من  
جراه ففقدان سبيل الفكر. واسترعت نظري  
مؤرخ كتابات بعض أهل النظر، وهم أهل البئر،  
على عينة البئر من أفراده. وقد املوا في  
ذلك ابتعاد الناس عن فساد فكر تلك الأحزاب  
وخياها. وقد سميت هذا الجنس الكتابي بـ  
«موجود جوش» «م» عملاً على الظاهر عن  
الزمان الذي نخسره منه بالحدسية والخيالية  
برغم أنه ربما سرّاً أحيانا.

وقد اعتبرت بوجه خاص بما صدر من هذا  
الجنس الكتابي مؤرخاً بكتلة أولئك الذين  
خرجوا بفصحة من الحركة الشعبية لتحرير  
السودان والجيش الشعبي لتحرير السودان  
الذين ظل يقدومها الدكتور جون قرنق  
منذ ١٩٨٢ لخدمة بناء السودان بفصحة  
أهله الشروة والسلم باليوسية. وزعمت في  
استعانته بهذه الكتابات في معرفة هذه

Inside An African Revolution

(داخل ثورة إفريقية)  
Lam Akol  
Khartoum: Khartoum University Press.  
2001. 348pp. £ 15 00

وصفها بأنها جماعة ثورية مسلحة، إلى  
مجرد عصبية من المسلمين. ومثلاً ومثال  
الحركة الشعبية، في رواية إلام على ما حذر  
منه كارنال. فقد بدأت الحركة. أو كانت بحركة  
سياسية ثم استأثر بها، وهي في العهد. العسكر  
بقيادة قرنق. وقد وعت هذه العسكرية، وبظن  
لام، عبر ثلاثة تطورات مهمة. وهي:  
١) القضاء على العنصر الدني السياسي  
في بدايات الحركة فيما بين مايو ١٩٨٣  
ومارس ١٩٨٤.

٢) تجريد قرنق للقيادة السياسية وتنصل  
الحركة من مطالبها التأسيسية.  
٣) وتمكن العالم الكافكي (تسمية إلى  
كافكا، الكاتب التشيكي المشهور) للقرنق في  
الحركة وهو عالم يجرب الناس من الفهم  
بهدف إخضاعهم لإرادة غالبية.

بدأت الحركة في ١٩٨٢/٥/١٦ بتصد  
حامية مدينة بئر الجنوب إلى الزحف الصادر لها  
بالانتقال إلى شمال الخرطوم. وقع هذا الأمر في  
سياق خطة مدجج الجيش من الجنوبيين،  
وأخترهم من كانوا قد استوعبوا من حركة  
القوميين الجنوبيين المسلحة (ومن تطلق  
عليهم الحكومة اسم «المشروع»).

ويستخدم هذا الاسم الحكومي لثيوه  
للمسؤول بعد اتفاقية أميس أبادا للتسليم في  
١٩٧٧. وقد تشكلت الحامية في أبادا بقيادة  
الجيش من هذا الأمر. قد خشيث الجانب  
تكون عرشه لبراري إلى الشمال بعد تقديبه  
عن عرشه السياسية في الجنوب. وهو النصح  
الذي طلت عليه البرية في السكرة في الشمال  
ولخاصة ما تطلق بـ «إسماء الدولة التي لاح

للمصاحبة منذ مصاصات السرايل لمصر من  
المعارضة الشمالية الموصولة بالاسلامية، في  
١٩٧٧. وقد سبق ثرد حامية بئر لحوء  
جماعات مسلحة للبابية. ولدى هجوم  
الحركة على الحامية تطلعت الأخيرة للبابية  
واستحدثت إلى الحدود الإثيوبية. وتبع  
الحامية المخرقة العفيم جون قرنق، الضابط  
للمشروع من حركة «المشروع» في جيش  
السودان، والذي كان يقضي إجازته في نواحي  
بور. واضطرب قرنق في رحلته هذه السنين  
سماويل تور وأخوت أديم. والأول من قادة  
حركة أتبانيا في المستعبدات وجرى استيعابه  
كعبد من القوات السودانية ثم  
استعرج منها وصار نائبا في البرلمان  
الجنوبي ووزيرا مرات عديدة. أما الثاني فهو  
من دهاس ساسة الجنوب.



بدأت الجماعة التي لايت باثيويا، بما  
فيها قرنق، وتكون لجنة مستها للجنة  
التقديبة التهجيرية، التي لم يكسها لها  
تكرار سلفا. وتشكلت لجنة مستخضعة لهذه  
اللجنة منها العسكرية التي ترأسها  
تور، ولجنة العلاقات الخارجية التي ترأسها  
جوزيف ادوهو، والجنة استيعاب غيبيا إلى  
معارضات قرنق، والجنة الأبراة والفضيلة التي  
ترأسها مارتن باثيويا فاي أما قرنق فقد تفتير

## عبدالله على إبراهيم

قاتل ألهمه بركان حرب الصحراء ولم يبل فرج يمنحه هذه الاستعدادات وسعى في نائب الضباط على هذه الحطة - خمسة - ومع في القضاء جماعة موت وأسد وشب سملها وعاد اسم بعلب الصلح مع فريق في جماعة الحكومة من ١٠٠٠ من حاضرين لصلاح وعمرل وكان الضابط المصيرب الاتومى لمنطقة بويرنوب فرودة بالصلاح حلاً للموقف الاتومى الرسمى الذى احتاز لفريق. ولأن أن فريق غير راقب في الصلح. وبقيت جماعة أليم تمتلظ قدوم فريق في المكان والفرمان لظومس وحس لم يحميهم فريق انسحب أليم وصحبه من الموضع في جنح الظلام لأن خيار الضالعة قد تضرر. وهاجموا جماعة فريق وأجلوها واحتلوا مكانها. واستعاد فريق زمام المبادرة وهاجم ضامه ضم في مارس ١٩٨٤ بقوة مسجده وأمر اسم ومثل كرسو فوجهم بعت فريق بجيشة القتيل. وقد جلد كاريمنو الجيلة ٥٠ جلد. وكان ميمرى قد سبقه بجلد الضوم والسكرارى والفرقة بالصلاح بعد أسبوعه للفريقين في سبتمبر ١٩٨٣. وكان فريق حاضراً في المشهد يرى ولا يهرك سافاً. وقد كتب فريق لاحقاً لندويه في بريطانيا زاعماً أنهم لم يفلتوا توت وشرفوه بعماء مسمره وين لم تراحمهم جماعة موى في السودان وكوونوا جيش اثينايا ٢ (وكانت اثينايا رقم ١ في التي بدأت حرب الحكومة في ١٩٧٢). وقد تشب صراع دموى بين فريق وهذا الجيش لسنوات أربع. واشتبهت الحكومة حرب الأخوان هذه وأمدت اثينايا بالصلاح والعتاد بعيداً لفريق. ونفى لم حرب الأخوة هذه قائلًا: إن الأرواح التي أفلتت في هذه الحرب لىي أفسر من ملك في ضمتها في حرب الضمو الجيش السودانى في نفس المدة. ولم يبل فريق صدا الصلح مع - صملا - ٢. وما كان سميها ب - صملا - (ان اسمه وطلوع حقوق في لغة الصوم) وقد أصبح احمر لا فريق لم يلق على كسر شوكة هذه الجماعة لأنها كانت تتمتع بحظوظ ولاء السكان. وتصلحت الحركة الشعبية وإثاميا بالحوار وبفضل جهود بلنها ضباط ذوو حيلة في الحركة الشعبية. وعلق لم على هذه البدايات الضميمة للفرقة بقوله: «وعليه فإن الحركة الشعبية قد منحت نفسها في الساحة الوطنية بحرب أهلية بين الجنوبيين. وخلافًا لما نال يذيعه فريق في مخبرنا تقديم نفسه كمتأصل لوحدة السودان. من أن أول رصاصة أطلقتها الحركة كانت ضد الانفصاليين الجنوبيين. فوالع الحال يشير إلى أن تلك الرصاصة قد أطلقت نحو صومر منافسين له حول الشوكة والمركز الأول في الحركة».



ولم يلق فريق بمنح من اسم حتى جعل نفسه رئيساً لجمعية التضحية الممهدية ورسمى بذلك أن مدع للفسر من ٥٠ - قصوه والموت في الحركة وعد صحر - ٢. ونفى لم تجس منسخر للسلامة و



2025

ولعل من أسيس مساجده يوم لام في بلد استراتيجيه الحركة لاجل ايشاء من قوله انه تعصم برهمنيتها الواجب تسخيرها من الحكومة قبل ان تشرع في الحديث عن السلام نفسه، فيل ان تتحدث عن السلام قبل ان ترفع الحكومة حالة الطوارئ او تقضي اتفاقيات الدفاع مع مصر وليجد، او تستطع فواتير شريعة البرهمنية نميري او الترخيص والبشير. وجد لام في خطاب هذه الشروط نوعا من التواء القاعس عن السلام وقال: «لعم بصره عن



المشاق في الحرية والاشتراكية ووجد السواد الديمقراطي وشجب الحرية. التي هي عبارة أخرى عن سيادة الطغاة العرصة والإسلامية ومهتلرا على صهار التلال. وبقي كافي وعيره في الحركة حتى خرجوا منها بخصه معدن سرتهم أول الأمر. لقد أخذ كافي في قتاله على الحركة منها، برغم إحداهما لتفكك في كوبا منها مثلاً لكافة مهنسي اللاد، الأسها طلت لتقلب النشلة التوسعي على ما عداها. وترتب على ذلك أن أصبح محسذو الأرض شحمت البوية متقوين في الحركة الشعبية عليهم عن مركز السططان الحكومي. وإليس دل على ذلك من قرار الحركة الشعبية ضم منطقة بيري. التي هي غفلة دواع تلويل بين الشمال والجنوب. إلى الإقليم الجنوبي بغير استشاره يعون أمشي جرداً في لهمهم. كما لم تمت الحركة بأسيروا في تمثيل كادر النوية في مؤسساتها بما يتناسب مع وجوده العزير بين طبقات الحركة حتى قال كافي أنهم يملكو بين ٧٠٠/٨٨٠ من عدد جيش الحركة الذي قاتل في إقليم الأنشوائية واستمر على الحكوة في مواقع معلومة.

ولم تحس الحركة الشعبية لكادر النوية بين وجوده اهنش كثيراً مما ذكرنا. فقد اهنش على القتال في جهبات للحرب بعيدة عن اهنش وعان من المصعبين هؤلاء كافي نفسه. وكانت الحركة شديدة في ضبط كادر النوية. فقد قتلت المرحوم يوسف كودي وهو جاحول العود إلى كافي النوية. كما جرت تصفية المناوب عوض الكيريك توتو تيه وآخرين اهنشهم لكافة بايل لاد اكول وشمار. الذين شغلوا الطاعة على فرق عام ١٩٩١. وقد جرى تمديد هؤلاء التهميين بشراية المصاعل بعد اهنشهم في رحلة طويته من جبال النوبة إلى حدود السودان الجنوبية كاختهم. وجاء كافي في كيتافته بين ٤٣ اسماً من اسوية وعرب كيتافته منكران من مصعهم النوية الشعبية. وقال كافي أن أطفال النوية الجشود كافي بطنية. «مخزون استراتيجي». يدفع بهم فرق إلى حومة التوة متى تراضي كابر النوية عن خوض الحرب.

إن كافي نفسه قد تجرع ويلات عالم فرق ثقافي وشقي بخصهشيتيه. وهو عايم في بؤس رن الجيميل. كلفتموا ما روت في كتاب كافي مثلاً لكافة النوية. «كان لاد نلون هو» بد اهنشهم على الفرق وثكن اهنشهم فرق كافي نفسه. وشاقى كافي بطنية لكافة العالم. الذي يوما يجامعاً من رفاق الحركة على ظهر عربة ما في موضع. أن لا استرعي اهنشاهه عربة ما من الأصول والألح من حيث جاب وبنه وسرعة. واكتشف ضمراً سراً سرهم. فقد كانوا قدام متعقلين مفرحين بواسته خنجرته. اهنشوا فرصه لتفاهولهم اهنشها بكافي السطواني عمو ماراوا السطواني بسمره هاروما تحركت قبل أن تشق اسنهم.

وشق كافي برمايه كافي فرق كافي قد اهنشهم اهنشيتون ولد ماروت. قلاد مطط ومصلح حمل مناديه. وكش اهنشهم مططيه في برمايه في عازله عن حاوية موما سمان ولادورة مياه قديمه. وكش اهنشهم مططيه التي رن لمططها قبل شلنيها لمهر. عزم تكتل رن لمططها اهنشها. قلاد قبل أن كافي أن ياحد له صورة وهو يوسيط خرافه وهاجمه القليلة. ونفت في حاسر كافي بعض وصاها احصاها كافي فرق الكافي. قد رن كافي السبيد خنجرتيه. بوي من اناه الحركة



## في وصف الحالة السودانية



### كان فرق يبدل طاقاته القصوى

**الفرقة على أنه قائد السبى**  
**وعسكرى قد أنى ما. فاضت الحراسه**  
**شقا للنصر لا للتسوية متى ما لاح سبى قوى لها.**  
**ولذا كان يلزم نفسه بحضور كسل العمليات**  
**الحربية متى ما عن له أنها قد تؤدى**  
**إلى سقوط مدينة ما**



في محفل بومة. قال عنه أنه تكت في آخر الأمر في ظروف مضمعة. واتهنز ادوهو سائحه لكاه بكافي لاهيه وصها وحضة وصهيح لكاه في جز مسوايه لكاه الذي كانت تطلب باديس أبها. ووصاف بدهب إليها ويطلب منها أن ترسل صوره صوفيه طويلة وغباراً وأصابع صفر. كما سائله أن يطلب من أحد أخصبه أن يرسل له بطنية. واقتبس ادوهو من كافي أن يذهب إلى مدينة كيتوا ويطلب السبيد رزقاً وتو أخيه. وأن يقول لها أنه بخير. وسعى كافي إلى وصها أخبرين من صهاياها اهنشها. قلاد حمله الفويسير بول اناه اهنشها. الذي خرج على الحركة ومات في معارك خاضها ضد جيش الحركة. رساله إلى زوجته المرموكية التي تموس الألب الإنجليزي بوزية نيويور.

لقد نسي كافي الصق اللورى في الحركة. فقد تهنذت الأمانة وخلفها في الحركة من جراء العالم الكافي الذي ساهها. قلاد حزن في نفس كافي أن يتأخر الدكتور منصور خالد والسيد ياسر عرمان عن التوسط لدى فرق إطلاق سراح صديقهها الدكتور ارون تون. كما اختطفت الحركة الدكتور كارلو ماتل من قفده صهار واخذته إلى حدود السودان. وقدره رفاقه وربطوه بجدل إلى جبر زوموه في جسر الجدل. وكشى كافي عن كفت نقصص حرس فرق بوير الكيشي والبقا القبيص على ارون تون. الضمو اهنشها في الحركة العسكرية اهنشها لفرقة التي اهنشها في ١٩٨٨. حتى هربوه من السجن في ١٩٩٢. في منزله في مدينة نيويور. ولم يشعل له الاثنش الموميس الكيشي الذي كان يارب حرس فرق. فتمخل. وعاد باروك إلى داره



وعاش كافي عالم فرق الكافي في خاصة نفسه. قلاد اهنشهم من جبال النوبة. دار اهنشها نفسه غصنه السبسية. في ١٩٨٠ ومنع كافي من حال مقلشين. من المهاج. قلاد اصنع الحركة خنجرتيه قلاد غير أن لهاهم اهنشها أوتقت إليه كاتبات أبي في كيهده له وسهيهه الاهنشها. فهنذت قلاديه مرارسته الصصح الاشتراكية والفرقة بأخمار الحركة وجهاتها

بالقوة والقتال». ولم يقع لي قويا وصف في الاستثناء له طرافه وصف كافي لأحد القاتلين في الحركة الشعبية. كان الرجل من شعب التوبوسا الجنوبي وهذا شعب من العراة لا تخلجه دون البرة السرة وقد تسليوهم اللانس فيخشرون منها ما يروقههم دون اشتراطهم السرة. وكان الرجل راداً في جيش الحركة الشعبية وقد ارتدى بدلة وصف عليها علامه رتبته العسكرية وبقي في ساعده على هاريا كما ولدته اناه. قلاد كافي في الرجل. وقد رآه يوما. أنه «قل يسير عاير تماماً سوى من غفلة العالي المصاحب مشيته عبر الجو الساخن».



تمت الحرب الواقع هذا لم يبق له وتمجه مايند ديجا لا يتوابع اناه. وكهاية كابل مدينة توبيت الجنوبية مثل مثل هذا الهجين الماخي من الواقع وشايل. قلاد وصف كافي كيف اتفق لهذه الكابل عايد جديدة من فرط الحرب وطولها. فلما جاء المهار. وهو موصف صف طائرات الحكومة للمنية. ثلثت الكابل واجتمعت وهجرت المدينة وثلاث بالناحية. وكاشت تعود إلى البدة ليهن كاه يتوقف كاه الطائرات. وكان ثلثي الكابل لهجرة المدينة عوباً لاجها. وكانت تعود في انهاء بسا الشنيح الفاجع. قلاد.

يستعد هذا الفصل البديع في الكتاب نفسه الرولى من استثمار كافي في مؤسسة الحرب الالهية. قلاد عدد شاتلويون قسودم. من الناعمين على استعمال قسودم وقسودم لهمهم اللانس في اهنشهم اهنش في حلة سودانية مستقلة ماثي بالانضمام إلى جيش التحرير في الحركة الشعبية. واخنشهم هذا القرار إلى النابية الجنوبية الأنشوائية التي وصفها كافي بأنها «عمية اللغة العربية». وحمل هذا الرعب اهنشهم عادات القسودمين الصهايين في الزادة وسعر الشعر والعري والفرادة إلى مدح تسليم اهنشها (الأنشوائي) حيث الألبا العربي بعيد. روى كافي عن اهنشهم اهنش احتياط بقال لكاتب اهنشها اسوات منذ انضمامه للحركة في ١٩٨٧. وقد اهنشهم لكافي وأخبرين في قلب اهنشها عام ١٩٩٢. وكان هؤلاء النفر من الشمايين الهاربين إلى اهنشها متجانبوا أشراف والشعر وبخاخ شعر الامنأد حجابوا عريهم في الزجاء الشورى الألبا. وكان كافي يترجم النقصون إلى الإنجليزية لغادة من لا يحسون النقصون. نشات من ساحة هذه الهجرة النشوية إلى الجنوب نصوص صهاية غني في النطق والدلالة. وقد عرك هومي بهباهيا. الكاتب الهندي. النقصون الهجين. التي تشا في خلفة الخلفات. بأنها نصوص «مفردة mmirry بقرينة الماكنة. فقرات اهنشها وعارف هؤلاء الاذنوة الأبناء واكتشاف لعين. واخنشهم هذه الاذنوة التي اهنشهم لعين. والحرب في كتاب كافي هي ما عن وثاق ومما هوها بالحندي الرحيم. من ملجأه هذه الاذنوة العمية ما راد كافي عن الجنوبي الذي استنبر لوجود شماين من جز الحركة الذي لوني «مقارون» بين حارين صحن. ولم يجد الجنوبي ما يصف به زميله اهنشهم اهنشهم الا بقوله. انه يشبه اهنشهم اهنشهم اهنشهم اهنشهم الاضربون لسودن من الشمايين إلى الضصوم في جبال الحكومة. وما كانوا ليعبروا من جبال الضصوم إلا حين يقع الواحد منهم أسيراً في قبضتهم. وهذه صورة عمية في جبال الاقلا.

لا اكر أنني أت مؤخر شديداً في كتابة عنيضة الامية مثل وصف كافي لنهر البيرا في النوية الذي عبره «ماخل مائل مائل



ومن أمثلة المردة في حرب الإخوة ما رواه كافي عن ما جرى لكامل الوسيطة وهو من الشماليين الذين انتحروا بالحرقة. فقد سله يومساً ولسن كـرور، الجنوبي الذي درس بالشمال وعمل في الجيش السوداني حتى صار ضابطاً ثم انضم إلى الحركة، قائلاً:

أنت قلت أسد منو؟

كامل الدين الوسيطة

• الوسيطة والوسيطة؟

• الوسيطة.

• أنت عارف اسمك الوسيطة مش

الوسيطة.

• لكن أبوي اسمع الوسيطة مش الوسيطة.

• اسم الوسيطة ما حاصل سمعت بيهو.

أنت اسمك كامل الدين الوسيطة مش الوسيطة.

• يا م ولسن أنت عارف لو أبوي سمع

اسمك ذي ما بعدين يزل.

وضعت المصنوع بين فيهم كور وكامل

لقد انتحار كامل إلا بسائل الصواب من عنده

الشمالي عارف أنه أتت التصحيح الجنوبي

الجزائي على عليه.

ولما كمال الوسيطة، وليس الوسيطة، في

مسيره الاستقلالي تهباً لهذه الموضوع

الحقبة. ولم يكن دائماً هذا لها. فقد كان هو

البابح أحياناً. من ذلك ما رواه كافي عن حكاية

كامل مع مارجيت الشمايقية، وهذا الاسم،

مارجيت الشمايقية، نص مفرقة في حد ذاته،

لقد نسب النص مارجيت، وهي جنوبية، إلى

الشمايقية وقد قاموا بضمهاين في النصي

شعب. وقد قال أهله لا يبرى لها نسبت

مارجيت إلى الشمايقية الذين ينحى عليهم

حتى أنه انشمال معاهم وطويل حيلهم في

موضوع الحرب. وتجرى قصة مارجيت والوسيطة

على هذا النحو. جاءت مارجيت نحو عربية

تولفت عن حبهم وكان بالبرية الوسيطة

وصصة من الحركة الشمايقية. وكانت العرب،

محنة بخيرات استقلالية من مؤ والعربية.

قامت مارجيت لوسيلة.

• ابوني مؤ معاكم.

• في الوسيطة؛

• أنت عارف واد؟

• لا. أنا سله ما ولدت... ليه؟

• ولزاد بدوه لمره المعضا ولد.

• ابوني مؤ ولدت؟

• ول ما ولدت بيوسوها، بيوسوها لحد

ما تدعين يودها منو.

لقد استدعى الوسيطة من كلمة "بوسو"،

التي هي "بوسو"، في لهجة عرب حلفوم،

فغير أنها أصبحت لغتي في مصطلح

الجنوبيين، الذين استقلوا لتدسة، الإفعل

الجنسي أو الجماعي. يبيسون إلى الصامات

الوسيطة الجنوبية أغصيت مارجيت لمبات

التي وسلكته من أول الوسيطة وفضلت فقال

كافي:

• هو س (ميتة) شوني (أنا جملي وهم

شعب من الشمال) معاني في الحركة.

• الزول ما كاتو برحوازي.

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

# شركات الأدوية روجت له



إن ما نشهده وبما حققه..

ومع ذلك لا يوجد على حشد علم الجميع شيء  
يسمى بفيروس الاكتئاب. كيف إذن تحولت تلك القلقة من مرضي  
المنخوليا في خمسينيات القرن العشرين إلى ملايين  
المرضى في تسعينيات نفس القرن؟



الطبية المؤدية لوصف أدوية مضادات  
الاكتئاب بـ ٢,٥ مليون إلى ١,٧ مليون. وفي  
فرنسا ارتفع الرقم إلى سبعة أضعاف فيما  
بين ١٩٧٠ و ١٩٩٠ وتم تسجيل ما لا يقل عن  
١٤ مليون وصفة طبية في عام ١٩٩٤،  
وتوقع منظمة الصحة العالمية أن يصبح  
الاكتئاب قريباً ذاتي الأغصم مشكلة صحية  
عامة - وتحتل مشكلة مرض القلب المرتبة  
الاولى. يقول بيتر «إن ما نشهده وبما  
حققه». ومع ذلك لا يوجد على حشد علم  
الجميع شيء يسمى بفيروس الاكتئاب. كيف  
إذن تحولت تلك القلقة من مرضي المنخوليا  
في خمسينيات القرن العشرين إلى ملايين  
المرضى في تسعينيات نفس القرن.



أكثر التفسيرات شيوعاً هي أن الاكتئاب  
كان دائماً حولنا، لكن تقدم العلم مكنتنا من  
التعرف على بسوئته أكبر. ففي عام ١٩٥٦،  
عندما أعلن رولاند كون اكتشافه، قلن أنه على  
على الجزئية المصيب تحديداً للاكتئاب  
«الباطني» أو البيلولوجي، مستشككاً  
اضطرابات العصاب الاكتئاب التي تُعزى  
لمصيب «خارجي» أو نفسي. ومع ذلك سرعان  
ما شككت البحوث الدوائية في هذا التمييز عن  
طريق إثبات أن جزئيات أدوية نفس  
التأثير من حيث تخفيف كلا النوعين من  
الاكتئاب. وقد كان واضحاً من تلك اللحظة أن  
خطوة قصيرة فحسب تؤدي إلى الفكرة الثالثة  
بأن نفس الاختلال الخلوي البيوكيميائي  
قائم في كل حالات الاكتئاب، ويمكن علاجه  
بمعايير استهوكف التأثير على الإرادة أو  
السلوك (تأثير إيجابيا).

وبمساعدة من طريق تبديل الجرعات  
وملاحظة آثارها، بدأ الباحثون يميزون  
السمات العامة لمتشخص جديد قابل للتعرف  
في مجال العلاج النفسي، ونظراً لأن عائلات  
مضادات الاكتئاب المختلفة أثبتت كذلك  
فاعليتها في علاج كل أنواع الأمراض الأخرى،  
تم استنتاج أن هذه الأمراض ما هي إلا «الاكتئاب  
«مستتر» (قد يبدو ذلك استنتاجاً واضحاً، فربما  
يتنبأ البعض إلى أن تلك الأدوية ليست  
بمضادات اكتئاب). ومن ثم أصبحت على  
التوالي حالات أخرى إلى الاكتئاب وهي:  
نوبات الذعر، والقلق، والشره المرضي،  
واضطرابات الوسواس (الحواس) القهرية،  
والهراب الاكتئابي» (ما كان يسمى  
بالجنون)، والتوحد، وعُرض ثيروت (تسمية)  
في الطب النفسي الفرنسي جورج جيل دي لا  
توريت وهو اضطراب عصبي حاد يتميز بل  
تقلصات لا إرادية في الوجه والجسم -  
المخرج)، ولسن اليلو أو الغلظان، والأم  
الاعصاب والسرطان والعمدة والرقبة.

العقد الواحد والخمسون، أبريل ٢٠٠٢م

في كل عصر. لفمذ أبقراط وحتى الطب التلنسي  
الصديق. توصف «المنخوليا» - أي الذهان  
الاكتئابي أو الاكتئاب «الباطني» - في الفاظ  
ومصطلحات متسقة بشكل ملحوظ. ومع ذلك  
حتى وقت قريب للغاية كان هذا النوع من  
الاكتئاب يُعتبر نادراً جداً. يشير هيلي إلى أنه،  
ما بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٤٠، دخل ٥٠ فقط  
من إجمالي مليون مريض مستشفى شمال  
ويلز باعتبارهم مرضي المنخوليا. بالمقارنة  
يدخل اليوم ٩٨ مريضاً من كل مليون مريض  
المستشفيات النفسية بسبب «الاكتئاب»،  
ويتعثر ٢٦٨ مريضاً منهم مرضي المنخوليا  
أو الذهان بشكل حاد.

الاكثر إثارة للدهشة أنه عند اكتشاف  
الطبيب النفسي السويسري، رولاند كون، في  
منتصف الخمسينيات من القرن العشرين كآثار  
الايبرامين المضادة للاكتئاب والتجربة على  
مجموعة من المرضى الذين يعانون من  
الاكتئاب «الباطني»، وافقت شركة الأدوية  
جايانج أول الأمر موافقة على تطوير العقار.  
لأنه لا تراه أن سوف ستكون محدودة الفاعلية.  
ويعد الآن من أربعين سنة في عام ١٩٩٤،  
أصبح بروك الذي أكثر الأدوية مبيعاً على  
مستوى العالم بعد دواء الفرحة زانثاك  
مباشرة. في غضون ذلك استشرى الاكتئاب  
بدرجة لا يمكن مقاومتها. وفي ١٩٧٠ قدر  
الطبيب النفسي هايزر ليمان حالات الاكتئاب  
على مستوى العالم بـ ١٠٠ مليون حالة. ففي  
الولايات المتحدة وحدها، قدر عدد الاستشارات

غير محتمل متعة جديدة في الحياة فجأة،  
دون الاضطرار للمعاناة من الآثار الجانبية  
الكثيرة للجيل القديم من مضادات الاكتئاب.  
مثل مضادات الاكتئاب ثلاثية الحلقات  
وماغاسر MAOIs (مضادات أكسدة المركبات  
الأمينية). ولا يمكننا أن ننكر أن الجيل الجديد  
يؤدي أحياناً إلى تقليل الطاقة الجنسية، بل  
والعجز الجنسي شيئاً بعد الرجال، لكن هذا  
بالإضافة إلى مشاكل استنزاف القدرة على  
الاحساس بالمعابة. الاكتئاب السائد الآن  
٢٠ مليون شخص على مستوى العالم  
يرسلون عغار بروك. وتسمع تقارير حول  
عصر حديد من علم العقاقير النفسي  
الشمعي. الذي تستخدم من خلاله العقاقير  
ليس لعلاج الاكتئاب الاكينيكي فحسب  
بل لـ علاج القلقيات المزاجية الدوائية  
والقلق الوجودي، لذا وإدما كيركجارد  
ويدير.

مع ذلك هناك مشكلة في هذا التفسير  
الصالح. فإذا كان مصيباً أن مضادات  
الاكتئاب تعالج الاكتئاب (علاً، إن كيف يتشتر  
المرض الآن من أي وقت مضى؟ يؤكد بلوغ  
كتابا أن إيرينجير وفيليب بيدار، بالإضافة  
لفأب ثايت، نشر منذ سنوات قليلة من تأليف  
ريدير هيلي. الحقيقة الواضحة التي تقول أن  
الاكتئاب لا يمكن على الإطلاق علاج الاكتئاب  
متلماً أصبح منذ ظهور مضادات الاكتئاب. لقد  
كان الاكتئاب دائماً معاً، بالرغم من اتخاذ  
أسماء أخرى وتظهر أحياناً بشكل مختلف

كلما نعلم كيف يحدث الاكتئاب فعلى  
يوم من الأيام، وبدون سابق إنذار، تشعر على  
نحو غريب أنك متشوق بعمقاً عن الأشياء  
والناس. كما لو كان يهبطك عنهم حائط  
برحاض خلى يؤدي القاس أعمالهم ولكن  
لا سبب لا تلمهم لك بعد يستهويك أي شيء.  
مقدور الصراخ ولكن ما المدي؟ فانت لا  
تستحق ذلك، ومدرات الأخرى بالدودة تبدو  
لـ كأنها ثابتة لك ما يسره. يمرور الأيام  
يصبح الجدار لك سقفاً، ويرعان ما تصبح  
عاجزاً عن مفارقة منزلك أو حجرة نومك أو  
سريرك. الشيء الوحيد الذي يتبقى لك هو ألم  
أوجود ذاته، ثم بعد بمقدورك أن تشارك أو  
تستخدم أو تشارك. فانت مؤثر ومجهد في نفس  
الوقت. وتواصل التفكير في المهمات. وفي قد  
الموسى إلى سيمس لك بطلع الإرق الرهيب  
لـلـ قرأتا جميعاً مثل هذه القصص هي  
السير الذاتية أو في المقالات القصيرة  
المصممة لهذا المرض العرير بالصحف. ربما  
يكون الشخص المختب أحد الأربانت أو جارا أو  
رسماً لـ. ربما تدنو قصته فتمتد بلال أن  
الاكتئاب يهاجم امرأة من كل خلس نشارة  
ورجاء (واحدة من كل عشرة، ويقدر انتشاره  
بين سكان العالم في أي لحظة محددة بنسبة  
كلثة في المائة) ويقدم واحد من كل ستة  
تلك على الاكتئاب.



على الرغم من ذلك ونحن الحظ نطالعنا  
الاخبار من كل حذب وصوب بأن مرضي  
الاكتئاب لم يعد قادراً محضاً. فالخافير  
المصادة للاكتئاب يتم تناولها بعد مقصص  
خمسنيات القرن العشرين، والجيل الجديد  
مهي. مضطات إعادة امتصاص السيروتونين  
الاشارة SSRIs (التي تسمى المحيزرات لـتحت  
نامر عقاقير بروك أو زوروات و باكسيل  
سند الأشخاص الذين أصبحت حياتهم عيشاً

La Fatigue d'être soi: Depression et Societe

(بعد النفس، الاكتئاب، والحشع)  
Alain Ehrenberg  
Odile Jacob, 414P L8 35

Comment La Depression est Devenue  
Une Epidemie

(كيف أصبح الاكتئاب وباء)  
Philippe Pignarre  
Decouverte, 2001 ٢22P, \$ 14 48

نيريت حاص مع  
رحمة هسي حلي حسي

London Review of Books

وصفها بنظر ٥٨



من الخطأ الاعتقاد بأن دور شركات  
العقلية حقيقة راسخة وأن دور مرضى الدواء  
هو المتور على الفتاح لللائم تقلل مجدد سلماً...  
في الوقت الحاضر نحن في حالة تستطيع فيها الشركات  
ليس فقط السعي للمشور على الفتاح لللائم  
للتقل فحسب ولكن تضديد شكل الفتاح الذي  
لا يد أن يلائمه الفتاح



# الاكتئاب

## وبلاء العصر

ميكل بورخ- جاكويسن



والصداع المصلي، والاضطراب العقلي الذي يعقب الصدمات النفسية، وإدمان الكحوليات، وإدمان التبغ والهيروين، والإسك، وسقوط الشعر، وقرط الحماسية لنزلات البرد، وتحت تأثير مضادات الاكتئاب زال الفرق بين اضطرابات الأذهان واضطرابات العصبان! وبالنظر زال الجبال المهني المميز للمحليين النفسيين، حيث اختفى الفرق بين الطب النفسي والطب العام، فأصبح كل شيء اكتئاباً، لأن كل حالة تستجيب لمضادات الاكتئاب، ذلك البنفسج الجديد الشافى لكل الأدواء.

وهذا بالطبع تفسير آخر أكثر سخافة ونقصاً ينتشر هذا التشخيص انتشاراً لا نهاية له فيما يبدو؛ وهو أنه يحلّق أرباعاً لصناعة الأدوية، المؤرذ المظلم لمعالجات مضادات الاكتئاب الجديدة، فلم يعض وقت طويل على ذلك الزمن عندما كان الطبيب النفسي مضطراً أن يلقن زملاؤه ومرضاه بطريقة تدريجية، بالاستئذان بالعديد من التقارير الطبية ولقد كبير من التشجيع والملاطفة، إذا أراد أن يروج لنوع جديد من التشخيص أو العلاج، أما الآن فالمضطرابات النفسية وأدويتها الثلاثة يتم تعيبتها وبيعها معاً من قبل شركات الأدوية التي لا تالو جهوداً لضمان ربحية استثماراتها في الأبحاث، والسؤال الذي يطرح نفسه: ألم تكن هناك سوق لمضادات الاكتئاب في عام 1956 لا تصب بالاجابة، لصناعة الأدوية كانت قادرة على خلق سوق لها من أضيء، ففي بداية الستينيات من القرن العشرين، كانت شركة ميرك تسمى لترويج خواص عقار امينوبرينيل المضاد للاكتئاب، فاشترت ٥٠٠٠ نسخة من كتاب اسمه التعرف على المريض المكتئب من خليف الطبيب النفسي فرانك آيد، وزعتها بسخاء على أطباء النفس والأطباء الآخرين في أنحاء العالم، وكانت فرضية آيد أن الاكتئاب، رغم حصره في سماتشيفيات الأمراض العقلية، يمكن تشخيصه بنفس القادة في السماتشيفيات العامة وعبادات الممارسين العاميين بالذاتين العصبي، وكما يصف هيلي الأمان فإن "ميرك لم تبع عقار الامينوبرينيل فقط وإنما باعت فكرة بيعها".

ومثل ذلك الوقت تبه العديد من المصحات الخفنة بالمصحة العامة أطباء الممارسة العامة والجمعية بضرورة التعرف على علامات الاكتئاب وإجريت الأبحاث حول اضطراب الاكتئاب الاجتماعي والاقتصادية، وظهرت وسائل خاصة حول الموضوع في الجلات، ووجدت إعلانات التلفزيون بلا

الشفاء ( يتضاعف المعدل مع النساء اللاتي يبرزن بفترة اكتئاب غير متكررة)، ورغم ذلك، لأحد يدوم الدراسات الخاصة بدور العوامل غير المحددة في علاج الاكتئاب لعدم وجود سوق لبيع الجلاسيكو، فشركت الأدوية تستطيع ادعاء التفوق على منافسيها في حالة إصابات صفة قوية و، مسعدة بين متنها وبين هذا أو ذاك العرض الاكتئابى - ومن لم يعاد تعريف الاكتئاب باستمرار كلما انطلق في السوق عقار جديد لتو الأخر يخص هيلي الموقف بدقة فلاناً: إذا أخذنا في الاعتبار التعديلات المتعددة في علم تصنيف أمراض الطب النفسي خلال الثلاثين عاماً الماضية، يوضح أن من الخطا الاعتقاد بأن للأمراض العقلية حقيقة واحدة وان دور شركة الدواء هو العثور على المفتاح المناسب لكل مدد سلفاً... في الوقت الحاضر نحن في حالة تستطيع فيها الشركات ليس فقط السعي للعثور على المفتاح المناسب لكل فحسب ولكن تحديد شكل العقاقير الذي تريد يلائمه المفتاح.

مع ذلك لا يشرح منطق الرأسمالية كل شيء، حلاً لما كانت القليلة للاكتئاب بهذه الطريقة بدلاً من أي مرض آخر؟ كان يوسع صناعة الأدوية أن تروج بفرض الانطواء للقلق كما فعلت أثناء الستينيات من القرن العشرين مع "المهدئات" (سركيات بنزوديازيبان المهذلة) مثل ليبريم والليوم، لذا من المغري البحث في مكان آخر عن تفسير لازيماد الجدل للاكتئاب في سوق اضطرابات الطب النفسي، إذا كانت أعداد الاكتئاب تتزايد باستمرار، الا يمكن أن يرجع ذلك إلى أننا نخشى في مجتمع يهبط على الاكتئاب باستمرار؟ كثيراً ما يذهب المعلقون ذوو الميول اليسارية إلى أن صناعة ادواء أضفت صلبة طبية مبالغاً فيها على المؤسسات الاجتماعية الحقيقية الناتجة عن ضغط الحياة الحديثة، وفقدان محددات الهوية، وغزلة الفرد والبطالة إلى آخره. هذا التحليل ليس بجديد: ففي نهاية القرن التاسع عشر كان جورج ميلر يربط بالفعل بين التفوق العصبي (الإنهيات العصبية) والإجهاد العصبي، الناتج عن ضغوط الحياة في المدن الصناعية الكبرى هي أنه لا يفسر أي شيء، حتى مع افتراض أن المجتمع أصبح أكثر سطوة عما كان عليه في الماضي عندما لم يكن لتأمين الضمى وإعانات البطالة وجود بعد، فلماذا يؤدي ذلك إلى الاكتئاب بدلاً من القلق أو الإجهاد أو "التأهب العصبي" أو الغضب العادى فقط؟

المؤثر أو لهذه الدراسة القصصة يعلم الأدوية بالأخص. لأعجب أن هذه النظريات الوحيدة التي صمدت بعد زمن العملية الداروينية في الانتقاء هي تلك التي تخد مصالح الصناعة، فحين تعلم على سبيل المثال أن حوالي الثلث تقريباً من كل مرضى الاكتئاب يستجيبون بصورة إيجابية مهما كانت حدة اكتئابهم للمضاد (السواء غير الفعالة المستخدمة بدلاً من الدواء مجرد إرضاء المرضى الذين يظن أنه بحاجة لدواء ولتعزيز توقعاته في

تحفظ أنما أجدت مضادات الاكتئاب... كل هذه الأنظمة مولتها صناعة الأدوية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فلم تنم رغبة الأطباء أو زعماء الرأي العام أو الصحفيين: لأحد تردد أحدث مجزئات العلم بدءاً من الباحثين أنفسهم، وكان من قبيل المصطفة للحضة أن تتفق أموال الصناعة على إجراء الأبحاث العلمية حول هذا الجزء وليس أي جزء آخر، أو حول هذا الاختيار الإيكولوجي بدلاً من غيره، أو تخصص لهذا القسم النفسي أو لهذا

## كتاب الزاوية



### الدولة والعصبة

إذا استقرت الدولة وتمهدت قد تستغن عن العصبة والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها إلا بقوة قوية من القلب للغربة وأن الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه. فإذا استقرت الرئاسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحداً بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولية واستحكمت لأهل ذلك النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم، وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الإيمانية فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم إلى كبير عصابة، بل كأن طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافه. ولأمر ما يوضع الكلام في الإمامة آخر الكلام على العقائد الإيمانية كأنه من جملة عقودها. ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة: إما بالوالي والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبة وغيرها وإما بالمصاب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها.

ومثل هذا وقع لبنى العباس. فإن عصبة العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالوالي من العجم والتشرك والديلم والسلجوقية وغيرهم. ثم تغلب العجم والأولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة، فلم تكن تعدو أعمال بغداد حتى زحف إليها الديلم وملكوها وصار الخلفاء في حكمهم. ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم. ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التار فقتلوا الخليفة ومحووا رسم الدولة.



### الكتئاب وبقاء العصر

يحاول عالم الاجتماع ألن إيرفينج الابية عن هذا السؤال في كتابه نفس. فينتج بالتفصيل تاريخ الاكتئاب منذ خمسينيات القرن العشرين (بالأخص في فرنسا). لكي يوضح كيف تم التحول عن تعريف الاكتئاب من منظور الإغماء النفسي وأصبح ينظر إليه أكثر فاعل على أنه مرض سلوكي. فـ «الكتئاب» الجديد يفقد الطاقة وغير قادر على «الإنجاز» ومغوق في عمله وعلاقاته بالآخرين. ويشير الأطباء النفسيون إلى أنه يعاني من إعاقة نفسية حرجية. وكما لو كان من قبيل المصادة، يظهر هذا المرض الجديد في مجتمع بقدر السلوكية والمبادرة الفردية تقديراً لا يندبشي شيء. ومعلما كانت أشكال العصاب الفردي تعبيراً عن مرض ذات نصف بالكف والصراع الماخلي. كذلك الاكتئاب المعاصر «هو انعكاس للفرد المتسلط، التفتيش للإنسان الذي يعتقد أنه هو الذي يصنع حياته». وبهذا المعنى، فالعصر المعاصر ليس هو للشير أو المسجب المبشر للاكتئاب، بلخبط إيرفينج إلى أن الاكتئاب هو بالأحرى «التفكير السلبى للذاتية التي صنعها هذا المجتمع وقدرها بشدة».

وبمعنى آخر «تجده» مضادات الاكتئاب المتخمين، وهي تنجح في ذلك بسبب فاعليتها. فكل مضاد جديد يجب أن يخضع أولاً لاختبارات تحت المراقبة بغرض إثبات أنه أكثر فاعلية من العقاقير المنافسة ومن أدوية المباسينيو. ولإحتياز هذه الإضرابات يجب على الدواء المخرج أن يخلص نتائج الفحص من نتائج العقاقير المسابقة على مجموعة من المرضى الذين تم اختيارهم لأنهم يعانون عراضاً مرضياً من المرجح أن يستجيب للدواء. وكما يوضح بيتر، في هذه المرحلة المبكرة يتم تجنيد المرضى، لكل جزء جديد يثبت فاعليته يلقى مجموعة جديدة من المرضى، الذين يتم تصديدهم من خلال الأثار التي يحدثها: هناك مكتوبون بجاذب الاستشارة أو مكتوبون بحاجة للتهمة أو مكتوبون قلقون أو عواثون إلى آخره. تم تشتت التجديدات المرضية الجديدة في المجتمع بينما يظل القنر إلى الأسواق ويوجد أعداداً متزايدة من «الزيائن».

تكن قوة حجة بيتر في أنها لا تضل الوباء قط إلى مسجر، وهم أو إلى تأثير التسويق أو إلى انعكاس إيديولوجي باهت للتحولات الاجتماعية. فلم يتم دفاع أحد.

## كتاب الزاوية



### عمر الدولة

اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة وهي سنة القمر الكبرى عند المجمين . ويختلف العمر في كل جيل بحسب القراتان فيزيد عن هذا وينقص منه ، فتكون أعمار بعض أهل القراتان مائة تأمة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القراتان عند الناظرين فيها . وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث .

ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغربية من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود .

وأما أعمار الدول أيضاً وإن كانت تختلف بحسب القراتان إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال . والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط ، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته . قال تعالى : «حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة» . على اعتبار الأربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد .

ولما قلنا أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال : لأن الجيل الأول لم يزلوا على خلق البداة وخشونتها وترحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد ، فلا تزال بذلك سورة العصبية محظوة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون .

والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والتخصب .

النفسى البيولوجى هو الذى يعالج الطب النفسى المختلفة ، الديناميكي وأنواع العلاج النفسى المختلفة ، التى تعتمد أيضاً فى النهاية على الآثار (التفسيرات) التى تلحق بها فى المرضى . الاختلاف الوحيد هو أن بلافة «البيولوجيا العصرية» لا تشاهى فى طريقها فى الإضعاف كيف يستطيع المرء بآى حال أن يترن عن مضادات الاكتئاب تحدث بالفعل المرء ، ولا سيما إذا ووجه يتم التجارب العشوائية التى تحجب فيها هوية المشاركين حرصاً على الموضوعية وعدم التحيز .

ومع ذلك يبقى السؤال : ما الذى تترك فيه المضادات آثاراً من الخطأ القول أن مضادات الاكتئاب تؤثر على الاكتئاب ، كما لو كان المرء قد وجد مستقلاً عن مضادات الاكتئاب ! فالإكتئاب ما هو إلا «الشىء» الذى يؤثر فيه مضادات الاكتئاب ، وإكتئاب الكثير منا ليس مرجعه أن الاكتئاب يتشترط وأن لا نه تم إقناعنا أن «الاكتئاب» موجود و يمكن علاجه . هذا ما يسميه بيتر كليفان «الخطأ» : «أنا أضرر بالاكتئاب» . «أريد أن أشرح بختس» . سوف أحصل على وصفة طبية بمضادات الاكتئاب . المقصود هو أننى لم أكن لأشعر «بالاكتئاب» ، لو ألقى بوجود عقاير لعلاجه . وهذا لا يعنى عدم وجود الحساسية والتعب والقلق . لكنهم ما كانوا ليتقبلوا فى صورة «الاكتئاب» ما لم تربط مضادات الاكتئاب هذه الأعراض الاكتئابية بعضها إلى بعض . ومع ذلك ، هناك من الأساليب ما يجعلنا نعتقد أن البشر الذين كانوا فى زمن آخر يشعرون بالقلق ، أو لديهم أعراض سيكوسوماتية (اضطرابات جسدية ناتجة من أسباب عقلية أو عاطفية) ، يصنفون الآن باعتبارهم «مكتسبين» لأن الاكتئاب هو المرض الذى تحرك معرفة جيدة كيفية علاجه . وهذا هو نفس الحال بالاضبط فى الطب النفسى الديناميكي ، فالطبيب المرتبط بالأعراض يتلقى التفسيرات المرتبطة بعرضه الأدوية وفقاً لقانون العرض والطالب ، وعلى المرضى أن يكيفوا مشكلاتهم مع الطريقة التى يتوقعون أن يتم علاجهم بها .

ليس الهدف هنا هو الزعم بأن الاكتئاب الحديث أسطورة ، أو وهم تحتاج فقط أن نهدد لكي نبرأ منه ، إن مساحة المكتسبين الحقيقية بالفعل ، لكن هذه الحقيقة ليست متواسجة مع جيناتهم أو مواصلاتهم العصبية . وهذا يعنى أن الاكتئاب ليس قتراً محتوماً فتغيير الدواء والعلاج سوف يضر عن مرض جديد .

حتى ما اعتراض أن المجتمع

أصبح أكثر قسوة عما كان عليه

فى الماضى عندما لم يكن للتأمين

الصحي وإعانات البطالة وجود بعد ، فلماذا يؤذى ذلك

إلى الاكتئاب بدلا من القلق

أو الإجهاد أو ، الانهيار العصبى ،

أو القضب العادى فقط؟

هل يعنى هذا أن الطب النفسى البيولوجى قد وجد أخيراً سبب الاكتئاب لأنه يعرف كيف يعالجه؟ هذا هو ما ترغب إعلانات الصناعات الدوائية فى أن تصده ، لكن الباحثين أنفسهم أكثر دراية بالحقيقة ، ليس لأن المادة (ص) تمسك تأثيراً على العرض (ص) يمكننا أن نستنتج أن هذه المادة تؤثر بشكل محدد على سبب العرض (ص) . فلا أحد يستطيع القول مثلاً أن الأسبرين يمدد مفاهم للأطونزا تحت دعوى أنه يريح أعراض الالتهونزا أو أن اللويسكى «مسك للاكتئاب» لأنه يرفع مخونيات . إضافة علاقة سببية بين المرض والدواء لابد من تجاوز الارتباط البسيط بينهما وعزل سبب ضرورى وكاف ، كما هو الحال مع الأمراض المعدية . لا يوجد دليل فى الطب النفسى يسمح لنا بأن ندعى أننا وصلنا لنقطة القطعة . ويحرص ميلى واهرنسجر ويبنار على الإصرار على أن كل الجهود المبذولة حتى الآن لم تربط أحد الحداثات البيولوجية بعرض اكتئابى ما يأتى بالفعل . مضادات الاكتئاب ثلاثية الجزيئات على سبيل المثال لديها نظرياً نفس التأثيرية الكيميائية لمضادات الأمان ، وتستخدم بعض من مضادات الأمان بعشرات مضخفة كضادات للاكتئاب ، الأمر الذى يبرهن أن أنه لا تستطيع إقامة رابطاً بين جزئى بعينه ومشفنة نفسية معينة . يقول ميلى أن «مضادات الأمان ومضادات الاكتئاب ليست متحدة من حيث أنها لا تقتض بعرض معين وكذلك فهي ليست متحدة من حيث أنها تعمل بغض النظر عن المحيط الذى توجه إليه» .



لا تتبع قوة الطب النفسى البيولوجى الجديد من اكتشاف الأسباب العضوية ولكن من التجارب التى تعتمد على مبدأ الضبط باستخدام الأدوية غير الفعالة (البلاسيبو) حيث تقاس آثار الجزيئات وتقران بعينها . ولا تقتض هذه التجارب عن كيفية عمل الدواء ، ولكن فقط عما إذا كان يحدث آثاراً وما الذى يؤثر على أحسن وجه وعلى من يؤثر . أن الطب النفسى البيولوجى هو صورة من صور علم البذلة : فهو يعرف كيف تبحث التاثيرات دون معرفة كيفية معالجة الأسباب . ويقترح بيبنار تسميته «البيولوجيا العصبية» للتصريحاً عن البيولوجيا الكبرى التى تحكمها ، فى نهاية المطاف ، لاشىء يعين البشر

٣. يحتفظ متابعو الرواية العربية المعاصرة بمكانة خاصة للثلاثية الروائية الفلسطينية سحر خليفة: «الصبان»، ١٩٧٨ / عبيد الشمس. ١٩٨٠. وهي تشغل هذه المكانة لا في إبداع صاحبيتها وحده، بل في مجمل الرواية المعاصرة، فقد استطاعت أن تحقق إنجازات فنية وفنية مهمة، لعل أهمها أنها قدمت لوحة بانورامية هائلة للحياة في كبرى مدن الضفة الغربية (نابلس) في ظل الاحتلال الإسرائيلي، جسروها الأول يبدأ بعده بخمس سنوات (١٩٧٢)، والثاني بعد الأول بست سنوات أخرى، أو أن أحداثه تدور في ١٩٧٨ / ١٩٧٩. وعلى نحو من الانحسار يمكن القول إن هذه الجدارية الهائلة التي صمدتها للحياة اليومية في مدن الضفة وقراها هي ما جعل الانتفاضة التي شلت جسد فلسطين كله في ١٩٨٧:

أرض الاحتلال الجديد في ١٩٦٧، والقديم في ١٩٤٨، أمراً طبيعياً يتج في سياقه الموضوعي والإنساني، مثل طفل يخرج للحياة مكتمل الجسم موفور البدن، من خلال شخصيات توفرت لها شروط الحياة وأسباب الإقناع، إضافة لشاهد ولوحات نابضة من أسواق المدينة (نابلس): الحروس التي كانت؛ وطرقاتها وبيوتها ومفاهيمها، ومعرفة بشروط الحياة عند تلك الطبقات المرمية أسفل السلم الاجتماعي. من ناحية ثانية طرحت سحر في روايتها العلاقة القائمة بين المواطنين العرب والفكر الإسرائيلي، ووقت - بوجه خاص - عند قضية كانت مطروحة هناك آنذاك، أعني العلاقة القائمة بين المثقفين التقدميين من العرب واليهود، وحدثت على نحو ذي رمزي وبال - الذي لا يمكن لهذه العلاقة أن تتجاوز، والبيقية

التي يتعين على العرب أن يقطعوها وحدهم إلى قلب الناس واللب: القضية قضيتهم والهوية هويتهم. من ناحية ثالثة ألبيت رواية سحر - بين ما ألبيت - قدرة الألب الصباقي، لا على رصد الواقع وتسجيله فقط، بل على استقراره والتنبؤ بمسار الأحداث فيه أيضاً. الدليل الذي لا ينقض هو أن المشهد الأخير الذي تنتهي به «عبد الشمس» أصبح - قبل انقضاء عشر سنوات - حياة كل يوم في أرض الاحتلال القديم والجديد خلال الانتفاضة الأولى.



على أن هذه الثلاثية لم تكن أول أعمال سحر خليفة، سبقتها رواية صدرت في القاهرة في ١٩٧٤. «دم سعد جوارى

لكم، لم تثر اهتماماً كبيراً، كانت تنوعاً على حين أسرفت في عزفه الفلسطينية ليلي بعلبيكي والسورية كسوليت خوري والمصرية ثوال السعدوي، على تفاوت بينهم في إبداع العزف، اعني المصاحفة المتجربة بالرجل والحرب الدائرة معه، وتدور رواية سحر بين قصة - من «المثقفين» يبدون مصارعين داخل مدينة «رام الله» الصغيرة من جانب، وهموم الفاصلة من الجانب الآخر، عدد من الرجال والنساء، كل في طراد وراء الآخر، تقبلان وجوههم لكن لوجه الغالب عليهم جميعاً هو الفشل والإحباط في علاقاتهم بالجنس الآخر، لأنهم - ببساطة - نماذج بالغة الشؤم، كانت في الرواية وجوه ضعف عديدة: احتشاش الصلحاح بالثلاثيات والشررات، والإسهاب في الوصف والسرور دون ضرورة، والعودة -

## صورة الحياة الفلسطينية بين انتفاضتين . . .

المرّة بعد المرّة - إلى مناقشة القضايا ذاتها: الحب والفن، العلاقة بين الحب وممارسة الجنس، العلاقة بين الأخلاقيات والمستوى الاجتماعي، إلخ، ثم احتشاش الصفحات الأخيرة بالأحداث والمفاجآت.

وبعد الثنائية رجعت سحر لموضوعها الأثير وهي أكثر حرية والصبح تغييراً، في «مذكرات امرأة غير العقيمة»، ١٩٨٦. تصحبنا لنظر على الواقع النفسي للمرأة التي اختارتها «دمودجا»، وقد سكت أبس السبل وأكثرها تعاقباً للهدف: المذكرات الشخصية التي تنطلق مرة من الواقع المعيش، ومرة من ذكريات الطفولة والصبا، هكذا نعرف كيف تكونت «عفاف» بنت مفتش التعليم بين مدينتيها الفلسطينية الصغيرة والقدس سنوات الأربعينيات الأولى، وفي الأعماق نذكر تعود لها أكثر من مرة، نذكر الاحتلال «بالولد» الذي انقذت السماء عن عضوه، على هذا الفارق التشريحي الخالص تترتب نتيجة، يظل الجنس «المحروم من هذا العضو» يحملها كاصليب - على دروب النضج: «الولد صبح، والبيت غلط» ومن ثم نخضع عفاف - مثل بنات جيلها وبلدها - لسيطرة الرجل / الأب / الأخ / الزوج، وسيطرة مفاهيمه ورؤاه لما يجب وما لا يجب، فنخلق فيها البراءة والعفوية والانطلاق وجس الفهم، حتى

سحر خليفة: «المبرات».

دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.

سحر خليفة: «صورة وابولونه وعهد قديم».

دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.

## سحر خليفة



تنتحلل... في نظر نفسها قبل الآخرين -  
 حمرية دون حمرية، هكذا، تنزع غلاف  
 دون رأى أو رغبة، وتجهض لأنها لا تريد ما  
 يربطها بهذا الرجل إلى الأبد، وتعقد بعد  
 إجهاضها، ثم تأتي مع زوجها لهذه المدينة  
 الصحراوية البعيدة، حيث لا لاهل ولا  
 اصحاب أو معارف، وتبديل زوجها  
 الزاوية والدعاء، فيما هي معرلة لا تنتهي  
 وتختصر عليها في الطغيان والحب  
 ومناجاة قلبها واسترجاع حياتها كما  
 تدونها في هذه الذكريات، وتضن عفاف  
 بالحين إلى أمها ولدها، وهما عندها  
 الشبي ذاة، فتعقد صفة مع زوجها، و  
 يذهب، وحده، إلى أوروبا، وتعود هي إلى  
 بلدها، وفي عودها هذه لا تلتقي بأبها  
 فقط، بل بحبيب صبايا كذلك، ويشغل  
 وجهه القديم... بعد تلك اللحظة لم تفرق  
 بين يدى... (..) وبين أيدي بيدى وفيت يديه  
 أحسست أنها أخذ واعطى ما استحق  
 إلى الدنيا منذ الأزل، فقد كان لي وقت  
 له... إلى أن هذا لم يده طويلاً، وجاءت  
 النهاية؛ بعد أن أعطت عفاف كل شيء  
 اكتشفت. كأنها فجأة - أنه رجل، وأنه  
 مثل كل الرجال - أبداً لم في حياتين  
 واحدة زوجية وأخرى عاطفية، واحدة  
 غنية وأخرى سوية. فكان تحيط بالحب  
 وتكتمل مجانية صبايا، أي كان أو أخوا  
 زوجها أو حبيبها، فوريا كان أو متولداً، همهم  
 بالمسرة منفسون متزوجين، بين الفكر  
 والمبارسة مع منفسون، بين الوعي  
 والواقع مع منفسون، بين أخلاقيته  
 ومنطقه لتقيم مع منفسون، وإفراة  
 موضوع الانقسام وخصيته في آن، كل  
 بقدرها غير علة، ويطلب منها أن تطلب  
 فيما هي في قلبه، مع العجز الحبيب لطلب  
 منها أن ترى في عجزه قوة، وفي إبطه  
 إنجازاً وتحققاً.

نرجسي إية ملاحظات حول هذا  
 السراج بين "تحرير المرأة" وتحرير  
 فلسطين، وهما القطبان اللذان يؤطران  
 عمل سحر خليفة ومشروعها الروائي كله،  
 لننظر إلى عمها الروائي "باب الساحة"،  
 ١٩٩٠: "بنت تلبس للحب، وصاحبها  
 ورايتها، تقدم لغاريتها وجهاً جديداً من  
 وجوده ميتتها القديمة، وجه نائس التي  
 تعيش الانقراض الطار  
 النوم، يد الخوف يتسلط كالواقي  
 التبريد، والتهديت الجبال والكروم  
 والأودية...")

انطبقت النكتة الحبرية المسماة باب  
 الساحة إلى مسخ يعلق فيه العملة على  
 الكلابات مثل الحب، وسعوها الساحة  
 الصمراء، هذا الوجه الدامي من وجوده  
 الساحة يتدخل في صميم الرواية، بل يكان  
 أن يكون قوامها، في ذلك "بيت المشو" الذي  
 ألهمت صاحبته بالفجر والعملة  
 فخر الشباب خذراً في قلبها وطرحوا  
 جذتها في الساحة. تدور معظم الأحداث،  
 وبينها تلك الغميمة على عهدا، كما  
 تكون الشخصية الرئيسية فيها، كان يكتا

## ساروق عبد القادر

تجنبته الجميع، لا يكون على نزهة تحية  
 الصباح ولا يرون من تحتها، لكن الذي حدث  
 جعل البيت محطاً ومرزاً وبرزاً للفعل:  
 إليه لجأ "حسام" جريئاً بعد الاستياء،  
 وإليه جاءت "سمر" التي تعد بجداً  
 اجتماعياً عن التغيرات التي طرأت على  
 المرأة بعد الانتفاضة، وإلى البيت المشو  
 أيضاً جاءت سمر زكية؛ أم الشباب،  
 عمة حسام وراعيته، وواحدة من أكثر  
 اجتماعياً في الرواية العربية صديقا  
 وأصالة، جعلت لها الرواية وثيقة  
 الصلة بالحياة، فهي التي تخرج أطفال  
 الحي إلى نزهة، لكنها حين يجد الجد  
 وتشتعل الأرض، تنقلب أدواتها البسيطة  
 أدوات جراحة، فخطفتها وتجنر ذات  
 وتستخرج رصاصة وتحرقة... حول  
 تلك المشغور الرئيسية القليلة تترك سحر  
 أحداث روايتها، وهي قليلة كذلك، لكن  
 السياق الذي يشمل الأشخاص وحرك  
 الأحداث هو تفجير الانتفاضة، والحياة  
 اليومية في تلكا، إن انشد الأخير الذي  
 تنتهي إليه فنتيجة (المسار) عباد  
 الشمس أصبح حياة كل يوم في "باب  
 الساحة". ثم تفتقر الانتفاضة لم يعد  
 شيء أو شخص في حاله، وعرف كل  
 دوره الذي يجب أن يؤديه: الشباب لهم  
 الدور الأول، والفقيان دور، ولشباب دور،  
 وللأطفال دور، وكل يؤدي دوره دون تكل.  
 ومن جاء مع ذلك تتطور الأساليب الموجبة  
 وتضاعف، لكن لا تتطور الأساليب السلبية  
 لأنها التي يجب أن يدفع كاملاً غير  
 منقوص: شهداء وجرحي ومسونون  
 ومهانو بيوتهم ومهموم ومحال مفلة  
 وملاحظات ومعاريات وشباب تركوا  
 أعمالهم أو تخلوا عن طموحاتهم لينفوسوا  
 في تلك الحركة التي شملت كل جسد  
 فلسطين ودامت سنوات.

والمرأة في قلب باب الساحة، المرأة في  
 قلب أعمال سحر خليفة، ولكن: إية امرأة  
 هي التي تتطلعنا بها الآن؟ الشخصيات  
 السامية في الرواية: نزهة ونزكية وسمر،  
 هي التي تحظى بالدر الأكبر من الاهتمام  
 والتفصيل. كلهن واقعات تحت هر الرجل،  
 بشكل أو آخر، بدرجة أو أخرى، وتكتفي بما  
 حدث مع سمر فهو دليل ناصع، جاء مع  
 التحول وهي في بيت نزهة. ولم تستطع  
 التوصل إليها (بعد أيام، وهي تعرف ما  
 يترصدنا من عقال على أيدي إخوانها  
 القاساة الساعرين بالكرة ونورها، وتلك:  
 الواقع يتغير والانتفاضة تلتفت عنا  
 الغيبيل وهزت الأرض بلا إنذار... لا

المظاهرات، وفوجيء الإخوة بالمظاهرات  
 تأتي للساحة في قعر الدار... "لا لخرج  
 البيت... وجاءت البهيدة إلى بيت  
 غرف النوم، واشتكت السوء بالأيدي،  
 وصمت وتبدان الشتم والتعنن بالجد  
 ومن في مجلس النوم والشمع المنوش،  
 وبعد بلندا ما لنا بين أيام نهدية كايكود.  
 يولد لده في اللوة مائة مرة ويموت النواص  
 كن، كذا الوعي النواص  
 والحس المنوي لا يكون ذو إحساسها  
 بالهامة حين تتسلط ضربات الأخ الأكبر  
 على كل مكان من جسدها حتى تركها  
 حطاماً... ووظفنا أختها فاجت فاجت  
 بالوت، ولا لا الاحتلال ولا الجيش ولا  
 غارات الأرض التي على مسبقها أكثر ما  
 سكت... إنما هي في المشهد تبلغ حجية  
 سحر خليفة لمرجل فعلها، التي الصيغة  
 الجيدة "الرجل للملح لا تنجو منها. نعم،  
 هي مجانبية للرجل: الصاضر والغلب،  
 المتامل والمتغنى، الشاب والشيع، الأب  
 والأخ والزوج، وفي هذه المجانبية يشغل  
 "السباسب" أو "المناضل، مكانة الذي  
 يليق به، ولما حكاية يفتقد من المتامل  
 الذي يتخطى عن رفاقته في النضال،  
 ويتزوج من سواها، ويطلع ما بينه وبينها،  
 أو يبعثها عشقة في أفضل الأحوال."  
 هنا تأتي: تشغل سمر مقعداً بين  
 المعشين، وقد أعامت صياغة السؤال:  
 تحرير المرأة أم تحرير فلسطين، ليصبح:  
 سؤال التحلل أم تحرير الرجال؟ (أن شاء  
 ١٩٩٠، وكذلك: نائس في ظل  
 التكتسابضة في "من أوراق البرفس  
 والقبول، والقاهرة، ١٩٩٢).

ومازالت السيدة سحر تتابع مشروعها  
 الروائي، فاتحة الباب نافذة على مثل منها  
 على الواقع الفلسطيني في ظل قيام  
 "السلطة الوطنية" بعد انسول. وفي هذا  
 السياق قدمت "المبررات" في ١٩٩٧، ثم  
 "صورة وقوتة وعهد قديم" في ٢٠٠٢،  
 وهما موضوع هذا الحديث.

ومن الواضح أن الرواية لا تعني هذا  
 "المبررات" التي استمدت من "الوطن" أو  
 "نزهة" من حيث تقيم وتعمل في واشغل  
 إلى "وادي الريحان" في القرية، فمن  
 نائس لتحت حبها فيه قدر ما تعني  
 "المبررات" الفلسطينية التي تراكم عبر  
 سنوات طويلة من الحياة والنضال، نزهة  
 نموذج فسة من لب فلسطيني نزع إلى  
 أمريكا وعاد بالعم الشبانعي  
 ظهره ويدور بين البيوت، واستطاع -  
 "بمفعولة شرق أوسطية، كما تقول - أن

يخرج في امتلاك بقالة في بركتين، وبين  
 تزوج من الأمريكية حصل على "البطاقة  
 الخضراء" وحصل على زينة، ثم كمن  
 الطلاق وحسن حيلت زينة وهي في  
 الخامسة عشرة هربت من أسها ولجأت  
 إلى جدتها لأبها، وعاشت معها كل تفاصيل  
 الحياة الأمريكية، وهي الآن في  
 الثلاثينيات، أستاذة جامعية وعالمة  
 ناجة في مجال علم "التنريولوجي"،  
 لكن تحس إحساساً راسخاً بأنها كائن  
 هجين نسلة عربية وليست أمريكية،  
 ليست مسلة وليست مسيحية، لذا رحت  
 بالرسالة التي جاءت من عم لها يقول لها  
 ما معناه "عجلى ليل أن يقطع الخطيب  
 ويسقط حلك في المبررات"، يعني مبررات  
 الأب الذي لم تره زينة مرة أخرى إلا هو  
 في النزح الأخير.

أعطت الرواية زينة رخصة شاملة،  
 فتحت نرى الأحداث والأشخاص من وجهة  
 نظرها وحسب روايتها، لكن هذه الرخصة  
 الشاملة تتيج لها أن تمارس امتياز الخلف  
 العلم بكل شيء، فكل الأحداث التي لم  
 تكن شاهدة عليها، وتكتف عن المبررات  
 والخواطر والأفكار والتشويق، وكان طبيعياً  
 أن تقيم في بيت عمها في وادي الريحان،  
 وأن تعرف أبناء عمها: سنان، الذي يبدو  
 الشخصية الرئيسة في الرواية، إلى الأثر  
 المزهوم... كان يلبثان وأشجر فيه نغم  
 صليح طير قديم، تتعالي في مسكو  
 وإميركا، وعاد بوساطة إلى الضفة...  
 وعملها مهندس يقيم ويعمل في ألمانيا  
 وتحت درس وتعليم، سيأتي إلى الضفة بعد  
 قيام السلطة الوطنية لينفذ مشروعاً  
 فيه وأعد له الدراسات اللازمة، بعد  
 يأتي "سعيد": الوحيد بين الأبناء الذي لم  
 يتم تعليمه، ويملك صنفاً لفظي، في  
 نائس وخمسئة أولاد، ثم "نهلة"، التي  
 قضت عمرها عملة في الكويت، ثم طرأت  
 مثل كل الناس بسبب السوء... في  
 الحسين لم تتزوج. إلى جانب هؤلاء  
 مفعنة، امرأة الأب التي ماتت عنها وأماها  
 "أميرة" وقرينها "مهد الهادي" بكه وهم  
 جميعاً يمتحنون لحالة مدمية عريفة  
 (كانت معها فنانين الأصغر، ويقيمون في  
 القدس) ومن خارج الأسرة، تستدرف  
 إلى "فيوليت" التي تملك محل كوافير،  
 وأما المحرقة المسماة باب  
 "المسار" التي انشرد من أقارب زوجة  
 العم، سيقدف له أن يلعب دوراً مهماً في  
 أحداث الرواية، سوف تتسلق به نوله:  
 هو الرجل الوحيد القاح وشعمة أثولتها  
 مهددة بالانطفاء، وتهرب لتتفقد فقوم  
 قديمة أبنائه العشرة، وتتفقد الأحداث  
 حين يحفظون نهلة، فتري وجهها آخر -  
 وجهاً - "سلفياً" لو صبح التعتيسير -  
 للندبة التي قدمت سحر كل  
 وجوها.

نفسه وتراه صاحبته وابوه، أما نحن فتراها مناسلاً سائبة، يتحاشى على العمل والزوجة والأبناء وموم والعم، يهرب من المعن إلى المطلق، من موم بلوك هزيمته، ولا يفكر شيئاً سوى «هلق حنك» فارغ؟  
كما كان، منذ طفولته، مجتهداً مقبلاً على العلم والدراسة، كان تلقاً «خير» من نفسه أخفته في الامتيا تقوى في عمله وعمله، ثم أعاده الحنين إلى وطنه، شيء في أعماقه كان يتنادى كي يعود، أعطاه الغرب كل شيء كخوادم منهم، لكنه لم يحس أبداً أنهم، كتب إلى أبيه «بابا دنياهم ما بترحم..» وهو يريد استعادة إحصاسه «يريد أن يعسا بين أناس لا يولون في مخبتين، يريد أن ياكل فاكهة من غير لجاج أو تطعيم، يريد أن يجلس بين الناس على الأرصفة أو في المقهى، ويأكل كفاية أو تورية..» يريد أن ينسى أنه عاش في الغربة مثل الصمام... غير أن تجربته بعد أن عاد كانت مريرة: رأى فيج الموقع وفساده وخلفه خطوه، رأى الخلق مشغوعه العمل على رأينا، واكتفى لاختلافه حتى سعى لتفحص سجل اختطافه، وفي العصر والمهانة من أبناء شريكه القديم، وكانت آية غريته وانفصاله لتمام عن الواقع اقتراحه لحل مشكلة نذلة من طريق سفرها إلى ألمانيا!



فصة أبناء أحرار يعيشان في الإمارات، أحدهما مهتدس والثاني محام، لا تهما ولا يريد ذكرهما إلا على نحو عرضي، لكننا نرى سعيداً «سلط العالمة» يفياته وسوقيته وامراته وأبنائه الخمسة، يعيش في نابلس، في منطقة اسمها «المخفية»، عاشت هناك نذلة يومين، أثناء حصار المدينة بعد عملية فائنية جريئة: «أطلقت المدينة وحوصرت، وفرض نظام من التجنول وبدأت حملات التفتيش المسبورة عن القاتل، لكن القاتل أخفى فجأة كما بدأ فجأة، لثقت الأرض وأبنته كما أبنته، فلم تجد السلطة مخرجاً إلا بإتباع أساليب نفسه الدما عاد يضيف أو يضيف أحداً، فالناس أعداوا التفتيش ومنع التجنول والإضراب وإغلاق الشوارع والدكاكين وتغلق الخزائن والفواكه وأسفلت المدينة والناحور والاضاح الجباري والباذعات وتهربو الأرصعة والأسفلت واكتشاف عظام البنايين واكتشاف عظام البشر...» داخل هذا الحصار صمات لآن في بيت سعيد، سعيد هذا هو الذي ساجول كل نذلة عرف نيا زواجها، رأت زينة المشهد فاعادها إلى ماضيتها الضائع، في أقدم أبوها بيت جدتها في الوطن، تعلقت بعليقتها بعد حملها وهو برها قبل أكثر من عشرين سنة، وتعلق زينة: «وان أحد ابناي اني ساعدو إلى

فنته وأبها وبينهما طفل الوليد، ماتت فنته بعد أن نذت مطلقاً، ثم «هم جديان على ما زن وسيرة الإسعاف وهما بصوربان السلاح ومصيصان: «ووفق»، ووفق، وضري أحدهما بخيشة الرشايش على رأسه المسقط، أطاق الطفل وإطلق سرخته، فخلعت أجدته إلى الجندو وإلى ابنتها، وضللت أجدته وصاح الجندو، وقال أحدهم وهو يصوب بوز الرشايش: «يقول ووفق...» قالت بهود: «حاضر.. حاضر»، ومدت يديها لهم بالطفل وهو يصرخ وقالت بهود: «راس مرفوع، بالإنجليزية: Thank You Very Much, This is Your Share» «كذا أن استر، الإسرائيليون بضاعتهم، ولم يقدروا أن يخلصوا. أن يكون حفيداً لعائلة «الشايبة» المقدسية العريقة. واستنتج من هذه النهاية ما تشاء!

إن اختيار الروائية لشخصياتها كان دقيقاً، هادفاً لرسم صورة الحياة على أرض فلسطينية بوجه عام، ونابلس وما حولها بوجه خاص. لدينا عائلات يمكن أن تعدا «متوحجين»، ولكن منها يصعب من «المبررات»، ننظر إليهما عن قرب: عائلة «المع «يوجابر»؛ ولأوله جيمعاً كانوا يواخرج وعادوا هو أعزهم غيابة ونظلاً.

أولهم ألاء: «الزوري المزموم، يقول عن نفسه وصحاته في حادثة سكر رويج: «عمري ضاع على حتى فاضي، وما يلي في غير حالة الروح...» (..). طيباً جيفارا سيد الكون لا تله الفداني التفتيز بجزام الموت، وأنا التي حاسطت رويج بكف والوطن بكف، ولعليت لا رويج ولا كف ولا لاسيت وطن، راحت الشبعة من أيدي وصرت الضمايح لي لسوق مسروق كله عذمة، من رويجناشاني أحسو إيران، ومن القاهرة حتى الطهران: أنا فنته، وتصلته صاحبته فبوليتي قلصت وصفه وتبلغ أعلاها: «هو من فن الشعب وهو سكران وهو صا، وهو محيط، هو من تكبر على الله وعلى الزينة، وفيه يتنخم هنا وهناك، هو من كبره وكبره وعلى كل امرأة مزيها (..) هي حلاقة وهو زوري، هي تحكي له ويسمعه وهو يحكي له كبري، لغة التحرير والقضية.. ويراه أبوه..» «دعنا ومعجب الناس من همومه..» «داير من دار دار ومن بيت لبيت وبين الإصباح والقهواي.. لما كان يحكي سبيلة قلنا: آمين.. طب ويهين؟ بعد السياسة ووجع الراس ايش نأوي يعمل فنته؟ لا عنده شغل ولا وظيفة ولا لارة ولا ولا..» «سيرة..» «أيش أخربتها؟» (..). شيمعنا أراسيداسة، وشيمعنا ناصر وجيفارا..» «يا ولدي قوم، يا ولدي ليقي، ايش بد تصير، ايش بدك تعمل بياني عمرة؟» (..). الأشياء واضحة وما يدهاشن واحد عيونته مفتوحة، لكن ما زن ليض ما يمشو فهاش؟»، هكذا يرى

كمال العودة لألمانيا والبقاء هناك، أما ما زن فقد رأى فيه صورة ما لا إليه الوضع، كما هاهو يتفلسف: «قامات القفورة والحنقا الناس، دخلوا المنقف والأزعر، دخلوا المنقف والفاشل، وقابت الناس إلى هذا، وقبل ذلك قادتهم هناك ومصيرهم، أخذت مصصرة كسح الحياة، خلقت جيلاً غير مؤهل، غير كسح، ينأى إلى الظفر ويسير إلى الصبح، يتواصل عبر الطيارات والمطارات، يعيش بحلم فقد بريته، لقد الأسطورة والآحلام وعاد إلى ما صار عليه وبات قبيحاً، بل قبلال، وشيخ القبيح هو المرجع، وحين غربلنا القبيحة خرجنا بهذا: راس واحد والكل قبيح.. قبيح رطوس ورطوس قطع!..»



أما ما انتهى إليه مشروع دار الثقافة فكان الفرح والقمع، وأكثر دالة وكشفاً، كان شبيهة بعدسة جمعت كل الأشعة الخائنة في الواقع وركزتها في بؤرة واحدة، عن شهم والواقع طبع ما زن آلاف الدعوات والبرامج، فمخترع الناس من كل صوب تكب ضايق بهي داي الريحان. والفتحة القديمة، التي كانتا اكتشافا وجوها فجأة -جسدته لهم وهم أن لديهم «أفكار» ومواقع سياسية- تستحق أن ياتي إليها الناس من كل مكان، فتزدهر أسورهم وتتشتت، ومسامد الناس قد تجمعوا! إن تمام نقاش التفتيش العربية والعبرية (تفسير الرواية: «أنتشرت نقاط التفتيش من الجاهليين، جانب العرب وجانب اليهود، أي جانب السلطة وسلطتها».) وحين بدأ الاحتفال وسط الصخب والقلعة والضجيج لم ينته أحد إلى أن التفتيز وادى الريحان قد عز لتماماً عن العالم بلقوات أمن إضافية، لا أحد يعرف بالتدبير سيد انفجار ذلك الحفل وانفجار الناس إلى انفجار الاشتباك مع الشرطة وقوات الأمن في أعنف مواجهة حادت بين الناس والمجبرة، «ما يوسع مسان من يفعل بحشد الصحفيين والناقلين والملاحظين» فنته، فنته بالسيدة فنته لم تجد وقتاً لورة طفلها.. ابن هدايا والتفتيح الصاعى -إلى كواليس الاحتفال ذاته؟ إياك ما انتهى إليه القول، وانتهت به الرواية كلها: فصة طريق الثقافية وراء القاعة لكنها تعر بعسوتة فنته كميرات راميل، والطريق ايش نأوي يعمل فنته؟ لا عنده رتة طوية! أما نقات التفتيش الإسرائيلية، ما زن: «الزوري الذي كان اسمه ما زن جيفارا تختار في الجهادية الطريق الأول، وحين استقر أبوه وأخوه وطرد الملاحظ، لم يجد سوى الآخر، وراح يطرد الساعة الطويلة بالحديث إلى الملاحظ (لنا إليه عودة)، وفي الجزء الخلفي من سيارة الإسعاف

من بين الحطوط والكثيرة التي يمكن مابعتها في «الميراث» (جل جانيًا الميراث الذي استندعت من أجل زينة، فقد عمدت امرأة أبيها إلى عملية تلفيح صناعي في مستشفى «هداسا» كي تجيب أباها) سوف نختار خط التفتيش الذي حدث في الواقع بعد قيام السلطة الفلسطينية: حين جاء كمال من ألمانيا كان لديه مشروع لتدوير ابريالة ونقطة مياه الصرف، في محطات مثل تلك التي عرفها في إسرائيل. وسوف تكون خطوات هذا المشروع، وقد شاركه فيه السمسار، نافذة فسحة تروى منها الواقع، أما ما زن ف لديه مشروع آخر يحدث به زينة: «بيت ضخم أو قصر قديم مهجور، نعيد إليه سمات القصر، نجعل من القصر دار ثقافة، مقفلة للفكر، وجمع فنون...» وسوف ترى ما ينتهي إليه الشرواع.

قال السمسار لنفسه قبل أن يقدر مشاركة كمال، بعد أن رفض أبوه بيع جزء من أرض البسيارة لخساركتيه: هذا أوان تصبغ، لكل يتفنى بالصنع، والصنع، الصفة ستكون هون كون العرب، وغزة تابان الشرق...» فإذا اجتمع برجل العلم، فاص الصناعات في الجيب...، لكن الذي حدث كان شيئاً آخر: أمهر السمسار عروسة الجديدة أسهم في الشركة، وحين قام أولاده بخطفه وإرغامها على التنازل أقت الشراكة إلى سعيد، صاحب مصنع «الطوي»، «سلط العالمة» كما سميته أبوه... وهكذا انطلق المشروع وعمادت الرحلة اتصلا الجو وتما لخياشيم المارة وسكان الدور والقرى المجاورة وحقول القمح، واستمالت المنطقة بالجرمان والضفادع وذباب أترق وشعاين، وشاع جرم من القناعة والاستمزال... وأولفت الرواية مومها زينة كي ترى ما لا إليه المشروع: «ما هذا القصر؟ ما هذا القصر؟ ما هذا المشهد والكنارة؟» (..). هبت الريح من العرب فحملت رائحة النضج والبكتيريا من مراح ضخمه خرافية دون فوق أديم البرك، أما البرك فحاش لله! أبة صميمية.. أبة جريئة..» ترتب على هذا الفصل أن قرر





## الحياة الفلسطينية بين انتفاضتين



ولنته قالوا لها: «ماذا نسمة؟»، قالت: يوجد وهي تستمع لام كلثوم «طبعاً ناصر»، وكان ابنها عبد الناصر، أما فتنة فماذا نسمة؟ نسمة هداسا؟ نسمة كيف كهانا؟ نسمة شلومو؟، وقد رأيناها كيف أعادت طفل هداسا إلى أبيائه بعد موت بنتها.

ابن عمها، وكبير عائلة الشاميبة، نموذج لكل الواقع الفلسطيني، تقول عنه: «إنه علامة مؤرخ وسياسي وعارف بالإنسانيات والعلوم، وإنه يملك حكم عليه، من النضرة الأولى، بأنه قسبي فصيح».

كانوا يتناحروا بالباشا والبيدا، ولعل في ذلك علة من علة عوازم، عريضة طبقة، أصغر عوازم، أو مستشاراً، لم تكن فيه عذبة عصرية.

وعائلته عريقة ودار ورثها عن الأجداد تشهد على ذلك، القديم، أما ابنه فقد بات فناناً، بعد القتل، «فقد حطوا بصفاته من قبله، من الذين، في غير عقل»، وقد نطقت من حديثه عن

المصطفى، أيام الحزب الموحى، كان أسيرين

المصطفى، تلك الأيام ملياً. «إنه القائد

الفرسان الذين فصله وفضلته وطبقه، اسمه،

الفرسان من جده، إنهم الموحى،

فأجابته إحدى الزَّعْرَانِ: «وَسْتَطِيعُ أَنْ  
تَتَوَقَّعَ، بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، مَاذَا يَكُنْ أَوْ يَكُونُ  
فِي مَازِنِ هَيْفَةٍ، وَهِيَ كَمَا سَأُخْبِرُكَ وَاحِدٌ مِنْ  
كَثَرِ مَا يَصْحُوحُ أَنْ يَكُونُوا فِي هَيْفِ الزَّعْرَانِ»  
لَكِنْ كَيْفَ سَأُخْبِرُكَ بِهَذَا؟  
وَتَضَعُهُ وَتَكْشِفُهُ سَرًّا: مَتَى تَضَعُهَا بَاطِنًا  
وَرَبِّيتَ الْعَالَمَ لِلْحَيَاةِ وَالنَّاسِ، أَوْ بَرَّ  
تَكُونُ هَيْفَتِي عَشِيقَتِي، وَفَرَّقَ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْأَمْرُ سَرًّا... فَأَمَّا يَقَالُ أَوْ يُفَرَّقُ نَحْوُ قِسْمَتِهِ  
فَكَيْفَ هَيْفَتِي فِي النَّاسِ؟ يَقَالُ الشَّابِيبُ مَعَ  
عَلَّاقَةٍ يَقَالُ الشَّابِيبُ سَبِيلَ الْعَالِ وَوَيْتِ  
مِفْتَاحِ الْقُدْسِ مَعَ نَضْرَائِي: يَقَالُ أَحْصِ  
مِنْ يَتَمَتَّعُ... وَهَلْ هَذَا نَحْوُ هَذَا نَحْوِ أَنْ

يسرف رأى فيقول إنني هنا هكذا: هذا  
موقف نوعي، يستعده له الرائي، هذا  
الحضور، التقليل بينهما.. في غيبة الإيم  
التي تجهز العشاء بعد أن فرض البيك  
زمارته عليهم، الرشد بمبارزة حامية بين  
طاووس متقوفاً، الرشد من ناحية، وقناة  
ذكية حساسة، ذات جمال وكبرياء، من  
الناحية الأخرى، الطاحنة به وسيفيه  
المطلوب في جهيتها: «كان صوتها أعلى  
ما يجب، قد صرعت للناس، قد بدأت  
بعضتي أنت تدك صرولاً، فهدوء نظيفة  
وليفية وكأن يبلشاً! (...) وقف دون أي  
تعلق، ينطق بكلمة بعد صفيح (...)»  
رشد أساهه هزء ومرارة وأوملته صفيحاً

رجلاً جعشاً على استعداد للاستشهاد في  
سبيل الحب والمحبة.

هنا ما نقوله نهاية لنفسها، وأرجو أن  
صديقتها إنما تقوله عن السمسار الذي  
تريد أن تخرجه، إن لم لا تحدث عن الخطر  
وحفظها ابتداءً لغير غرضها على التفتان  
في ما قيل إن أيام مرضها على خلاف  
بالفكر، بل صغرت وهرب من إفرقة إلى  
عسان، فبعد الأكل شربها وجيش  
أولاً وأخيراً، أما هنا فالتفتان بغير  
حجاجة...، وفي عملية البحث عن نهاية  
الوصول واكتشافها عن طريقه عن اليريقية  
وعدم من غرض ما ليس لم تعرفه من إفران:  
نابلس القديمة كالآثار جروند، عالم  
تتلاقح أبنيتها مع أبنيتها وهما في زينة  
وتفادى الليل في وضع النصار... (١٠٠)  
الانتفاضة بين السكان في الاستباكتات  
في الجيش والشبيبة والإصباحات  
الغنائية ليلاً ونهاراً... (١٠١) في داي ما،  
قبو ما، عانت هنا حقيقة بالظلمة  
والإصباح... (١٠٢) ولما وصل إلى مكان على  
أخوها، يقول ما داي... إن يهيطا في  
العابرة إلى مجاري المدينة، وإن يعمدا  
إلى المكان التي أصبحت تسمى... إن  
المشهد التالية التي تروي هناك المواقف  
بين الطرفين... ويقول هناك كمال  
محاور الطرسان... تكشف عن مواقف  
خفية لها (أزها) هنا قوله، لم تكشف  
غرضها كمال وإفصاحه عن واقع  
الناس: شروط الأول أن تطلق نهاية، والصل  
إلى براء أكلتها كلها إن تسبقها إلى  
أفاندا



نلق نظرة إلى العائلة الأخرى: كائنات  
«فجئة» امرأة ألبا في من هلهة أو تصغير  
للزئير، «فجئة» بياض، «فجوة» فجأة (أو أصغر)  
يشكل غريب» صارت زواجاتها كانت  
تتميز أن تنجب من أياها... «ولا التصغير  
عوضته وجيت كل...» (....) «والأصغر  
بمحجب المراث، من غير ولد عمته  
بيورث...» وما إن لفظ ألبا أنفاسه حتى  
سارعت إلى مستشفاه خدسات وتعلمت عليه  
التفحيط الصناعي، تقول لأمها وهي محتلة  
إفئاعها «بنافقة» ما فعلت: ما فعلت  
مهر، يرزله لها، تعلم عليها أفعال الدكتور  
في المستشفى، وهو ليس كفوف وكماشة  
ومعاً ممرضة... «غير أن أمها ترفض ما هو  
فعل، فألمت أميرة شيء «مختلفة»  
سلسلة عائلة «الشباب الغامضة العريقة»  
في التي أحييت جسد الفانيس وأتمت به  
وبعصر... كانت تصح بأن حب القفس هو  
حب، حب مصر، حب مصر، حب حب القفس  
وخان الخطابي والحب العود هو في الحب  
من الظهور نفسه، وإن الجنين في أحشائها  
في سليل الأناشياب والليل الصالح  
يقول، بل من سليل عبد الناصر... ونحن

الماضي عبر نفق الزمان لما صدقت، إذ بات  
الماضي هو الحاضر، ولا فرق كبيراً إلا  
بالصوت والصورة... (اليس هذا بعض  
الميراث؟)، وسعيد هذا نفسه سوف يسعى  
لإطلاق سراحها، وسيكون الأقدر على  
التفاهم مع أبناء السمسمان، فهو يعيش  
والعهم نفسه ويتكلم لغتهم نفسها،  
وسوف يدفع الأمور بحيث يجد شريكاً  
محل أخيه.

[illegible]

الأيديو معقولاً وطبيعياً وإنسانيّاً  
كذلك أن العقل بالقياس إلى الأفعلى لا تحت  
في نقل حياته، ولا تحسبها هذه الحركات  
خليفة من آخرها، بل لها اختراع؟ وأدب  
تجمل الجلوس أمام مرآته، تلغ وتلعب  
وتجمل وتنتظر، في جلوسها هذا تحدث  
إلى نفسها حديثاً طويلاً باعتبارها جارية  
من هذه الحركات كأنها تتكلمت أعراقاً  
عانس في الخمسين، «يدان تكبر، يدان تكبر،  
تتسع، اليدون تذهب وتذهب»، فحين  
للعلاج عند الدكتور فقال الطبيب:  
طبيعي، داء أرواه، أكل تقطع، فلهذا  
العودة الحركة النفضة تطهرها من قيدا  
لقد تقطعا، بل أكل الحبيب تقطعا  
ول تجزيرة ولا مرة في العسر،  
واحدة... بهذا التوق الجارح، إن  
انفدت نحو الرجل وفي تعرفه ما  
وحاضره تعرف أنه أكل ما  
بدا يحاله فيه الغنى من أكل يتاجر  
شيء، حتى «أخسره» أي حوش  
المشروع، وكل الشروع وسره الأثر  
يسعى بالاش من الفلايين، يسير  
يسعى لعله، وهكذا صار شيئاً، ولكن ماذا  
يسعى لعله أن تطلع، والحب ما تقول  
ياكل العقل، ويعمل من أكل الحرة  
ذلك ليعطيه، يعمل من أكل الحمو  
بدا مائة، عاينة عاينة عاينة

الباب، وحين خرج وهو يمشي نحو الدرجات رآته قصيرا وصغيرا، رآته أقصر مما هو، وهي طويلة... هكذا: حققت انتقامها - هي وبقيّة النساء - من الملك ببقية إل حال كذلك!

غير أنها - في أوليت - تطلب دور الرجال،  
في هجائهم لآخر خاص من الرجال،  
الضيق، أو بالتحديد: الضيق،  
بالقوة. إن في أوليت، الجميلة الذكية،  
التي تعزف على الجيتار وتغني للحب،  
تسترجع علاقتها بالرجال، وتقف عند  
ألاء فطنتها الضخمة، ربما كان رجل  
الجمال والجمال، في الفن الذي إن تكون  
المرأة منه مجرد، جنس لا أكثر،  
والفلاحون منهم صانع إسرائيل  
من مزارع مقفرة ممتلئة ما كانت لهم...  
والتي: إن لم تلمسيها لست وفاء، إن  
تتكسري، بجرارة، زيتها في، إن شائت  
صلاح الدين، في القدس، وترسم صورة  
والعينة ساخرة كيميائية استخرج من  
جانب سياسي، كانوا هم القادة،  
وأنت ادعاء قائلهم قد لاشارت إلى  
الضيق في كل مكان،... وهسيبا  
الحيثيات بتهويل بهم، بظنهم إن  
في خيال الهيدري وهولت الناس، وإتيما  
عملية الاسترجاع، يتيسر لهم وأدهم  
وبقول: تمام، إن والمرأة، الرقيقة،  
التي، الصيفية، إن والمرأة، والتفتيش،  
أسعدت يروا لوكسمبورج، فنقول: لا  
أسعدت ببايا تيرشوكوا؟ فنقول: لا  
أسعدت ببايا جولدمان؟ فنقول: لا  
أسعدت وسعدت وسعدت؟ وسعدت  
خسباً ويبدأ العزقي بتمثيل فيقول له  
بعض أسن: بي، سيكتيه، ولسه عايشة؟  
يعطى أسن، تعالى أملكك نون الحياة،  
ويأخذ بيدها ويدخل بها قاعة وأخرى  
ويأخذ وأخرى، ولم يكتأف، وأخرى  
وأخرى وأخرى، ولم يكتأف، وأخرى  
أخرى، لم يسقط، ولم يسقط، تفرغها  
مرتين بهذا، وسأطعن ساقك بالبرغاف،  
الفرق الواضح إن البيتي يقبض لثما، أما  
الفتيات بربط بديشان، بقبض البويرة  
والضيق... ونحن نحن في أوليت إن  
الإنعاق القائم بالرجال حالة مؤسوس  
منها في هذه البلاد، وتغني الهجرة إلى  
أمريكا.

وقد لا يتكفل النظر إلى التفصيليات الرئيسية في العمل دون إشارة سريعة إلى «الحافض» وهي السلطة الوطنية، الذي حوصر أمام نقطة التفتيش الإسرائيلية، فراح يطرق ألوان بالشرية مع مارتن، يقول له ونفسه ولنا ما يكشف عن كونه العنقي ونفسي وماضيه والفضلي، لا شيء لديه سوى ما بقي من تلك الكتب البالية التي قرأها في المسجونين، ولديه القليل راسح جان أمريدا بعد تقنين من الداخل، مسجروها السود، معلما تلك الميكانيكات والنزى الموحدين الصينيين

من حال ل حال، لا أعبد أن

القرن الجديد، زمن الكتابة، ولعل أهم ما رآه في هذا الواقع هو تغلب الإيمان بالخلافة وممارسات القوى الخفية، من جانب، ثم الموضوع الأثيري ذو الروايات، قصص الغجر المولود على المراه، من الجانب الآخر. إن إيهال الغرويين الفقراء، أهل «الخربة» التي يقبع بها الرامب حيث يقام إبراهيم يومًا وليلة يرى ويشهد ويحاور الرامب في ممارساته، في إيمانهم بتلك القوى، وتنافسهم في رواية الحكايات التي تدور حول قدراتها الخارقة، هو ما يدفع إبراهيم إلى أن يحس نفسه كاملة. «أجسست أني في عالم لا أمث إليه بأى صلة، كما لو كنت في السفاح، كما لو كنت في البيشاك، أم في المسقول أن لمسورة جاست مناه، واقصم؟ كل الأكلال الأموية والكونية وحركات التححر والتحرير جاءت منهم...» وحسن تأكي لأفلاكية الشائبة، مثقلة في ارتقاع صراخ «سكينة، القوية الغيرة، زواجها يكمل لها الفترات في قلب الليرة، دون أن يبدان أحد من السافرين في مضافة الخشار إلى جذعها، بل لا يرى أحد يفرح ويحدث شيئا غير عادي يستحق التحدث، بل يقول له الخشار: «سكينة مسبوطة عيشته» (-) إذا كنت علمتها وخلت... لا يسبح لها - يفسر علة - يفسر علة - ويحدث علة يقول: روح، أنت ما خلفه؟... جوزي هذا يعني وأنت سواك؟...»

فأمره هذا يعني وأنت سواك؟... هذا، حتى سواعد من يبنون لا تبني هنا، كيف، إن، تبني أم؟ (-) «أى ضيا هنا كنا نقول: تفجير العام يؤدى إلى الخاص، والتفجير... لا ضوء هنا، لا ماء هنا، لا إيمان، وماذا نخضع من ذلك الفهم؟ لا قام، ولا قام الخاص وعمرنا...» قلنا: التوعية والتفكير على أفعاله؛ لا سلاح والنزوة، وجمع الوعي والتفكير، وعشنا سنوات هنا، هذا فساين وصلنا؛ وبالأحرى، من وصلنا؟»

غير أن المشكلة هنا أننا لا نستطيع أن نقبل شهادته كما يقول، في في شهادة يسهل تحريجه، كما يقول أهل القانون: هذا نموذج، بالغ الانتفاض، الفلسطيني التخللي، كان تخليه عن المرأة التي أحباها وأحبته، وجنيته أنت تحرك في أحشائها بداية الطريق، وإساده هذا الطريق إلى الفرق في مستقبل البتروبول، من تكته الملائكة التي جمعا من تفل حجارة الضفة الغربية وشركاته في خدمة الأمريكيتين في نفسهم الأولى للفرق إلى أن عاد مع العالدين بعد اتفاق سلام بئس، وأقام ناعما مرفها في بيته بزام الله، وشاه أن

الآن... ماذا يريد هذا الرجل المستعجلى الذي عاد، كيف ولماذا عاد، واضح - ما يريه عن نفسه، هو الرواية في القسام الرواية الثالثة - إنه تم رداسته في تلك الجامعة الإنجليزية التي كان يرأسها، ثم تنقل بين الشركات والعصاوم، تزوج وطبق، أمريكية وتمساوية وعربية، وفي السعودية التقى بواحة وزوجها، وعمل في مشروع الحجارة الذي بداه أيوه، وكان يرفض مشاركته فيه (استخراج حجارة الضفة ونقلها لبناء العمارات والنصور في السعودية والخليج)، يقول: «انتفضت السوق وتدفق النفط، بتنا نعويم في البتروبول، فدخلت السوق واستيقظت وجلبت التجارة والعمال من الضفة...» (-) ثم تم تصاريح الماوت في حرب الخليج وزوّدت الجيش الأمريكي بالناشيرات والجرافات لحفر الفخاخ، وشرق الطرق، وكادت أفلاكية الجالين، وشاهنهم جميعا؛ لا يابس صمواله وتظهر وجهه: فتح مؤسسة لرعابية الأرام واليتامى في فلسطين لعرف بأنه محسن كبير وراعية للادب، وعاد مع العالدين (بعد ٩٩٣ م) (أشترى دارا فخمة في رام الله، يعيش فيها وحيدا مع خادمة ليبينية وطباخة مغربية لكن لا حب ولا زوجة ولا ولد ولا بنت ولا أصدقاء...) ولكن بجواز سفر جديد أحمر ذي استيحات، وهو عموي التفصيرات ويوظفها لصالحه... «أما مخططة عما عرفنا، في الستينيات والسبعينيات والعشرينيات، صرنا بالافنيين... صرنا سلطة، أنا سلطة ما وأنفد مملكات سلطات الحكم ما وجد تحت الحلق الكوليس، صرنا فلسطين من الضفة، وصارت أمريكا في المرجع بل السوفيت، راج السوفيت وراج العالام بالجناء السوق وتخصصنا، بتنا نستطيع المخصصة والقصوة وتغيرنا، بتنا اتعا لا لوارا، بتنا خطاياء...»

القسيس الذي شهد علاقته بريم في القرية وتطورها أصبح مطرا كبيرا في القدس، معاديا للاحتلال متحدا مواقف مشوهة منه، حين التقى به وساله عن مريم التي إليه ما قال إنه طرف الخط: راجا رايها يقول عنه المطران إنه ليس جبالا لكنه غريب، تربى في الدير بين الرهبان، واتقن نطق الإيقونات ونحت تماثيل القديسين، ثم أتجه نحو التصوير فالوسيقى، ثم للألوت، ويقول عنه الناس إنه يجد المخبوء ويشفى المرضى ويرى ما يجي به المستقبل، رحلة إبراهيم للقاء الهاد ميشيل وما راي بينهما هو قلب العمل، وهو ما يعكس رؤية إبراهيم للواقع الذي رأى على أرض فلسطين في مطلع

لتسريحين وتدخل الحجر، وناس يقولون رجعت البلد للشعب إلا البيت لفساحة هناك...، أما هي فقد اعترفت له - بعد أن استقبل الحب والشباب كل الانتفاضة - إنها نضت رافعا جديدا هناك، وحين عرفت الحكاية قال الإخوة إن اليلاد احسن وأستر، هناك نتزوج ونشاه، هكذا جاءت نضت رافعا جديدا هناك، وحين عرفت معندا الفوارق بينهما: هي مسيحية وأنا مسلم، هي غنية وأنا فقير، هي تعرف الدنيا والفارات وأنا لم أصل حتى بيروت، هي من طيبة وأنا من طيبة أخرى، رغم ذلك ربط الشباب وتاجع العاطفة بينهما، وفي القدس غاشا أجمل ساعات عمرهم، في زيارتهما الأولى، ما من خلا من ألبس العود والأصوات الرعدة، «صارت ماري، مسكونة مجنونة مسكونة تشبى وتصيح وتنادي: إبراهيم، إبراهيم، شوب، ما أحلا...» انتفتق لوبا أفلاكية مطرا، وضاعت منه في كنيسة البصمة ثم وجدها، وبعد القدس «خرجنا لجامعة في لصلى كانها جزء منى، ومن هناك معندا الأبراج إلى الحارات والأزقة وطفنا ديرا لأكرن، في إحدى الحارات تحاطقا قنا ارتفعت أفعوان العظم...» في تلك الليلة باحت له وحده في عريته: غربية في أرض الوطن، وغربية في تلك الأرض البعيدة، وحيدة بين الإخوة، وحيدة بين الأعراب، لا تفعل نفسها إلا في القدس، في غير مظم تختبئ فيه، تحب الرقص وتحب الله وتحب أن تلبس كل جسم - وإن ترى صورته في المرآة - في زيارتهما الخائفة فضيا إليها مضا في هوسليله فاقته إليه... «بلغنا الهوسليل وجه الصبح، وكان الآن في الإقصى يعلن القيام وضلة الفجر...» وقلنا في الساعة الطوية ورينا القدس تشرق في الندى وضباب الفجر والياسمين يصل إلينا... يضح شوق وانسانه فيجب الجو ويلطير بنا فوق الفباب والحجرات، ومع الظلمة اكتشفت التور وظلال البنية في امرأة جلبت من راس تلك المرأة ذات ملى... «ما القرية وما نال لقاءهما مستفيدين من ضعف إصرار الأم، لكن الحبل فاجعنا، ولم نؤد الوسائل الشائعة في الفخاض منه، وبدأ هو يتعب منها، وتزامن هذا التآزم في علاقتهما مع التآزم في الوضع العام، عبد الناصر أطلق بيانات عن شرم الشيخ فاشتعل الجو، وابتاعت إسرائيل وأقامت القدس العرب ثرى وتزيد، وعاملت القدس بالقهر والنصر وصور عبدالناصر... واجتاحت الهياج كل شارع، وركب الشباب السيارات والشاحنات ويلجحون بقمصانهم ويردون: «جا لسنينك»، وغنى كبار المطربين أغنيات النصر والحرية ووجدت المرأة المنقطة من قلب القدس... وقبل الحرب مباشرة واند ثخان من الإخوة وحاولوا لقاء إبراهيم، وسط هذا الهياج كله ضامعت مريم وضامعت نكرها وضمت أنا وضامعت القدس...»

أحد بغربة شديدة بين الناس رغم أنه ابن هذا الفضاء ذاته، «غير أن سنوات الغربة والانتفى في الظهور ولدينا ثم توش أبعدته عنهم» وهم ليسوا لا يفسرون بأنه منهم، أو بالأحرى لا يعرفون إن كان منهم أو «منهم»، أي ضمن وهم، وهذا يعني لغة أخرى، فعلا آخر، شعبا آخر ومثلي آخر، مثلي جديدا لم يجربه أو يسعم عنه، أنت في بلدك ولست ببلدك...»

تلك صورة الحياة كما تقدمها سحر خليفة، وهذا هو «المراث» الذي بقي لجبل الحاضر في فلسطين، في المطار كان عم زينة يودعها، للمرة الأولى منذ جاءت سالت دعومها وهي تؤكد لعمها أنها «راجة، راجعة، والله راجعة»، فهل ترجع حقا؟

إذا كنا التقينا في «المراث» بمحلفين فإننا لنلتقي في «صورة وأيقونة وعهد قديم» برجل وحيد، أو بالأحرى رجل يحاول العثور على ما يتصور أنه عائلته: امرأة عرفها لم يجرها قبل أكثر من ثلاثين عامًا، وسب بطن أنه ابنه منها. وقد لا تكون بحاجة لاستيقاق القول إنه عاد من رحته بجنه خلو البدين (ما أصدمك ما يقول المتصورة: إن كنت تريدني حقا، فلم مجرتي؟)، لكن الرواية هي - على نحو آخر - رواية القدس: القدس التي كانت والى أصبحت.

هو إبراهيم وفي مريم، بكل ما يلجئه الإسمان من أصداء ذات طابع ديني ومفسر، لا عجب، فنحن في أرض الأنبياء، وإن لم نعد في عصرهم، تساهبا في أول الشباب، كان هو معطفا في قرية إلى جوار القدس التي تقبع فيها عائلته، أما هي فكانت عائشة لقوام من البرازيل، حيث هاجر أبوها وهيما بيلم ويعمل إخوانه السبعة... «ناس يقولون رجعت نتزوج من قريب في القرية، وناس يقولون رجعت



في ١٩٩٤، وأن المشهد الأخير في الثانية يشير إلى بدء انطلاق الانتفاضة الثانية في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠.

يقول أن تقول كلمات قليلة حول دور للامح في تلك الصورة: من الواضح أن السلطة التي جاءت بعد معاهدة سلام بئسة، مليئة بالغررات ووجود النص لدى تطبيقها على أرض الواقع، إنما هي سلطة هشة خائفة، لا تستطيع بسط نفوذها على أرضها، ولعل ما تنتهي إليه «الميراث» دليل ساطع: أمام نقطة التقشيش الإسرائيلية وفك الجميع والجنود شاهرو السلاح يهددون الناس ويوجهون إليهم الإهانات، لا فرق بين مسئول السلطة وسواهم من الناس، انظر ما حدث للمحافظ: منزل من السيارة، وحاول التقدم من أحد الجنود، لكن الجندي صاح به بصوت كالرعد: «وُلف»، «وُلف»، «وُلف» مد يده ليلفمه أنه ينوي خيرًا ولا فظ يريد كلمة، لكن الجندي عاد يصيح: «وُلف»، «وُلف»، «وُلف» تشبث بالحائط بموقفه فرفع صوته كلمة، كلمة... هدد الجندي: «ولا نص كلمة، أرجع يا اللا...» حين رأى تكلمًا وعدم رضوخ فوري وسريع، رفع سلاحه ونهوه نحو المحافظ وقال بعده: «يا اللا... مكانك... فساد المحافظ إلى سيارة الإسعاف وجلس مكانه... إذا كان هذا حدث مع المحافظ، رجل السلطة التي وقعت على «أوسلو»، فلك أن تتصور ما يحدث مع الآخرين:



وعلى أرض الواقع فإن الخطر المائل دائمًا هو تزايد الاستيطان واتساع رقعة، هذا ما يدور بخاطر عبد الهادي الشايب في «الميراث»: هم يطبقون على الوادي ويعتاون الجبال ويتمتسون في المرتفعات، على في جبال القدس، حطاطها وخلفها ما يتعمقها من امتصاص وانتهى الأمر: وجهال الضففة يعسوها وسهول وأريحا، هم سائر إلى في مكان يتمتسون في كل مكان، أين السلسلة؟ أية سلة؟ أيون السلسلة يكون وط... ولدنيا مسلمان نونجيمان لا يسفله الاستيطان: الأول ما يحدث في مسوطة، وكريتا راحيل، نونجيمان لقل الريون، فيهد ثلاثين عامًا من الاحتلال (١٩٩٧) تمت مصادرة التل وإقامة مسوطة كريات راحيل فوق الهضبة، وإحاطة المسوطة بسياج كنفك وبقطة قنيتش وحراسة، هم المحافظ، رجل السلطة ومتملا، يرى بيوت المسوطة عن قرب، «أرى مسكن خضففة وملاعب وأرباب غريبة واناديبي مياه خضففة جذا تقحم التل وتحفر ترابه وصخور»، باتت الأرض غربية أرض السوطة باتت غربية، حلم التحرير بات

الرشق بالحجارة فنهال الرصاص مثل زخات المطر، واتسعت الاشتباكات في كل مكان حول الأقصى، في هذه الوجهة التي تنتهي بها الرواية تقول الروائية الكثر: كانت قبلها ما جاءت بكل أهل الخربة إلى القدس، سكينة وتوهاج وابنها الصغير الذي اعتاد ميشيل من قبل، إضافة إلى المختار وصاحب اللب الناصرة، وهذا الروسي الذي كان مؤلفا مسرحيا مرموقا في بلاده قبل أن تقتلك، وبعد أن تفككت جاء إلى إسرائيل وراء الرافعة الصغيرة التي يعشقها، كانوا جميعا في القدس حين اشتعلت، وكانت جميلة أيضا هناك. هذه امرأة من نوع «الست زكية» التي رأيتها في «باب الساحة»، وهي لا تفقد صوابها أبدًا، ولا تتوانى عن أداء دورها الذي تسهره وتجسده: وسط القلبي والدمع والرشاشات والمراغ والفني والجرحي والمصابين، ضرت إلى قلب الناس، صحت شذقة فيها أدواتها الفقد، هي مرضة - تلطبط هذا وتضمد ذلك، جعلها لعل إبراهيم وانطلق معها (هل هي صعوة متاخرة بعد أن إيقن عبث استخدام الماضي الذي تخلى عنه؟ ربما)، لكن أهم ما تقول الروائية - عندي - يتمثل في هذا لقوله الصغير: «توفيق»، الظل ابن سكتة، هرب منك ثم أتى رثا في طرف البصر بين الشباب والصحابة، عرجة، كان يقول: «لكن توفيق لم يسمعني، كان يتأول أحد الشباب حجارة صغيرة فيضعها ناك في القفطية من يمشين...» (١٠) الشاب هناك في أعلى السور ملا القفطية بجدر، جرحه، فشها على وجه جنود، أصابت أحدهم فسال الدم، حرقه الجندي وإشار إليه فصوب أحدهم رشاشه وقتته يد بار، ارتسى الشاب فارتسى توفيق فوق الجثمان وأخذ يركي فسميه شاب بالكافية ولا ما لم اسمعه، ربت رأسه وخلع الكافية عن الميت والبسامة له... إنما على هذا النحو يتواصل الصمود، تتقدم أجيال جديدة حول قلب اللهب، لم تقول أن «توفيق» ليس سوى طفل... هذه «الست جميلة»، تجيبه: «اسمع، يا بام، الغلظة ما داف صغير...»

ما قد وجد التخلي القديم نفسه وسط الاشتباكات مرة ثانية: هل هي صعوة متاخرة أم هي خيال الكاتب الذي حلم يوما ما يكون، ثم تخلى عن حلمه بين ما تخلى عنه، التي تجعله يرى ما يرى: السمعاء بدأت تتصمم في عز الخريف، وأوراق الفرجس والتلعع بدأت تخضر، شتاء أزرق يتلافا في غيمة برد... نظرت لفرق، حيث القعة وجبل الزيتون، وأيت الليل وقد بدأ هناك من جهة الشرق، وأيت أضواء البلدية والشتاتات حول الأقصى تترى طرقي...» (١١) ثم صورة المدينة على أرض فلسطين بين انتفاضتين، على الواضح أن الرواية الأولى تبدأ بعد قيام السلطة الفلسطينية

كذلك شأن مريم، إننا لنراها - خارج المسدებიات - إلا هامة صامتة، لا تكاد تجيب بشيء عن الأسئلة التي تناوش حبيبها القديم، بعد البحث المتصل والتقلل ورواما من هنا وهناك التقى بها في دير المسكوب في القدس حيث تصفكه... «رقت رأسي لأجدها تفك أمانى وتقتلني، وجه محاط بالأبيض تحت الأسود وصليب ضخم، لكن الوجه لم يتغير...» (١٢) تبدو مرتاحة بلا انشواق... كان كل في عائله، ما لم يرس بينهما حوار بالكلمات، هو يلهث وينقل



ويريق ما عنده وهي هائلة ميتسمة لا تكاد تقول شيئًا، إننا لا نعرف عنها شيئًا منذ فطدت حبيفة الزها بعد أن سكنت في بيتها، ولم نعرف كيف وصلت لذلك الجبال، ولكن مهما كانت الأسباب وراء ترحيها واعتكافها وانسحابها من الدنيا، هل يمكن ألا يكون هذا المخلي مسئولًا عما آلت إليه؟



في الحوار الأخير بينه وبين ميشيل، قال له ميشيل إن غاضب منه لأنه يتخذ في شتونه ويتجسس عليه... تاته بحثت عن أمي في كل مكان، تبحث عن أمي في القرية، وتبحث الخربة بحثًا عن أمي، وبين الأضاح عن عجيبة... من بضع مني بحثت عن أمي في الجبل، وما أنت الآن تبحث في القدس، فعلا تريد؟ تريد أمي؟ هل لا تريد... تريد رجوعي؟ أنا لن أرجع... تريد أمي أرضي يد؟ أنا لن أرضي أمي مالت، خلعت الكبر، وحين أراها أرى أختي الصغير، وأراك أنت رجلاً غريباً مقهوراً لا يعنيني، يريد أن يتشبث بالفضة... (١٣) أرجو منك أن تتسأني وتنتسي أمي وتعتنا كلينا للعالمية... اشتعلت الخربة في اليوم الأخير... كنا في أيلول... كذلك أيلول... الخريف... تقول الروائية إن أيلول ذلك الموس كان حريقاً واضحاً أنها تمنى أيلول ٢٠٠٠ حين تعجرت الانتفاضة الأخيرة: بدا

يغسل يديه وأمواله فأقام تلك المؤسسة الأخيرة، ثم مضى خلوًا أبعد في محاولة إغناء ضاميه وانتساب ما ضل آخر لا يعود فيه متخليًا، وانطلق يبحث عما سبق له أن تخلى عنه، فالتقى جده عايت كان لابد أن يعود بينه فارتعن: لم تستمع إليه مريم وانكره ميشيل قبلًا وأما ونهائيا... ميشيل هذا يشير من الأسئلة حول مسلكه ومعتقداته أكثر مما يشير حول صفة نسبه إلى إبراهيم ومريم. إن الألبه حول صحة هذا النسب ملتسبة مراوغة، وهو يكاد يعترف مرة ويكرر أخرى، وجميلة، التي عرفت جانبًا من ماضي مريم بعد أن انجبت طفلها، والتي كانت تقوم، هي، على رعاية طفلها حين كانت أمه تمضي للفرص والسهر لا تعرف ليه، هو الروائية لتقصيد الانحسار هذا الأمر، ويوفي بين أيدنها - نحن القراء - شكوك حول اسمه وتاريخ مولده، ثم حرصه الدائم على زيارة أم مريم حين كانت مازالت تنقم إلى أيلول قبل أن يجعلها ابتلاءها دار المسنين التابعة للدير الذي تتنسب إليه مريم، ثم ما يراه فيه إبراهيم من شبه بخاله، هو، القائل القديم:

أما مسلكه ومعتقداته فمزيج متناقض صير من الرغبة في خدمة الناس وتقديمهم لهم، من ناحية، ومن ناحية، والتي عنهم والاندلاية منهم من الناحية الأخرى، يظهر في الأيالة موفقه حين كان الديالبي الصغير - يهوى إلى الوادي المسحوق ويأخذه طفل هو ابن سكتة التي سبقت لها إبراهيم: «يرى إبراهيم: «رايت الرابح علفا بين الأضغان محاولاً الوصول إلى الوادي... كان قد فتح رده وروبطه حول المسلق...» (١٤) ورايته يجعل من حبيبه أنشودة ينشد بها آخرة الباب من «توفيق...» ورايت الولد بين يديه كمصغور صغير ملزوم العرش، وحين قلده نحو الجمهور من تلك المساحة فوق الجرف فطدت الوعي... مسلكه هذا نحو الطفل قلقت تمامًا مسلكه حين بد الشجار بين رفاقه الذين صدهم من الخربة ليفضوا إليه الجمعة في الليل، والقدس، ولعل أوضح ما نجده تعبيرًا عن معتقده هو ما يقوله أثناء حواره مع إبراهيم قبل أن يستجيب للاستفزاز ويصرار به برأيه إليه، يقول إنه يفتاح الناس بأن يعطهم به استأخد استخدام الطاعة الموجودة داخل كل منهم: «أنا لا أفعل شيئًا سوى التكليف، ألم التفتحت المناشدة وأجمعها في بوقفة فتصيح قنبلة ضوئية، وحين تقتصر وينطلق الضوء يضيء الكون، وينتشر النور وتتحرك من كل القلوب...» (١٥) قيود الجسم وقيود النفس وقيود الدين وقيود العهود والعهود، وحين تسمع مثل هذا القول من فم مثل وعيه ومعرفة، من الفل من الشرطه التي تعتمدها أرض فلسطين الآن، الا تحس بانها دعوة جديدة، ومبتكرة، للون جديد من التخلي؟

## كتاب الزواوية



### الحروب ومذاهب الأمم

اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله . وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبية . فإذا تآمروا لذلك وتوافقت الطامشتان إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل .

وسبب هذا الانتقام في الأكثر : إما غيرة ومنافسة وإما عدوان ، وإما غضب لله ولدينه ، وإما غضب للملك وسعى في تهديده . فالأول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة . والثاني هو العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالفقر كالفرع والترك والتركان والأكراد وأشباههم لأنهم جعلوا أزرعهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه أدنوه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ملك وإثما معهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم . والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد . والرابع هو حروب الدول مع الحارجين عليها والمناعين لطاعتها ، فهذه أربعة أصناف من الحروب : الصفتان الأولان منها حروب بئى وفنته والصفتان الأخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين : نوع بالزحف صفوقاً ونوع بالكر والفر . أما الذي بالزحف فهو قتال النجم كلهم على تعاقب أجيالهم . وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب . وقاتل الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر . وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القتال أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم إلى العدو قداماً .

شعراً لا يصل إلى الأرض... كم حلم في الظهران لم يلبان ثم نوس) - وعاء يسترجع ما كان.. كل السنين.. كل الشهداء.. كل الضحايا والتضحيات.. ثم مبريد.. ثم أوسلو.. ثم هنا.. تل الريسان واسمه الرسمي على اللانقة: كريات راحيل!.

المثال الثاني ما حدث ليبت جميلة نفسها في قلب القدس: اقتحم شابان أمريكيان بطالينتين وسوالف الطابق العلوى من دارها وأقاما فيه.. ثم استصدرا أمراً بامتلاك المكان.. وكيف ولماذا وبأي شرع أو قانون؟ هذا ما عجزت السمت جميلة عن إيجاد تفسير له.. فما تفسير ان ياتى شابان يهوديان من نيسويوره ويفضنا دار امرأة رغباً عنها.. ويستصدرا أمراً بامتلاك الدار.. وبغ «الوقشان» (حجة الملكية) يوزعها وعليه ختم عثماني ثم بريطاني ثم الأبن؟.. لن نقوجه السمت جميلة يسألها ومن يجيبها عنه؟ إن ما يشغلها هو: من سيرث الدار بعد موتها؟ من سيجلب قضايا الحاكم ويستخلص لها بيتها؟ تفسد جميلة بيتها هو.. تماماً.. تمسك العم بارض البيرة التي يملكها في «الميراث».. يقول ابنه المهندس الذي يطلب منه بيع الأرض لإقامة مصنع (فهو تحت وهم أن الضفة سوف تكون هونغ كونج العرب.. وغرة سوف تكون تايوان الشرق!).. يقول: «بلا قلعة عسكر.. بعد هالعصر وبعد هالشيب واللى شغاه وتعملناه عثمان الأرض أبيها بالسوق! الموت يسبق.. طوبى ما أنا عايش معون تتباع.. واللى بيعهم رح أغضب عليه.. روحى من البرر رح تلتعكذ أنا بعتوها.... تلك هي الروح التي تغذي الصمود وتبني على جسوة الخضصال رغم الانواء والحواسف.

ولأنها سلطة هشة.. تلقف على أرض زلقة.. مليئة بالعقبات والعثرات.. طبيعي ان تخطى وتشتت خطاهم.. وطبعي أيضاً ان يزهده في ظله الانتهازيون والمسمرة وطلب الرخي السريع.. اصبح الجميع: المواطنين والمعادن وتوطيهم.. لا يفكرون في المشاريع.. كيف تفتن الفرصة في هذا الوقت.. وقت البناء وإجواء السلم وقرق الناس من فقر الحرب والانتفاضة والفوضى وتفسير الختام.. وتقيم مشروعا مضمون الرخي السريع.. وإنهال الناس على المشاريع ذات الخصمات والسياحة والأكل والشرب من غير هدف إلا الرخي.. فحمل التصنيع وتايوان الشرق وكوريا وهونغ كونج بات جزءاً من ماضى مليء بالأحلام المندثرة.. مثل موسكو.. مثل كوبا.. مثل إيران والجزائر.. كلها أحلام.. كلها أوهام فتوايبس.. وخسنا العسيرة

يامرأتين!.. لا عجب.. إذن ان يكون سمسار الأرض هو أكثر شخصيات «الميراث» إيماناً وروحاً وامتناناً إلى ذروته وقفوه وحاضره ومستقبله.. وإن ياتي هذا الفلسطيني المتخلى بامتياز.. بعد أكثر من ثلاثين عاماً.. وبعد ان باع حجارة الضفة لأصحاب النفط.. وعلم ان مستنقع البيروتولان حتى اكتذ.. وعلم في خدمة الأمريكين وهم يجتاحون العراق.. ليحاول ان يزرع جدراً جديدة في واقع مختلف.. شرط دخوله إليه ان يلقى ماضيه.. وإن يربح فرصة عذراء كي يستعيد ما سبق ان تخلى عنه: محاولة عابثة وجهد خائب!



ونحن لا نستطيع اعتبار هذين العاملين «الميراث» و«صورة» وليقونة وعهد قديم» ثنائية روائية على غرار «العصار» عباد الشمس.. هما صعلان يستقل أحدهما عن الآخر.. تدور أحدهما في عقد التسعينيات من القرن الماضي؛ في أوله وأواخره.. وفيهما بناء متجلي فجرة الروائية على بناء أعمالها بناء متوزناً تتقدم حركته إلى الأمام.. رغم التناقضات الدائمة بين الحاضر العيش والماضي المستعصي للذاكرة.. إنها لا تقدم أعمالاً ذات طابع «تسجيلي» أو «وثائقي» قدر ما تقدم أعمالاً روائية تخرش بشخصيات حية مكتملة.. نابغة من قلب الواقع.. تختلط أطرها بالعامة من حيث التكوين الفكرى والفنسى.. ومن حيث المصالح والأهتامات.. لكنها تتكامل لترسم صورة الواقع زمن الكتابة.. في هذه الصورة تلعب الشخصيات الثانوية أدواراً ضرورية.. بدونها قد لا تتكامل عناصر الصورة.. وتكتسب العنق والصحة (في العمل الأول: شخصيات العم وعبد الهادي وأميرة وأم جريس.. وفي الثاني: العرلان والسائق عزيز وأبو يوسف صاحب ثل الناصرة وإيلى.. الفنان الروسى الذى لقي مصرعه في اضطرابات (الاصري).. إلى جانب صور من الواقع قطع الروائية في رسمها.. مما يشي بعرفتها بخصايص هذا الواقع.. وأن رواية نابلس لم تلتفد أبداً مستلهاً بما يحدث وعرفتها بتفاصيله (في العمل الأول: لمقتها نفسها بأرارة السمسار ويثنا.. والزول إلى نابلس.. الخفيفة تحت السطح.. ومقرتها ببيوت الناصرة.. وفي الثاني: تفاصيل حياة المسحجين الفلسطينيين في نابلس والناصره.. والقدس بوجه خاص).

وتبلى أعمال سحر خليفة ناذلة مهمة مشرعة على الواقع الفلسطيني.. منذ تنبأ أبطال «عباد الشمس» بالانتفاضة الأولى في ١٩٨٧.. حتى شهد أبطال «صورة» واليقونة.. «انقباض القنانية في ابول ٢٠٠٠»





عند المسجد الجامع وسوق المريد الأدبي  
ودكاكين الوراقين التي امتدته بزيد كبير من  
المعارف فحسب، بل اتصل بهم وبأشهر  
شيوخ العلم وثلاثة الألب في عصره، ومن  
الإنصاري أبو الحسن الأفلح وأبو  
الهذيل الحلاف وبشر بن المعتز ولعمارة بن  
أشروس، وتخرج في علم الكلام على يدي  
إسحاق النخاس، وتوجد في كتبه الكثير  
يأخذ عن جماعة من الفقهاء كابن يوسف  
صاحب أبي خنيفة، ويزيد بن هارون،  
والسري بن عبيدويه.



عاش الجاحظ في العصر الذهبي  
للأمة العربية والإسلامية، عصر الخليفة  
هارون الرشيد وولد عبد الله المأمون،  
الذي ازدهرت فيه العلوم والآداب والفنون  
العربية في معاهد البصرة وبغداد والكوفة  
وقرطبة، وفي هذا العصر ترجم علماء  
العرب أهم ما وقع في أيديهم من ثقافة  
اليونان والهنود والفلس، من فلسفة وأدب  
ومعارف كثيرة، وفي هذا العصر الثرى  
بالمعارف العديدة المزدهرة امتدت معرفة  
الجاحظ لتتلمذ من جميع فروع الثقافة  
الموضوعة أو المتجذرة في البصرة وبغداد،  
ويقال إنه تعلم اللغة الفارسية وأتقنها،  
واستخدم كثيراً من مفرداتها في كتبه  
الكثيرة، ولم يترك الجاحظ علماً من علوم  
زمانه إلا وتعلم فيه، وأخذ منه، فقد درس  
الفلسفة والمنطق والبيانيات والرياضيات  
والتاريخ والسياسة والأخلاق والفروسيّة،  
وقد كان بارعاً في الأدب واللغة والمنطق،  
روايةً للأخبار والأشعار الكثيرة، باحثاً  
للأخلاق والعادات في مجتمعه، عالماً  
بالفلك والموسيقى والغناء، مارسه محلاً  
لشخص عصره، وعلاقاتهم، وكرمهم  
وبطولهم، وتصرفاتهم في الرئاسه  
وأحزانهم، وحجهم وهزلهم. كان الرجل  
بحق موسوعياً في معرفته، مستوعباً لكل  
الثقافات في عصره من فارسية وهندية  
وعربية وإسلامية.

وفي بداية عهده يتألف الكتب  
والرسائل وجد كثيراً من الإسهام في  
مجتمعه العباسي، فأضطر عندما كان  
يؤلف الكتب والرسائل إلى أن يتسجماً إلى

ويبدو أن دمامة الجاحظ التي عُرف  
بها كانت سبباً حقيقياً في أنه اعتذر عن  
قبول منصب ديوان الراسل، فمثل هذه  
الوظيفية ذات علاقة وثيقة بالناس  
المؤمنين في الدولة من جهة، وذات علاقة  
أوثق بالخليفة من جهة أخرى، وقد عُرف  
عن اللوك والمسلولين في التاريخ أنهم  
كسوا يؤثرون من كان رعيته وقوراً،  
والجاحظ عايفاً ما حذاً نالاً، وقد كانت  
هذه الدمامة فيما بعد السبب الرئيس الذي  
جعل الخليفة العباسي المتوكل على الله  
يرفض أن يجعل الجاحظ مؤيداً لأولاده،  
عندما اتصل الجاحظ بالفتوح بن خاقان  
وزير المتوكل على الله، وأقدم له كتابه  
المعروف بـ «في مناقب الراسل ورامة جند  
الخلافة»، حصلاً بينهم مودة عميقة  
وصداقة ومراسلات، عندما أخرج الوزير  
الفضل بن خاقان على الخليفة المتوكل بن  
الفساد، فاستخدم الجاحظ إلى قصر الخلافة،  
وعينه مؤيداً لبعض أولاده، لكن الخليفة  
عندما رافى عنه ورفضه، ويذكر الجاحظ  
لنا هذه الحالة قائلاً: «ذكرت للمتوكل  
لتعجب بعض ولده فلما رأيته استسبح  
منظري، فامسك بي بعشرة آلاف درهم ثم  
صرفني».



وتتوالى الأيام، ويطلب المقام لصاحبنا  
في بغداد، ويرد النوايا الأدبية  
والساجدة، وحلقات البحث والمناقشة، وفي  
كل يوم في بغداد تنسج ثقافة، ويكر عد  
المعجبين بأدبه وكتاباته، وبأبي عهد  
الخليفة العباسي المعتصم بالله، ومعه  
تتحول الخلافة من بغداد إلى سامراء،  
وينتقل الجاحظ معها، وفي سامراء يكتب  
الجاحظ على القرام والناثيل، وأصلاً  
نهاره ليلاً، كما كان في بغداد، وتزيد  
شهرة، وفي سامراء يعرف كثيراً من  
الأدباء والمثقفين، وتوطد علاقته  
بأصحاب الحكايات والقصص والناثيل  
أمثال أبي العلاء وجمال، وغيرها من  
نماء الخلفاء والمهجرين في قصيرهم.  
وتتسجم له الأيام السعيدة، وتقرر له

جناحيها، إذ يتقلد الوزارة في عهد  
المعتصم ابن الريات، الكاتب والشاعر  
المعروف، والمعاشق للآداب والتاريخ  
والثقافة، فيحصل به الجاحظ، ونشأ  
بينهما صداقة عميقة، ويقع بهم الجاحظ  
في ديوان الوزارة، ويكتب له، ويمنحه،  
من شدة إعجابه به يقدم له كتابه الشهير  
«الحيران»، فيخاضه عليه ابن الريات،  
وعطيه مالا فيراً.

لقد اتاحت إقامة الجاحظ في كنف ابن  
الريات أن يرضخ من سامراء، ويسافر إلى  
دمشق وأنطاكية ومصر وهناك يتعرف  
على عادات الناس وثقافتهم، ويتلقى  
بالأدباء والكُتاب، وقد ساد هذا السطر  
خياله الأدبي، وزاد علماً وخبرة ومعرفة  
بأحوال الشعوب، وبالتالي أثرى كتاباته  
الجديدة بالمعارف الجديدة والعلمية.



وكما نشأ عادة - عبر التاريخ -  
العلاقة والحماسية السياسية بين الراد  
السلطة في البلد الواحد، نشأت بين القاضي  
ابن الريات والقاضي أحمد بن داود، فاضى  
القضاة بسامراء، عداوة شخصية كبيرة،  
ويحكم الصداقة العميقة بين الجاحظ  
وابن الريات تجد أن الجاحظ يلقى في  
صف ابن الريات، ويتحيز به ضد أحمد  
بن داود، ويثبت القاضي أحمد بن داود أمر  
سمحت له الأيام بذلك، وفي سامراء يتوفي  
المعتصم، ويستلم الخلافة ابنه الواثق، ثم  
تصير الخلافة إلى المتوكل على الله، وكان  
المتوكل يصدق على ابن الريات أحقاداً  
سياسية شديدة، فقبض عليه، وعذبه،  
وأخله في تونر حصى بالثر، ويسوت  
الوزير من شدة التعذيب، ويصفو الجو  
لبن داود، إذ يقره المتوكل، ويعتقد عليه  
في أمور السياسة، فيصيح رجلاً  
قوياً، ويقرر أن يتنقم من الجاحظ، ويعرف  
الجاحظ ذلك فيهرب ويتخفى بعيداً عن  
الناس، لكن أعوان القاضي يجنون في  
طلبه، ويقبضون عليه، ويحضرونه إلى  
القاضي ابن داود فملوك العلق يسلمه  
غلظة، مفقود الرجين في قميص سلس،  
ويبدو أن السعادة والبهجة لا تصفوا لأحد  
مهما كان على الحب والنسب والأشأن  
والفكر، وكما قال الشاعر الأندلسي أبو  
البقاء الرندي:









كتاب  
الزاوية



الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم أن العمران على الناس في أموالهم ذاهب بأمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حيثئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت أموالهم في اكتسابها وتحصيلها انتقضت أيديهم عن السعي في ذلك. وعلى قدر الاعتناء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتناء كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالأمال جملة بدخوله من جميع أبوابها. وإن كان الاعتناء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته. والعمران وفوقه ونفاق أسوأه إنما هو بالأعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين. فإذا تعدد الناس عن المعاش وانتقضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال.

وانظر ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن الموزيدان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرضه به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائلته على الدولة بضرب المال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له: إن بوماً ذكرنا يروم تكاح بوم أنثى، وإنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها: إن دامت أيام الملك أقطعناك ألف قرية وهذا أسهل مرام. فنتبه الملك من غفلته وخل بالمويزدان سأله عن مراده فقال له: أيها الملك إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية والقيام له ببطانة والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشرعية إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل.

الجاحظ بالباب، فقالت: والجاحظ بالباب، على لغتها، فقلت: «لا قولني: الحدقي بالباب». فقالت: «أقول الحدقي؟» فقلت: «لا تقولني شيئاً»، ورجعت. «وما هو يسخر من أحد الضلالاً؟» «أنا في بعض الضلال» فقال: «سمعت أن لك ألف جواب سمكت، فلعنني منها»، فقلت: «نعم»، فقال: «إذا قال لي شخص: «يا... يا...» قل: «قليل الروح»، أي شيء أقول له؟» قلت: «قل له صدقت».

كان الجاحظ جريئاً على نفسه، وعلى شكله الفحيح، فلما كان جريئاً على عيوب مجتمعه وعلى البخله في هذا المجتمع، لأن ذلك يخدم أفيه، ويزيد تاليهراً في نفوس الفراء، ويمكن أن يطعن عليه القائل الشعبي القائل: «من ساوك بنفسه ما ظلمه»، ويؤري أن كان هناك امرأة ثرية في البصرة، وأديها خاتم نفيس، وقد أرادت يوماً أن تزين لحن هذا الخاتم بربسم، فذهبت إلى أحد الصاغة، وقالت له: «أريد أن ترسم لي صورة الشيطان على لحن هذا الخاتم»، فقال لها الصاغة: «والله يا سيدي لا أعرف كيف يكون شكل الشيطان حتى أرسمه لك، أخشى أنه إذا رسمته لك فخرجت المرأة من محل الصاغة، وبارت في إزقة البصرة وشوارعها فوقع عيناها على الجاحظ، فقالت له: «أرجوك يا سيدي أن تأتي معي، فأنسى مسحاها إلى محل الصاغة»، وهو لا يدري إلى أين هو ذاهب، وعندما وصل إلى محل الصاغة، قالت المرأة للصاغة: «هذا هو مظهري فأرسمه لي»، ويروي الجاحظ هذه الحادثة الغريبة المضحكة قائلاً: «ما أجزأني إلا امرأة مرت بي إلى صاغة فقالت له: اعمل مثل هذا، فبعثت مبهوتاً ثم سألت الصاغة، فقال: «هذا امرأة أرايت أن أعمل لها صورة شيطان، فقلت: لا أدري كيف أصوره، فقلت بك أصوره على صورتك».

لقد رآه قد صمم، أقبل عليه فقال: ياهاذا إن الناس يمزحون ويلعبون ولا يأخذون بشيء من ذلك، فربذ القمص عاكف الله، الحال له الرجل: إني والله قد خضعت هذا بصميتي، فضع اضم جنبتي إلى الأرض حتى جيبته لأمرائي، وقد زدت في التكين وحذفت المقاييد، فإن أردت بعد ذلك أن تأخذها، ففذه، فقال نعم أخذته لأنه يصح لأمرائي أن يصليح لأمرائي، قال: فإنه عند الصباغة، فهاتيه. قال: ليس أنا، أسلمته إليه، فلما علم أنه قد وقع قال: ياأيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: «جمع الشكر كله في بيت واحد» عليه فكان فمقاهه السكر».

ولم يكن الجاحظ يسخر من مجتمعه وعاداته وقيمه وبخله في حد فحسب، بل كان جريئاً على نفسه، وكان لا يجد عيباً أو منتقمة من أن يسخر من نفسه إذا وجد ذلك طريقاً ومسليةً. فهي هو يقول سآخر من نفسه ومن إحدى الجوارى الأجنبية التي لا تحرف لنطق الحروف العربية ببلاسة ودقة: «أنت منزل صديق لي، فطرقت الباب، فخرجت إلى جارحة سندية. فقلت لها: «قولي لسيدي:»

الشرى زبيدة ابن حميد، الذي يروي الجاحظ عنه الحادثة الآتية: «وإنما زبيدة بن حميد المصري، فإنه قد استلف من بقال كان على باب بابه درهمين ولفيراط، فلما قضاه بعد ستة أشهر، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير، فاحتاط البقال وقال: سبحان الله أنت ربنا مالك ألف دينار، وأنا بقال لا أملك مائة فلس، وإنما أعيش بكدي، وباستفصال الحبة والحبنتين، صاح على بابك حسال، والمال لم يهضر،ك، وغاب وكبحك، فاستدعت عنك درهمين وأربع شعيرات، ففحصتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات؟ فقال زبيدة: أسلختني في الصيف ففحصتني في الشتاء، وثلاث شعيرات شتوية ثنية أروان بروي شعيرات بأربعة صبيغة، وما أشك أن منك فضلاً»، وما هو زبيدة الذي يدم على ثوب كان قد وهبه إلى أحد تدمته، ويحاول استرجاعه، يروي الجاحظ الحادثة قائلاً: «وسكر زبيدة فكسى صديقاً له قميصاً، فلما صار القمص على القديم خاف البادوات، وعلم أن ذلك من ملوات السكر، فخصني من ساعده إلى منزله فجعله يركضاً (من ألياف النساء) لاسرته، فلما أصبح سال عن القمص وتقدمه، فقيل له: إنك قد كسوته قاتلاً؛ فبعث إليه ثم أقبل عليه فقال: «ما علمت أن هبة السكران وأمرأه وبسبعة وصدقته وطلاقه لا يجوز». وبعد لبثني أكثره أن لا يكون لي حمد، وإن يوجه الناس هذا مني على السكر، إفرده على حتى أفرسه لك صاحباً، عن طيب نفس، فبأنى أكثره ان يذهب شيء من بالي بأطال».

تهتم وجهات نظره بتعريف قرائنها بمجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتّاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرؤونه من إصدارات. ٢٠٠٦

ومراسلة المؤلف عن صاحب الحرب والسلام لا تتوقف عند تحليل آثاره الأدبية وأعماله الفكرية، وإنما تتجاوزها إلى مواقفه الإنسانية، ذلك أن تولستوي لم يجد مجرّد أدب، بل تره أصلاً خالدة ما تزال بالية حتى اليوم، وإنما كان صاحب دعوة للعدالة والسلام، والمساواة. وقد وضع أفكاره العظيمة موضع التطبيق، حتى أنه - وقد كان غنياً يملك مساحات هائلة من الأراضي التي يعمل فيها عشاري المزارعين - ورّع جزءاً كبيراً من أرضه على المزارعين الذين يعملون لديه، واقتنع بأنهم مدارس كان يدرس لهم فيها بنفسه، وناقى كلّه كلها تقريباً على الأقران والفقراء حتى أن زوجته هجرته لاعتقادها أنه حال صليبه غير مسئول عن تصرفاته، هذه الدراسة الشاملة لتلبي أفسوساً باهرة على تولستوي الأديب الكبير والإنسان صاحب المبادئ العظيمة.

فلسطين - من النكبة إلى أوسلو (طبعة ثانية)  
عماد جاد  
القاهرة - مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٢، ٣٦٨ صفحة



بشهادة الحرب الباردة تزايدت الأمل بقرّب التوصل إلى مستويات شاملة للصراعات الإقليمية. وهو ما جرى فعلاً في عديد من تلك الصراعات تحت مظلة الخطاب العالمي الجديد، لكن بقي الصراع العربي الإسرائيلي يراوح مكانه حتى بعد العبارة الأمريكية بعد مؤتمر دولي في مدريد ٤ أكتوبر ١٩٩١، لكن يوميات الصراع تشير إلى أن الأمور ازدادت سوءاً منذ ذلك الحين ومازالت، فهل يمكن الأساليب في طبيعة الصراع بوسيلة نموذجاً لصراع إقليمي، أم في الإنشياز الغربي - والأمريكي خصوصاً - للجانب الإسرائيلي.

من الكتاب إلى أوسلو، يتابع المؤلف يوميات الصراع، وهو يعطي أهمية كبيرة للعامل الديموجرافي والهجرة والزواج ومعدلات الزيادة السكانية وطبيعة الأنشطة التي يمارسها السكان الفلسطينيون والإسرائيليون، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لهم وتلك على هويتهم، ثم يبحث في الضبايات

معروفة، ومازالت الجزائر تعانيها حتى اليوم، والتي يرجعها المؤلف إلى صراع العنصر، سواء في صفوف الجيش أو الإسلاميين.

وتحت عنوان الجماعة السلفية للدعوة والقتال، يتابع جوش ميشال ساكنون دور هذه الجماعة التي تشكلت في عام ١٩٩٨ في إكّاء وتوجيه عمليات العنف في الجزائر حتى اليوم، وبالذات مواقف الأمير حسن خطاب وعمليات القتل المتبادل في صفوف الجماعة وعضوف العسكريين، ويرصد كيف استطاعت هذه الجماعة أن تجتذ عتير الأشخاص في مناطق مختلفة من الجزائر، ويكشف عن مصادر تمويلها الداخلي والخارجي.

ويقدم آلان كريتيان، قراءة تاريخية للجماعة الإسلامية المسلحة، ينتهي فيه إلى أن هذه الجماعات ما زالت نشيطة على الساحة برغم ما قالت من هزبات، ومازالت يدخلها عناصر من تلك التي كان يتزعّمها عتير الزوايري وحسن خطاب، وأن قدرتها على تحدي العسر والجمع ما زالت قائمة.

ويرصد «ريشارد إيفينغز» في دراسة أخرى الشبكات الإسلامية العاملة في أوروبا، ويبدأ من جمال لوتيمسي، الذي اعتبرته دولاً أوروبية عديدة المجر الرئيسي لتزويد الشبكات الجزائرية بالسلاح، وتشكل برطانيات أهم بؤرة أوروبية لتجمع الإسلاميين الجزائريين، ويقدّم الباطح تفاصيل أخرى عن شبكات الجماعات الإسلامية في ليبيا وسويسرا وألمانيا وإيطاليا والسويد وفرنسا، ويتتقد في الضمام الشطاب الإسلامي الذي يشر به طارق رمضان في أوساط الإسلاميين العتاشين في أوروبا.

تولستوي  
محمود الخفيف  
القاهرة - الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة ذكرى الكتّاب)، ٢٠٠٢، ٢٦٠ صفحة



صعد هذا الكتاب لأول مرة قبل خمسين عاماً، وهو أول دراسة عميقة في المكتبة العربية عن الكاتب الروسي الأشهر ليو تولستوي.

نهاية، فما أن تنتهي واحدة حتى تبدأ منها أخرى وهكذا. من الوصايا.

إذا رأيت عاصفة في وجه عظيم عليك، فلا تقاها، أعفها وبأنك لو، لا تمنعني، فاقاها، الجبل يحجب أمراة، ولعب الغرام بكليته أن جال، لا يلعب للمرء إلا مرة واحدة

الجماعات الإسلامية المسلحة  
ترجمة عبد الرحيم خزل  
الدار البيضاء - أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢، ١٧٥ صفحة



يسعى مؤلفو الكتاب إلى رسم خريطة للجماعات الإسلامية المسلحة، وهو في الأصل ملف أعدته مجلة دفتات لشرق، الفرنسية، ويبدأ بدراسة عن الدولة والجيش والعنف في الجزائر كتبها محمد داوي، ثمصل إلى استنتاج مبني هو أن الإرواجية التي جمعت جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، أحدهما معاً يشكلان جهازاً سياسياً وعسكرياً، حتى أنتمقلت الدولة المتلفة من حكومة أحادية يجسدها حزب وحيد وعسكرة تكون الغلبة فيها للسلاح.

ويتابع المؤلف صراع العتاشين في سبيل تكوين دولة وطنية، ثم وصول بدية إلى السلطة في ١٩٦٢ وخلع الذي أكد سلطة الجيش واستحالة تصديع أو تقليص سلطانه، وهو ما انعكس على فتره ولاية بومدين الذي توفي في عام ١٩٧٨، لكن فترته لم تؤخر على ماويز القوي وبقي للجيش حضوره القوي في الجالين السياسي والاقتصادي، وتأكد هذا الحضور مع التثالي من جديد، لكن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة اقترن حالة من الاحتقان الاجتماعي على خلفيتها جماعات إسلامية، رأت أن حل مشكلات الجزائر يكمن في تطبيق الشريعة وإكمال بناء الدولة الإسلامية لتكون سيلاً جديدة بين الاشتراكية والبريتانية، ومهدت انتفاضة أكتوبر عام ٨٨ لظهور الإسلاميين بقوة، وسطع نجم الجماعة الإسلامية للإنقاذ، واكتسحت الانتخابات التشريعية واعتقل قائدها عباس عطفي وعلى بلحاج وألغت نتائج الانتخابات، وبقية القصة

سفر الموت من أفغانستان إلى العراق  
محمود الخافي  
الإسكندرية - دار الشروق ٢٠٠٢، ٢٢٨ صفحة



بعد كتبايه «حرب الخليج والصاروخ» والذي اعتمد فيه على وثائق الخارجية الأمريكية في تحليل أسباب ودوافع وأهداف العدوان الأمريكي على فلسطين، يأتي هذا الكتاب الذي يعتمد بعض على الوثائق الخارجية الأمريكية، خصوصاً تلك التي تتناول الإرهاب حول العالم، حيث تبدو الولايات المتحدة الأمريكية ساعية وبغية نحو إعادة تشكيل العالم بزعم مقاومة هذا الخطر الجاثم الذي أجمع ٧٩٪ من الأمريكيين في استفتاء لدرأي أغلب أحداث الحادي عشر من سبتمبر أنه الإرهاب.

سمتد الحرب ضد الإرهاب إلى عشر سنوات قادمة، هذا ما أكدته الإدارة الأمريكية، التي أعادت اكتشاف الحق في التدخل في أي مكان في العالم لدرج الإرهاب ومطالبة الزاميين في التهوف وفي الجيش ووزير الأبحاث، هذا هو ما يسميه المؤلف «سفر الموت» ويبدأه التقارير السنوية التي أصدرته الخارجية الأمريكية حول الإرهاب في العالم وحددت فيه الحصور والأعداء أو من أخطت عليهم، محور الشرح، فلي استنار العالم مزيد من الحقائق.

الوصايا في عتق النساء  
حسن سبيحي  
القاهرة - دار الشروق، ٢٠٠٢، ٢٢٨ صفحة



قانوني عتق الأول - كما يقول النافذ الدكتور محمد عبد الحظ في تذييل الدوي - هو الوصال الذي يستغرق الصد والجسد، ذات أثار كوت بهوي الصعود إلى السماء، فإن الجسد هو مروسها الأرضي، وهذه الوصايا بلا

أسقفار موسى (العهد الأخير)

هو سنة . نحو أمدّة

عمان المؤسسة العربية للدراسات

والعشر، ٢٠٠٢، ١٤٢، صفحة



بامتلاكه الاسم، توهم الشاعر أنه  
موسى كليم الله قراح يتاجيه، ويطلب  
منه أن يعود إلى أرض ميعاده  
(فلسطين) كما فعل موسى.

إنه يقاوم روح الطغيان - كما يقول الدكتور صلاح فضل - باستشارة أنبل المكنون في تراثه الأصيل، وإذا كان عدوه الصهيوني المهووس قد أقام حلمه القومي المتعصب على أساس التناويل التوراتي، فإن التوفيق القرآني الناجح يصبح مصدر الرؤية الخلاقة للمستقبل.

يضم الديوان عددًا من الأسفار هي  
سفر الخطيئة، سفر الهزيمة، سفر النعمة،  
سفر التفتيح، سفر الرؤيا، سفر الأيام،  
سفر الرموز، سفر الخيانة، سفر العبث،  
سفر القرن العشرين.

من أجواء الديوان:  
أراني / غريباً في بلاد الناس  
غريباً في بلادى  
سحباً في قيودى  
طليقاً في قصائد لم تلتصق  
نشيداً هي مدائح لم تغن  
حروفاً هي رسائل لم تكاتبني.

## صناعة العداء للإسلام

و حب الدنيا

القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٥.

مساحة



يضم الكتاب ملفاً باقوال وكتابات زعماء ومفكرين من أوروبا وأمريكا عن الإسلام والمسلمين، فضلاً عن أعمال سينمائية وتلفزيونية عربية تناولت المسلمين، وتكشف عن جذور العداوة الغربية للحضارة الإسلامية والتي تفجرت في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

وبين ما يقدمه المؤلف تقرير  
بريطاني أعدته لجنة خاصة لدراسة  
الإسلام في بريطانيا هناك، وقال التقرير إن  
المسلمين في بريطانيا يعانون من الظلم  
والحرمان والإقصاء والفرقة في  
التعليم وفي المعاملة فضلاً عن التحرش

**لماذا يكرهوننا.. لماذا نكرههم؟**



**كراهية تحت الجلد**

صلاح الدين حافظ  
القاهرة - دار الشروق،  
٢٠٠٣، ٢٨٢ صفحة

بحسب ما يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في تقديمه للكتاب، فقد تحولت الولايات المتحدة الأمريكية من قوة عظمى إلى قوة أعظم، ثم هي تنعم الآن، بصفتها القوة العالقة (Hyper-Power).

وهذا الكتاب يسعى للإجابة عن السؤال: لماذا يكرهوننا.. لماذا نكرهم؟  
ويقدم الإجابة تقريباً.. العنوان الفألي للكتاب: إسرائيل عقدة العلاقات  
العربية الأمريكية.

الإجابة السهلة الساذجة قدمها المنظرون وصناع السياسة الأمريكية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التي كانت صاعقة وانعطافية بدرجة مذهلة، قالوا: إنهم يكرهوننا لأننا اقوياء متقدمين وديمقراطيين.

وهي كما نرى إجابة استعلائية فضلاً عن كونها بعيدة الصلة بالحقائق أو منبئة عن المستقبل - كما يقول المؤلف - هي قديمتا وبعيدت، ولأن أولئك تترك القضية على وجهها الصحيح، فإنهم لم ينفوا أي العزيمة.

وبدا الإسرائيليون يطرحون قضيةهم على الرأي العام الأمريكي على صناع السياسة وفي محاولة بسيطة، أنتم هم الأمريكيين ضد الازهاب الذي طال موج ضارتهم العسكرية والصنعية والاقتصادية، وتصنيفهم الفلسطينيين وسحقهم، في جزء من هذه الحملة الدوائية ضد الازهاب العالمي.

لماذا يبدأ بالبحث في أصول هذه المذخورة وجذورها، فالعرب تعرفوا بالآلاف وبينهم عرب احتككتهم ومضات عنصرية وسفوت طاول من الاستعمار والقمع، أما الأمريكيون فإن الاحتكاك بهم تمزج بمسحة تبشير دينية، مختلفة من مبادئ الرسالة الإلهية التي خص بها الرب الأمريكي أصحاب الحضرة الجديدة.

وعبر الإيمان بهذا الدور توالت الإرساليات الأمريكية حاملة الدعوة إلى التسليم، فاستجابت، لكن شيئاً لم يتحول دون المهمة الرسولية الهائلة التي كان على أية دعوة مسيحية تستعدي الجبابرة وحواضرها عند اللزوم، ولم تكن إسرائيل بعيدة عما جرى، لقد استغل هذا التحول، واقترب بالذرائع الرسولية التي ظهر من مديدة العالم الجديد التي صارت مساحتها وأبوابها، وانتشرت في كل قنصر المسيح من جديد بين اليهود وقرى أرض صهيون، ولجدها إن من إقامة وطن يتجمع اليهود فيه حتى يظهر المسيح ويخلص المؤمنين، وسادده إلى الانتصار على قوى الشر ويقسم مملكة السلام لآلاف عام حتى قيام الساعة.

وبقوة السياسة وسحرها، انتقل الفريقان إلى مرحلة التفاوض. أدى اللقاء فيها المحادثات الإسرائيلية دوراً رئيسياً، ورست في العقل الأمريكي عدة مفاهيم لها مكانة أساسية الآن: واجب جنوبي، وصارت إسرائيل جزءاً أساسياً في تسييم المجتمع الأمريكي، بوصفها جزءاً من الحضارة الغربية، ودورها في حماية مصالح أمريكا والغرب، وأردع الطوابعات النووية في العالم العربي، فلاح جد أن إن وكيل الأمريكي بمكيانين إن كانت إسرائيل طرفاً في خصومة - وأنها يفسرنا على طول الخط، فإعنا من المصادمة التي أكتست خصومة دينياً: إننا.

لكن العجب - بعد هذا كله - أن يتساءل الأمريكيون: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟

المطروحة لحل الصراع وخطوط كل منها من النجاح، ويتابع مسيرة التفاوض والحل السلمي وما انتهت إليه في أوسلو.

العلم والفرضية

هنري بواكاريه  
ترجمة وتقديم حمادي بن جاد بالله  
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،  
٢٠٠٢، ٢٢٢ صفحة



الكتاب هو أول إصدار للمنظمة العربية للترجمة، وهو من أبرز ما كتب الفيلسوف بونكتاربه، وفيه يضع الحقائق العلمية موضع الشك والتساؤل، ويؤكد على أن ما يمكن بلوغه من العلم ليست الأشياء في ذاتها، بل العلاقات الرابطة بين هذه الأشياء. الكتاب مقسم إلى أربعة أقسام تتضمن ١٤ فصلاً.

المغرب هي حلى المغرب  
أكمل تأليفه: ابن سعيد الأندلسي  
تحقيق: زكي محمد حسن - شوقي  
ضيف: سيدة كاشف  
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة،  
سلسلة الذخائر، ٢٠٠٣، ٤١٨ صفحة

[illegible]

## وش على ريم الصراع

خالد أمين حجازي

القاهرة: هيئة قصور الثقافة (سلسلة إبداعات) ١٧٠ صفحة



ديوان بالعامة نواحد من جبل الشعراء الشباب في عصر صيفي بالخيال والشكل ويعتمد الشعر وسيلة لإبراز لفته.

من لسان الديوان: غيمانه في المرات تخضع عصافيري / وتلؤل لها

طيرى وفي الهوا الجناحات / تدخل دواير

عشق وتعلم المسافات / تنزل على الجنة

عشاق من تنحلي / ما تلاقى غير

جمرات

## الغزل في عصر صدر الإسلام

حسن جبار الشمس

عمل الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ٢٦٠ صفحة



وضع القرآن حدوداً أخلاقية للشعر والشعراء، ولعصر الزخرفي والشعراء يتجسم الغموض، بأن الفانس لا ينبغي أن تتجسم على أي طائفة وتذهب وما هم عليه من الغموض وتزق الأعراس والفتح في الانسحاب، فالأساس الذي ينشده

الإسلام في الشعر هو الصدق والخير، وكذلك تلك الرسائل القريم والخلفاء الراشدين لما وقع ذاته، وانعكس ذلك الموقف العام على الموقف الأخلاقي للإسلام من شعر الغزل وموضوع الحب،

لقد سعى إلى تحقيق الألفه في القول، وجعل العلاقة بين الرجل والمرأة قوامها

الشفقة والويرة والرحمة.

ويرى كثير من الباحثين للثقاق مثل الدكتور شوقي ضيف والدكتور يوسف

خليفة أن الحياة الإسلامية كانت سبباً

الساكن في الوجهة البدوية الإسلامية، ومن ثم سادت موجة الغزل العذري في عصر الإسلام، وتطور الغزل العذري الذي

ظهر النفوس ويراه من النوازع الحسية الشخصية، وإلى الغزل العذري، يخصص الفصل الثاني للفصل الحسي، والرابع

ويصحبون أقل قدمه على استعفاء

الأحداث والتكريرات السابقة.

التذكر إن إحدى العمليات المهمة التي تجري في المخ، والمؤلف في سياق

دراسته الطويلة يشير إلى ما يعرف بالذاكرة الكلية أو الذاكرة، والتكريرات

الاشعورية، والذاكرة التي معرضت للصدمة، وإثارة الفاضل لاستجابات

في قضايا معينة، وغيرها.

## أسرار وحكايات في بلاط صاحبة الجلالة

محمود صلاح

القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢، ٢٨٧ صفحة



يضم الكتاب مذكرات الكاتب

الصحابي المشهور الذي لقب بأبي

الصباحة العربية محمد المتنبلي، وقد كان على صلة وثيقة بالصدر ورجاله،

كما ربطته صلات وطيدة برؤساء الأحزاب السياسية، حيثما، وقد تلاحقت له هذه

الصلات أن يتابع عن كتب مجريات الأحداث وأن يفسر بسدة من صناع

القرار والسياسة في مصر قبل الثورة، وكان ضيفاً في رحلات الملكية إلى

أوروبا، والتي لم تكن متاحة إلا للفرعيين جداً، وهو الذي كتب حكاية الملكة نازلي

ورئيس الديوان الملكي أحمد حسين.

لكن المؤلف يبين في هذا الكتاب ما عتبه التام في حياته ٤ فبراير عام

١٩٤٢، الشهر، حين حضر الديانات الإنجليزية لقص عيادته وأجبرت الملك

على أن يأتي بحزب الوفد، صاحب الجماهيرية الكبيرة إلى الحكم، في

يتبع الاستقراء الذي تنمنا إنجلترا أثناء الحرب، وتنامت ذات الحادث

الخطير على البلاد ويرود أفعال الأحزاب والفرقة السياسية تجاهه.

كما يتناول مؤلف مذكرات اللواء محمد حبيب أول رئيس جمهورية مصر

في أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢، حيث يمكن تفاصيل مديرة عن حياته تحت

الإقامة الجبرية في القل الخراج، ويحاور المؤلف زكريا محمد الدين،

وهو واحد من أبرز رجال الثورة الذين لعبوا أدواراً مهمة وتلقوا مناصب

خطيرة، وقد عرف زكريا محمد الدين بلقب رجل الصا، فقد كان عروفاً على

التحدث في الصحافة، لا غير حتى على ما يسمون إليه، وقد هذا الدور بظلم

عن قدر الضباط الأحرار في بداية الثورة وعن العلاقات السراة وصف

التفوقات، وغيرها من الموضوعات والأسرار المهمة في التاريخ المصري.

ومواضع أول عدة نيمو في خلفية

الحدث، لكنها تؤثر عليه بمرجة أو

بأخرى، مثل الصين وباكستان وروسيا

والإيران ودول أوروبا، وعلاقة ما جرى في

أغانستان بالصراع العربي الإسرائيلي

وتأثيرها عليه، كما يتضمن نحو سبعة عشر ملحقاً وثائقية لوميات الصراع في

تورا بورا وما آل إليه.

## سيكولوجية الذاكرة

محمد قاسم عبد الله

الكويت: عالم المعرفة، ٢٠٠٢، ١٥٥ صفحة



الذاكرة هي جوهر العمليات

العرفية، وهي ضرورة جداً لاسترجاع ما تم تعلمه، وهي حين تعاني ضعفاً أو

اضطراباً فإن ذلك ينعكس مباشرة على

الذاكرة نفسها، وقد الكتاب يقدم خلاصة أهم وأحدث النتائج عن

الظواهر النفسية التي تخص الذاكرة، طبيعتها، علاقتها بالظلم، بالإدراك،

بالمنفعة، أشكال الذاكرة وروابطها بالصفة النفسية وغير السن والأوضاع المزمنة.

لكن النسيان ليس دائماً ما ينك به الفرد، فيحسب علماء متخصصين يشير

إليهم المؤلف، فإنه - أي النسيان - من الظواهر النفسية ذات طوية المدى، وهو

ضروري للإنسان، ولولا لهذا التفكير مضطرباً وغير منظم.

وما يميز في هذه الدراسة المهمة ما يذهب إليه المؤلف من وجود ذاكرة لدى

النبات، تمكن من الاستجابة الطبيعية لحوال نمو كالماء والهواء والشمس

والزهر في عباد الشمس في اتجاهها الدائم نحو الشمس مثلاً، كما أن بعض

النباتات تفرد مواد كيميائية معينة كي تقتل بها الآفات الضارة، فيما تفرد

بعضها مواد أخرى تجذب إليها حشرات تغتات عليها، علماء كثيرون يؤلفون على

أن هذه ذاكرة موجودة في الحصف النوري اليربوزي DNA، وهي عبارة عن

تعليمات تحرك النباتات وتتحكم في تصرفاتها، وبالتالي فإن الحيوانات والحشرات لهنه.

ضمن نواصيه، ٢٢، يجيب المؤلف عن السؤال: لماذا تضعف ذاكرة كبار

السن، ويجيب بأن التقدم في العمر يصاحب عادة بتغيرات بيولوجية

وكيميائية تؤثر على وظائف الدماغ، فتعود عديد من الخلايا ويحدث ضعف

عام في عمليات الهدم والبناء، ويشكل عام فإن التقدم في السن يعانقون انخفاضاً في الذاكرة طويلة المدى،

والعنف الذي يصل إلى حد المواجهة

الصراعية، ويشير التقرير إلى أن هذه

الإسلاموفوبيا هي السبب في أنه لم يظهر حزب إسلامي في بريطانيا، ولا

يوجد عضو مسلم واحد في مجلس اللوردات وأظهر مرشح واحد في

مجلس العموم، رغم أن مجلسي بريطانيا يبلغ عددهم نحو مليون

شخص، كما يشير المؤلف إلى تقرير نشرته مجلة النيكونومست في

أغسطس عام ١٩٩٤ عنوانه: الإسلام والغرب.. الحرب القادمة، ونشرت رسماً

بحجم صفحة كاملة يمثل الحروب الصليبية وعزو أوروبا للإسلام، وتحذر

من أن هذه الحروب الصليبية ستكرر، وتطالب بمفهمها، وتتأهل المؤلف

بالتحليل كتاب جاك فريمو، فرنسا والإسلام، والذي يؤكد مؤلفه أن فرنسا

اشتكت من خلال حرب الاستقلال الجزائرية أن الإسلام هو الحرك الذي

أشعل نيران الثورة في نوفمبر عام ١٩٥٤، أنها شعور فرنسا بالخاطر

الإسلامي فبدأ في أعقاب الثورة الإيرانية وتدابيرها، ثم العديد من

مظاهر العنف في عواصم عربية عديدة، حثقت حالة من العداة للإسلام والخوف

من اصحاب نمم الديانة، وشعورهم أن المسلمين يمكن أن يهددهم في مكر

دارهم، أما في أمريكا فإن الصراعات اليهودية والمسيحية واليهود والمسيحي

المتطرف كان له دور كبير في إذكاء نار الحروب للإسلام والمسلمين والذي رادت

حدثه أضعافاً في أعقاب أحداث سيبين.

الكتاب يضم نحو ثلاثين ملأ بور جميعها في هذا الإطار ويتساءل عما

فعله المسلمون لمواجهة التثوية.

## تورا بورا أولى حروب القرن

يرسف الجهمي

دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٢، ٢٦٦ صفحة



الظف هو عنوان أولى حروب القرن

في أفغانستان وأبرز واقعها، كما أنه - وفق تحليلات عديدة - أحد أهم أسباب

الاضطرابات الأمريكية لضرب العراق، الإرهاب وملاحقة قلول الطالبان

والقاعدة والارتقاء بسامه من لآن حيا أو

مبدأ أساليب ظاهرة مردها الرئيس

أكثر من إدارته، لكن قصة أسبأ أعق

وامع تحت نعت السطح البارد.

الكتاب يشير إلى تلك الأساليب في إطار ما يسميه بالمؤامرة الأمريكية الصهيونية الكبرى، مستعرضاً في الوقت ذاته بعض الموضوعات ذات الصلة،

إشرافه

التحاني يوسف شبر  
القاهرة: هيئة قصور الثقافة (سلسلة  
آثار عربية)، ٢٠٠٢، ١٦٦ صفحة



يعد الشاعر واحداً من أكبر شعراء  
الفكر الصوفي في السودان، وفي فترة  
الشعرى صفوها وشكلاً وتوصفاً فلسفياً  
يصله باهم النظريات الفلسفية عند  
المصوفة.

من أجواء الديوان  
أقدم له أبو البري مانتاً  
واستعين البيان حر الأسف  
وصاغ له الأصفاء قيراً لها  
يستعين الدرر غير الصف  
واسكب على غير النبوغ الدما  
وانثر على غير الشباب العرف  
واختار بواكير الربا انما  
واجمع لجد الشعر مد الترف

العولة والفكر العربي المعاصر  
الحبيب الحجابي  
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢،  
١٢٠ صفحة



الشرط الأساسي الذي يضعه المؤلف  
كي تكسب دول العالم الثماني وإلى  
مقدمته الدول العربية ورهان العولة، هو  
أن تصلح شعوبها السياسية إصلاحاً  
جوهرياً، ويحذر من أنه ما نتج  
الشعوب العربية من كسب رهان  
الديمقراطية ستختلف عن التحديث قرناً  
وتصفاً على الأثر، وسيدفع نفسها مطالبة  
في نهاية المطاف بالعمل السياسي  
والحرية، وقد كانت لطيف جيل الرواد  
مطلع القرن الماضي.

المؤلف يبدأ بتحليل العولة كشاهرة  
وتكشف تجلياتها في السياسة والاقتصاد  
والإعلام وسواها من شئون الحياة، والتي  
تضوء على مجالها الحضاري بإيجاده  
التيوية والسياسية، والاتصالية، ويشير  
إلى أن قوة المجتمع المعاصر تكمن في  
سيطرته على الفضاء وسبل الاتصال،  
كما أن تحول المجتمع الحالي من مجتمع  
صناعي إلى مجتمع معلوماتي يستلزم  
الانتباه إلى شروط هذا التحول والاعتماد  
وآراء التحولات المهمة في عصر  
العولة، يؤكد المؤلف على أن عصر

لغزل الجند ومعاني الغروسة، ويقدم في  
الفصل الثالث طبيعة الغزل في مقدمات  
القصائد، ويحلل في الفصل الخامس أبرز  
العناصر الفنية لشعر الغزل.

ويتبنى المؤلف إلى عدة نتائج منها:  
أن الشعراء نظمو الغزل في صدر الإسلام  
كما فعل الجاهلون والأسويون، وأن  
الإسلام لم يمنع الغزل بل شجعه وفق  
الشروط الأخلاقية محددة، وأن الغزل  
الغزري يعتمد جذوره في العصر  
الجاهلي، وإن بعض الشعراء تغزوا في  
زواجهم وكان الإسلام سبباً في ظهور  
صنائه هذا الغزل، كما أن الإسلام لم يهدم  
الموروث الجاهلي في تقويس الشعر  
المعاصر، ولهذا جاء أكثر غزلهم الحسي  
الاستمالة، أنزل الجاهليين في صوره  
ومضامينه.

ويقدم المؤلف نماذج عديدة لهذه  
النوع من الغزل بأغراضه المختلفة

مقالة في القفرس

أبو بكر الرازي  
تقنين: يوسف زيدان  
الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية،  
٢٠٠٢، ٥٥ صفحة



اشتهر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي  
المعروف في ٢١٣ هجرية بأنه من أهم  
الخصميين التي تألفت في سماء  
التاريخ العلمي الإنساني، واشتهر  
بمؤلفاته العلمية وإسهائه الطب على  
قاعدة البحث الإكلينيكي دون أن يغرق  
نفسه في البحوث الإكلينيكية، واعتبر  
كشابه الحايي أهم موسوعة طبية  
إكلينيكية في الإسلام، فقد سجل فيه  
الرازي آلاف الحالات المرضية والطرق  
العلاجية، ولئن بقيه الحايي، للرازي  
رسائل فلسفية وطبية، وتعد هذه  
المخطوطة «مقالة في القفرس»، أقدم  
مخطوطة طبية بالإسكندرية، وهي ضمت  
مستقيمتين ببلدية الإسكندرية وتقع في  
عشرين صفحة، وقد صار فيها على  
طريقها في الاهتمام بالجانب الإكلينيكي  
لرؤى القفرس ومناياها أعراضه  
وعلاجاته وارتباطه بالبنية العامة  
للمجتمع وأجهزة الجسم المختلفة، وهي  
تأليفه طبعاً تشير إلى أثر الفلسفة في  
كشابات الرازي الطبية، والكتاب  
يتضمن ترجمات إنجليزية وفرنسية  
والمائة للرسالة، تأتي ضمن مشروع  
النشر الثاني مستعمدة اللغات  
للعنبة.

التقدم والحدأة: العقل والعلاقة  
الحربية في الفكر الفلسفي العربي  
المعاصر: الأخلاق أو الحكمة العلمية عدد  
الحدأة: الإشلال السياسي.

ويستعرض القارئ الرئيسية  
الثلاثة التي سادت الفكر الفلسفي العربي  
منذ القرن التاسع عشر وفي الإصلاح  
والليبرالي والعلماني، بالإضافة إلى  
دراسة نماذج من المؤسسات الفلسفية في  
مصر والعراق ونماذج من رموز عروبة  
للمشتغلين في حقل الفلسفة.



حياة البوذا  
ناسكارا كيبا

ترجمة محمود منقذ الهاشمي  
دمشق: منشورات وزارة الثقافة  
٢٠٠٢، ١٩٠ صفحة



تتمت الديانة البوذية بعيداً أساسياً  
يبدو حول ما إذا كان الشخص يدرك في  
داخل نفسه معنى الحقيقة الخالدة أم لا  
هذا هو حقله البوذا بحسب ما يرى  
اتباعه، الذين يرون أن كل شخص ينتمي  
إليه عليه أن يسير على نهج ذاته  
«شاكيموني» هو الاسم الحقيقي  
مؤسس تلك الديانة العالمية، أما لقب  
البوذا الذي اكتسبه فإنه يعني «الواحد  
المتور بالواقع الجوهري»، وقد ولد في  
شبه الجزيرة الهندية أبناً لحاكم دولة  
صغيرة تسمى «شاكيا»، كانت ثروتها  
على وشك الإضمحلال وهدداً لشوكة  
ذاتها الانهيار أو الالتحاق بأخرى كبيرة  
في أحسن الظروف، لكن «شاكيموني»  
ورث العرش، اختار طريقاً آخر، فخلع  
عن العرش ويأشر حياته للتشقق البدني  
يبحث عن جوهر الجوهري، فترد أن يغادر  
زوج وأنجب، فقد كان قرانه أن يغادر  
بيتها وأسرتها ويطلق بالهندية  
عمره وهو ما زال بعد في التاسعة عشرة من  
عمره.

انخرط شاكيموني في التشقق حتى  
أضعف جسمه إلى حد الهزال وجلس عند  
جذع شجرة ندى حتى استسلم لآلام  
عميق حيث وصل إلى «التور» - الحقيقة  
الحقيقية - وهو في أواسط الثلاثينات.  
وقد درس «شاكيموني» البوذا على  
به استاذين حتى يكون أقدر على التعامل  
والإعتناق من رغبات الجسم، لكنه في  
رحلة البحث الطويلة، انتهى إلى أن  
البوذية التي يشهدها ليست تعالماً يدعو  
إلى الزهد والتشقق، ولا هي مجرد فلسفة  
تأملية مثالية، إنها ديانة السبيل الوسط.

الإبطال والزعامة قد ولي، وإن العصر  
هو عصر الشعوب والانتظام والحلول  
الحوارية والتفريق بين الممكن والناموس.  
عصر التفتت غير الحكومية والأفكار  
الحرية، وليس مقبولاً - حسب المؤلف  
- أن «نقلنا» وننتصر محلياً، وفي  
العولة التي عدت قاعدة زعيم للعولة.  
والأصا لأصوب أو أن تفر عالمياً  
وتتصرف عالمياً.

وفي القسم الخاص بالعولة والفكر  
العربي يناقش المؤلف الأفكار  
المحورية الواردة في نماذج من أبرز  
الخصميين التي تناولت العولة،  
خصوصاً عند حسن حنفي وعبد  
الحايي وإسماعيل صبري عبد الله،  
ويتبنى إلى عدة علاصات منها -  
الحديث عن العولة الاقتصادية يقتضي  
بالضرورة بحث موضوع نمط الإنتاج في  
شوء التطورات التكنولوجية وقوة  
الاتصالات، ويوجه المؤلف الانتباه إلى أن  
مفولة الطريق القائل التي ظهرت في  
أوروبا لم يتم التعامل معها في بلدانها  
بالجدية الواجبة، فهي تستلزم  
مؤسسات مجتمع مدني قوي ومؤثر، كما  
تستلزم تنسيقاً بين الدول العربية حتى  
في المجال الاقتصادي، وإتخاذ التنسيق  
في هذا المجال يجعلها فرصة للبرارية  
الجدية.

ويشير المؤلف ضمن ملاحظاته  
النقدية إلى أن لفظة لا تعدو وعونها  
مرحلة من مراحل تطور المجتمع البشري،  
وهي في هذا الجانب تعد لفرقاً  
لديولوجية للبالية البالية الجديدة وعدم  
فضيل للشيوعية جمعاً، ومن ثم قد يرى  
التمييز بين الأشياء في هذا الإطار يضعها  
في مفاصله خاضعة على هذا النحو:  
الإشراقية هي القبط الفعلي للعولة،  
وأخيراً يركز المؤلف كما بدأ على  
الجانب السياسي قبل أي جانب آخر،  
ويراه الجانب الأساسي في الثورة  
العولة.



الفلسفة في الوطن العربي في مائة

عام  
مجموعة من الكتاب والأكاديميين  
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،  
٢٠٠٢، ٦٤٢ صفحة



يحتوي الكتاب على أوراق شدة  
والفكر الفلسفي العربي في مائة عام،  
والتي عكفت بمعالجة تحول العالم من  
قرن إلى قرن ومرور قرن على إشهار  
الجمعية الفلسفية المصرية، ويعرض  
الكتاب لخمس إشكاليات رئيسية هي:

وكانت غرقها لكن جهود الإنقاذ فشلت في العثور عليهم أحياء.

ويتحدث المؤلف وهو مصفى تليفزيوني بريطاني عن عدم استبعاد انظم الإنقاذ الروسية جيداً وعدم قدرتها على تحديد مكان القواصة الغارقة في البداية، الأمر الذي استندى الاستيلاء بالقوة بواسطة بلجيكية وبريطانية، وكان الوقت قد فات لبعث موت هؤلاء الناجين.

إن البعض اعتبر غرق القواصة بمثابة دليل على الوضع الحالي الذي وصلت إليه روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي، وأكثر ما في الكتاب الدالة التحقيق المصطفى الذي أجراه المؤلف حول الجهود اليابسة للتحقيق بالقواصة الفارسة وحول العلاقات بين الروس والبلجيكين حول طريقة الفتح.

#### Remembering Childhood in the Middle East: Memoirs from a Century of Change

(تذكر الطفولة في الشرق الأوسط: مذكرات عبر قرن من التغيرات)  
Elizabeth Warnock Fernae  
American University in Cairo Press, 2002, 354PP.



يقدم هذا الكتاب سناً وثلاثين سيرة ذاتية لستة وثلاثين رجلاً وإمرأة من مختلف أنحاء الشرق الأوسط، وتتناول هذه السيرة التي كتبت خصيصاً لهذا الكتاب تجربة الطفولة والنشأة لأصحابها أو صاحبها.

وقد قامت الحرية الإزيات فيرنيا بتجميع هذه القنابات عبر عشر سنين، ثم قامت بتجميعها حسب البلد والحقبة التاريخية التي تعكس كل مجموعة من الشخصيات، بحيث تمدم صورة شاملة للحياة الاجتماعية في الشرق الأوسط خلال العقود المختلفة من القرن العشرين. يبدأ القسم الأول في مرحلة انتهاء الإمبراطورية العثمانية، أي في العشرينيات من القرن العشرين، وهو يضم مذكرات الطفولة وانتقال كل من محمد فاضل الجميل من العراق، تشارلز عيسى من مصر، وسلي خضرا الجبسي من فلسطين وأخيراً من سوريا والأردن والسعودية.

القسم الثاني يتناول مرحلة الأربعينيات وتأسيس دولة إسرائيل، والحكم الاستعماري الأوروبي، ثم مذكرات ظهور القومية العربية، ويقدم مذكرات عربية وتركية وإيرانية.

أما القسم الثالث والرابع فيضمان الأجيال التي نشأت في المستعمرات والسبطين والسبطينيات ومبرين عن

#### A Concise History of Greece

(تاريخ موجز لليونان)  
Richard Clogg  
Cambridge University Press, 291PP., £40.00



يأتي كتاب البروفيسورة ريتشارد كلوج ليمد تاريخاً موجزاً ويتناول القنابات اليونان منذ نهاية الحكم العثماني في القرن التاسع عشر وحتى الآن، وهناك فصل خصصته المؤلف في القرن العشرين والبعشرين من القرن العشرين، كما تفر فصل آخر عن الهجرة التي أصبحت ملامساً مميزاً لليونانيين، وعلى سبيل المثال كانت هناك جالية يونانية كبيرة في مصر. كما يتناول الكتاب السياسة في اليونان ووزارة الأثار التاريخية ومشكلة بعض الأثار التي استولت عليها الدول الاستعمارية سابقاً قبل بريطانيا. وأخيراً تتحدث المؤلف في عضوية اليونان في الاتحاد الأوروبي وكيف أصبح اليونانيون جزءاً من المجتمع الأوروبي الجديد بعد أن كان البعض يعتقد أنهم فقدوا خلال القرن الماضية علاقتهم بالغرب المتقدم.

#### A Time to Die: The Untold Story of the Kursk Tragedy

(وقت الموت: القصة غير المعروفة لأساة كورسك)  
Robert Moore  
Crown, 271PP., 2003 \$ 25.00



في الساعة ١١:٢٨ صباح يوم السبت ١٢ أغسطس ٢٠٠٠، كانت القواصة النووية الروسية كورسك أسفل سطح بحر بالانس تستعد لإجراء مناورة عسكرية، وكانت الأمور لا تتبين بأي شيء غير متوقع. لكن العكس حدث وغرقت القواصة بعد انفجار كبير. وتسرب الوقود ولم تعد القواصة قادرة على العمل، بل استقلت في الأعماق. وفي هذا الكتاب لا يتناول المؤلف نفسه كثيراً بالحديث عن أسباب غرق القواصة، لكنه يركز على جهود إنقاذ بحارة القواصة، لقد تمكن ٣٣ رجلاً من النجاة من الانفجار الذي حدث في القواصة.

امتد من الساحل ليشمل مدناً بأكملها، إن القرب الأمريكي معرض لكارثة بيئية ومن مثل كاليفورنيا ونيوجاريا وأوتا وغيرها تواجه ليس أقل كارثة بيئية، بل اجتماعية أيضاً، فالقنوع السكاني الزهيق اضراً للبيئة بهذه المقاييس. ويقول المؤلف إن لوس أنجلوس أصبحت تستورد الماء والطاقة وتصدر التلوث والقمامة. ويشير إلى أن الانفجار السكاني في مدينة ما يعادل تآكل جبل، فهذا الانفجار السكاني يعني التوسع غير العقلاني على حساب كل شيء جميل في المدينة، إن إلقاء محلات السوبر ماركت لفضلاتها ومخلفات السيارات الضخمة كل ذلك يؤثر سلباً على البيئة. ويعتقد المؤلف إن حديده عن أمريكا لن يكون سوى مثال ما يحدث في أمريكا كلها. إنها ليست فقط لوس أنجلوس ولندن والجمهورية الأمريكية، فهل يوم الأمريكيون باقتيال هذا الجمل.

#### Jarhead: A Marines Chronicle of the Gulf War

(جندى أمريكي من الخليج بذكر لحرر الخليج)  
Anthony Swofford  
Scribner, 2003, 272PP., £14.99



المذكرات الشخصية لأحد الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في حرب الخليج التي دامت عام ١٩٩١. انتقل سوفورد كان عيرم أثناء عشرين عاماً، ومذكراته التي يقدمها هذا الكتاب تصور شكل الحياة بالمرزق في قاعدة عسكرية أمريكية خاصة بالمرزق كانت ملغمة في السعودية.

يؤمن سوفورد في كتابه مدى العنف والإبادة التي ميزت معاركات الجنود الأمريكيين مع بعضهم بلخ القاعده، فهم يمشون ولقدهم في الحديث عن الجنس ومشاهدة أفلام البورن والأفلام الحربية، كما يقوم البعض بارتعاب البعض الآخر أحياناً، ولكن ما لا تتصور انفعالهم ومعارتهم الشخصية إلى حد التهديد بالاسلح.

كل ذلك تبين مذكرات سوفورد مدى المعاناة الشخصية والعائلية التي يعانها معظم هؤلاء الجنود، إلى جانب كاستلحه وعدم الفؤج الذي تتسم به شخصياتهم. وقد قام بعضهم، مثلًا للحرار، بالهولون عليه خطابات وصور الزوجات والصديقات المختلات. ويروي سوفورد كيف كان بعضهم يفرح بخصما في العراق، سبها في جيش الدواع القوي والمحمية التي تجعل الجندي يسلم بمثل هذه الممارسات الوحشية.

#### A Medieval Islamic City Reconsidered: An Interdisciplinary Approach to Samarra

(سامراء في القرن الوسطى إعادة نظر في مدينة إسلامية)  
Chase Robinson  
Oxford University Press, 2003, 250PP., \$60.00

تحتبر مدينة سامراء العراقية الآن من أهم المواقع الأثرية في العالم. وخلال القرون الوسطى، ازدهرت سامراء عندما احتارها الخليفة العباسي المعتصم عاصمة له، بعد أن واجهته بعض المشاكل السياسية في بغداد. واستمرت سامراء عاصمة للدولة العباسية منذ عام ٨٣٦ وحتى عام ٨٩٢ عندما عانت بعدد مرة أخرى عاصمة للخلافة العباسية.

يقدم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات عن مدينة سامراء في العصور الوسطى، تنحى إلى حلول بحثية متباينة، من تاريخ وعمارة وفن وأدب، ويتخذ الكتاب في مجمله من مدينة سامراء نموذجاً للمدينة الإسلامية والمدنية الإسلامية، بكل ما تضمنه من الحياة الثقافية والفنية وتلك الإدارية وسياسية. يتناول أحد الفصول الفن المعماري الذي ميز قصور سامراء ومساجدها، حيث يوجد بها الجامع الشهير بالمسندة المئوية، ويتناول آخر لثقافة البلاط، وما يسمى بالقصيدة السامرائية، وغيرها من المظاهر الأدبية. كذلك يوجد فصل من المفهوم الأيديولوجي خلف بناء المدينة وتصميمها، ورؤية البناء والزخرفة في عصر الخلافة.

الكتاب صادر ضمن سلسلة دراسات أكسفورد في الفن الإسلامي

#### Dead Cities

(مدن ميتة)  
Mike Davis  
The New Press, 432PP., 2003 £14.95



مؤلف هذا الكتاب أمريكي يحذر من أن بلاده في خطر شديد ويركز على مجال واحد يعتقد أن الكارثة قادمة لا محالة. سالم تحررك السلطات الأمريكية إن التمدد الأمريكي في شتى المجالات كانت له تكاليفه الملمة، خاصة في مجال البيئة ويشير إلى أن مياه المحيط الهادي على الساحل الأمريكي لم تعد صالحة لكي يسبح الأمريكيون فيها، والتكوث

Elizabeth Cohen  
Alfred, A. Knopf, 567PP.,  
\$35.00



بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش الأمريكيين إلى الخروج للشراء ومساعدة الاقتصاد الأمريكي في اللحوض من الأزمة التي وقع فيها. ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يظهر فيها مصطلح «الاستهلاك العام» أي أن المستهلك يشتري أكثر لمساعدة بلاده، فعند نهاية التسعينات الشائنة شجعت الحكومة الأمريكية مواطنيها على زيادة استهلاكهم بأكبر قدر ممكن لمساعدة الاقتصاد.

وتجادل المؤلفة التزايدت كوهين في هذا الكتاب بأن المستهلكين أعادوا رسم خريطة المجتمع الأمريكي خلال العقود الماضية، حيث رأى هؤلاء المستهلكون بلاهم كنوع اجتماع ملتزم بالاستهلاك الضخم لخدمة الاقتصاد الوطني. إن هذا مستبعد حسب المؤلفة، بل على مسافة الشراء من ناحية مصاصيها الخاصة، بينما هناك آخر يعتقد أن هذه العملية، أي الشراء قوة يمكن أن تساعده وتساعد المجتمع كذلك.

## The Book of Clouds

(كتاب السحاب)

John A. Day  
Silver Lining Books, 2002,  
\$19.95



يعرف جون داي مؤلف هذا الكتاب حول العالم بأنه «رجل السحاب»، فقد كرس حياته لدراسة وتامل السحب سواء لأغراض علمية أو للأغراض الجمالية والغنية. بدأ جون داي مشواره مع السحاب منذ دراسته للفيزياء في الجامعة، ثم قام بكتابة عليها في علم الطيران وبدأ يعمل في الأرصاد الجوية. أما هذا الكتاب فهو مقدمة للقارئ العادي لفهم ظاهرة السحاب. كيف يتكون؟ من أين يأتي، وإلى أين يذهب؟ ولماذا يتشكل بهذه الأشكال؟ وكيف نعرف طقس القد بمجرد ملاحظة نوع السحاب؟

## ديمقراطية في خدمة الاقتصاد



The Future of Freedom: Illiberal Democracy at Home and Abroad

(مستقبل الحرية)  
الديمقراطية غير الليبرالية في الولايات المتحدة وخارجها  
Fareed Zakaria  
Norton, 2003, 256PP.,  
\$24.95

في الوقت الذي نشق فيه الولايات المتحدة حرباً في الشرق الأوسط يدعى إرساء نظم حكم ديمقراطية في المنطقة، يأتي كتاب فريد زكريا الصادر حديثاً برسالة مهمة، مشبوهة أن الديمقراطية ليست خياراً مطلقاً وتحتاج إلى قيود كثيرة لكي تعمل بكفاءة، خاصة في دول العالم الثالث. وفي حوار أجريته معه إحدى الدوريات بمناسبة قرب صدور كتابه، صرح فريد زكريا ورئيس تحرير مجلة نيوزويك الدولية ومدير تحرير مجلة فورين أفيرز الأمريكية سابقاً، أن الولايات المتحدة أرهقت أن الحكومات التي لا تعمل بكفاءة تمثل تهديداً ليس فقط لشعوبها وإنما لنواياها للتحقق منها، حيث ينتج عنها حركات افتراس المخلقة. ذلك كان من الخطأ التركيز على الإصلاح الاقتصادي والتطوير التكنولوجي في تلك الدول خلال التسعينيات وإهمال أساليب الحكم السياسي، لأنه في غيبة الإدارة السياسية القوية أن يعمل الاقتصاد بكفاءة ولن يستقر النظام الاجتماعي. يبين زكريا في كتابه خطوات المبالغة في التركيز على الديمقراطية والانتخابات الحرة، لذلك يجب أن تأتي الانتخابات الحرة في ظل الديمقراطية وفي عام 1933، أما الحكومات الغربية فتضع بين الديمقراطية والديمقراطية معاً وهذا هو الضمان المهم من وجهة نظره. فالديمقراطية التي تنتهجها الولايات المتحدة وتحاول فرضها على باقي العالم هي الديمقراطية الليبرالية، التي تركز على التحرير الاقتصادي وروح الفرد، بعكس الديمقراطية الاشتراكية التي تركز على المساواة الاقتصادية.

لذلك يقترح زكريا تجارب دول مثل سنغافورة وتشيلي والكسبد لاثم لهما ما يتحرر الاقتصاد أو لأقل تحرير النظم السياسية، أما الدعوة الخطيرة التي يوجهها للبلاد الأمريكية فهي أهمية تشجيع مخترعين مثل بيريوس مشرف اليكسانسني لأنه يبدد التحرير الاقتصادي، بينما يجب التوجس من الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز الذي جاء ديمقراطياً عبر الانتخابات الحرة. «هذه الدروس ينبغي أن نأخذها الإدارة الأمريكية في الاعتبار وهي تقوم بإعادة الفناء في كل من العراق وأفغانستان»، وهذا أكد زكريا. «لأن الانتخابات المحمودة التي يمشيها سياسات كبيرة مثل ما حدث في اليوسفة بعد عام من المحاولة يكونون للنسلا، حيث دعمت الانتخابات للنوى الأمنية البليشة وجعلت من بناء حكم ديمقراطي ليبرالي أمراً غير مستصعباً». ويضيف زكريا أنه في العراق، سيكون هناك ضغط من أجل إجراء الانتخابات بسرعة لإضفاء الشرعية، ولكن الشرعية لن تؤدي إلى حكومة ذات كفاءة. بل أن كفاءة الحكومة مستحققة باستمرار وجود الأمريكي هناك لإتمام عملية بناء المؤسسات.

هذا بالنسبة لرؤية زكريا لما يجب أن تكون عليه الحكومة في العراق وأفغانستان وباقي البلدان، أما في الولايات المتحدة يرى أيضاً أن الديمقراطية قد اتخذت فيها شكلاً شعبياً غير مطلوب، وهو يدعو إلى زيادة المراجعة الصعبة على حساب الأجهزة التنفيذية مثل الحكومة العليا الأمريكية وأيضاً مثل منظمة التجارة العالمية. مثل هذه الأجهزة تعمل بكفاءة من وجهة نظر زكريا لأنها تعمل بعيداً عن الضغط الشعبي الذي يؤثر في أداء قرارات الأجهزة التنفيذية. يتكرر أن فريد زكريا من أبرز الخبراء الصالحين في مجال السياسة الخارجية بالولايات المتحدة الأمريكية. وأد وصفته مجلة إسكوير مؤخراً بأنه واحد من أهم واحد وعشرين شخصية في القرن الواحد والعشرين. وقد نال زكريا في مدينته مومباي بالهند ودرس في جامعات ييل وهارفارد في الولايات المتحدة، وهو يعد أصغر من تولي إدارة تحرير مجلة فورين أفيرز لشؤون خارجية، التي يصدرها مجلس العلاقات الخارجية، حيث كان عمره آنذاك 28 سنة.

هاديل غثيم

مرحلة تكوين الدولة القومية، والثراء الذي لحدته التسوق في استنزاج البترول، إلى جانب الحروب الإسرائيلية العربية، ومعاداة كاسم يهودي، والثورة الإسلامية في إيران.

وتوضع للحررة في بداية كتابها كيف أن اختيارها للشخصيات لا يعنى أنهم عينة ممثلة لشعوبهم أو لاجيالهم ولتقهم مجرد أمثلة معيرة. منهم الشعراء والأدياب ومنهم الأساتذة والباحثون ومنهم موسيقيون وفنانون. كذلك فإن بعضهم ينتمى إلى الطبقات الأرستقراطية وبعضهم ينتمى إلى طلبة العمال الزراعيين، كما يمثلون أعرافاً وأدياباً مختلفة. الكتاب يعد تجربة فريدة في رؤية التفسيرات التي طرأت على الشرق الأوسط خلال القرن العشرين من خلال قراءة في التاريخ الشخصي لمجموعة من الأفراد.

## China's New Rulers... The Secret Files

(حكم الصين الجديد... الملفات السرية)

Edited by Andrew Nathan and Bruce Gilley  
Granta, 120PP., £14.99



في منتصف مارس الماضي اكتملت عملية الانتقال السياسي الأولى لسلطة في الصين منذ قيام الثورة الشيوعية عام 1949. وهذه التغيرات عبارة عن مجموعة من الملفات السرية التي سبغت المؤثر العام للأجهزة للحزب الشيوعي الصيني الحاكم والذي توخاه الوفاة على التغيرات والتي أصبح يعكسها ما موختاراً سكرتيرس عاماً للحزب الشيوعي الصيني ثم رئيساً للبلاد. وهذه الملفات السرية شخص ما في الحرب الشيوعية الصينية إلى الخارج. ويقول المؤلفان أن هناك تقليداً لدى الزعماء الصينيين مفاده نشر الوثائق المهمة، التي لا يمكن توزيعها محلياً، في الخارج وعلى سبيل المثال الوثائق التي نشرتها في السبعينيات من القرن الماضي عن حياة زوجة الزعيم الواحل ماوتسي تونغ.

## Politics of Mass Consumption in Post war America

(جمهورية المستهلكين، سياسات الاستهلاك الجماعي في أمريكا ما بعد الحرب)

الدع الواحد والخمسون، أبريل 2003م

أن لكل حدث حديثا، كما يقول العرب، تبلي لكل الأحداث مترتبات وتناقل.. ولحديث بضرورة الحدث.. بقية.

[٢]

«ضرب الحواسم» يبدو أنها المرة الأولى التي تختار فيها الالة الدعائية العراقية شعاراً.. وبغض النظر أيضا عن القصد.. يبدو صحيحا. فكلت الحرب التي يخطي الكثيرون حين يؤرخون لهاديتها (الحقيقية) بالثاسع عشر من مارس، والتي لم يحدد من ذهب إليها - أو لم يعلن لنا بشافعية - متى يعتبرها انتهت، يبدو أنها تستحسب الكثير من التكرار من الأمور، وسترسم الكثير من الخطوط المتناقضة حديثا والمنطقة والمشاركة أحيانا، إن لم يكن على خرائط الجغرافيا، وهذا وارد، فليس خراطة (واسعة) للسياسة، والاقتصاد.. والوقو.

ونخطي من يعتقد أن مشهد «الطع الدومينو المتناحبة» سيتوقف عند أفق يحدد الحديث أو الخلق، فعما أن تطايرها (أو لا للحرب) لم تحف السنتال أو جزر الهوان، فإن نتائج الحرب سطلالي على المدى القريب والبعيد (أو مباشرة) للمستقبل السياسي لقادة دعيوا إليها مثل بوش وبليز، أو أيدروها مثل أثار ريفولير، أو عارضوها مثل شيرك وجيرهارد شروس.

«ضرب الحواسم» هي إذن، والتي ستحسم - أيما ما كانت نتيجتها النهائية (القريبة أو البعيدة) المصير النهائي لكثير من رموز وصراعات النصف الثاني من القرن العشرين، للبعيد ودوليا.. وغريبا.. النظام الدولي.. والأفكار ومؤسستات، ففي جزر الأزور أعطى جورج بليوي بوش مجلس الأمن (الدولي) أنذارا ١٨ ساعة، بمشذ القرار الذي دونه، والاستنهب «تحت» للقيام بالهجمة.

يوسها بجنه كوفي عنان رحاله «الدوليين» حولها على جبهاتهم، ولم يكن هناك تفكير في خروشه أو خيلج حذاه، ليعطيه به للمضمة احتجاجا، فهذا كان زمان القادة، ولك كانت مناهات التوازن، النظام العسبري وأفكاره، واجتمعت، بغض النظر عن الاختلاف الذي لن يسمم أبدا حول «منطقية» الرئيس يشار، والبعيدة، الوزر حمد، وأفكار العقيد القذافي.. وديلموساية الأمين العام.

٣- حزب البعث العربي الاشتراكي: هل تذكرين بداية القصة.. وهل تذكرين ميشال عفلق، وهل تذكرين نصف قرن من الألام.. والدماء.. وهل تشهد الآن نهاية تراجيدية للقصة الدرامية العاصفة.

٤- الاتحاد الأوروبي: والذي لا يعرف

وقد تكون التسمية صحيحة. بغض النظر عن القصد.. إن ارتكنا ما هو المقصود بالصدمة.. ومن هم هدف للترويع.

[٢]

«لغة الحقيقة» هي إذن كما قال جورج بليوي بوش، بعد أن بنا واضحا - لكل من يريد أن يرى - «حقيقة» العالم الذي تريده أمريكا، ويعد أن كشفت مبرريات مجلس الأمن، والتصرحات المنظمة، من هم المصوبون «شرقا وغربا» بالضرب «الاستباقية». أي ما كان الأمر.. فالننا.. على الألف - أمام «لحظة الفارقة» في التاريخ وإن كان صحيحا أو مستحتملا لن غبار الحرب يستقشع عن نظام دولي جديد، يدل على نظام الأمم المتحدة الذي جات به الحرب العالمية الثانية، فقد يكون من الصحيح أيضا أن الحدث - الليميا - ربما يما في نظام يدل لنظام الجامعة العربية، الذي نشأ في وقت متزامن مع نشأة المنظمة الدولية، وهنا احتضان، قد لا يكون هناك ثالث لها، إسا أن ذهب الفكرة نلتها إلى صفحات التاريخ، سواء غاب القطيعة، أو بقيت هياكله، أو أن يريد ذوو الصلة - والحاجة - أن القيمة واجبة وأن يعدل ممكن. في تلك اللحظة الفارقة التي يامل فيها ترتيب الأوراق ويصار فيها إلى رسم الشرائط. وإن كان لهذا بالضرورة حديث آخر، فقد يكلي التذكرة فقط بالحقائق التالية:

- ١- أن تطايرها الوحيدة في العالم كله التي قامت تأييدا للحرب، شهدتها شوارع عاصمة عربية.
- ٢- أن دولة «عربية» مثل بلجيكا، رغبت السماح لطائرات الأمريكية بالتوقف في مطاراتها لتزود بالوقود، وهي في طريقها إلى حرب «غير شرعية» مع تغيير الميولين في بروكسل.
- ٣- ولعلها لأدلة الأناني، تبقى الحقيقة المجردة، لا بد من رؤيتها واضحة، فضلا عن الاعتراض بها، إنه ورغم قرار على أعلى مستوى من القوتين العربية والإسلامية «بعدم المشاركة» في الحرب التي وضع الملوك والأسراء والرؤساء توقعياتهم على قرار برافهمها، إلا أن الحاصل أن الصواريخ التي قصفت عاصمة الخلافة الإسلامية الزاهرة وقت العباسيين، انطلقت من قواعد في أرض عربية، وأن الطائرات التي دكت النجوم الشرفية، كما كان يسميها ثلثا التحذون عن مفهوم الأمن القومي العربي، إنما جاءت من «الداخل».
- وإذا كانت القاعدة السيكلوجية تقول إن المرء يميل إلى أن يتجاهل ما لا يحب إن يراه، إلا أن التاريخ يبيي بلا عواطف.. ورونايته لا تحكمها السيكلوجيا، وكما

عندما كنت أذهب لقطعة المناورات العسكرية، كنت أحرص على تسجيل اسمي ضمن قائمة الصوبين، والذين - لطبيعة دورهم - كان يسمح لهم بالاقتراب أكثر مما يجزى، وفتها لاحظت أن لقادة الميدانيين يسكنون عادة بلكم من الرصاص، ويغتر من الورق، يؤشرون فيه طوال الوقت، ورغم أنه فاشتي أن أسأل: لماذا هو من الأسرار، إلا أن الأمر كان كافيا لكي يرتبط لدى مشهد عراقية الحرب بدقائق الملاحظات.

ها هي إذن الحرب «المجدانية» اندلعت، ذهب إليها قادة البنتاجون باطمئنان القناع إلى مناورات «النجم الساطع» الروتينية، فالقود حدوده سلفا (حسب التوقيت المحلي لمدينة واشنطن DC)، ومقر القيادة الذي قد تم تجهيزه بعنايه، والمصافيون لقوا تدريبات (مصفوعة) على أجهزة للحصاة الإلكترونية، ليتم «تسكينهم» ضمن نظام محكم داخل الوحدات العسكرية الميدانية، وغود توريد الأغذية والكلوا، ثم توفيقها بالفرس، ومكان التسليم، طبعا لنخطة الحركات العسكرية للحرب/المناورة، داخل الأراضي العراقية. أي ما كان الأمر.. فالننا.. على الألف - أمام «لحظة الفارقة» في التاريخ وإن كان لهذا بالضرورة حديث آخر، فقد يكلي التذكرة فقط بالحقائق التالية:

[١]

الزمان: التاسع عشر من الشهر الثالث من العام الثالث من القرن الحادي والعشرين.

باتوراما المشهد (بعرض العلام) كالتالي:

في العاصمة «الدبلوماسية» لحام ما بعد الحرب العالمية الثانية «شوبور»، يجتمع مجلس الأمن «الدولي» على مستوى وزراء الخارجية ليتحدث عن «السلام»، ويسمعت إلى تقرير المفشين الدوليين الذين ذيعوا إلى العراق بقرار منه، قد عاونا راضين مهرويلن تحت سلاح إنذار ١٨ ساعة الأمريكي الشهي.

وفي واشنطن، التي ينظر إليها الضرون على أنها العاصمة «الفعيلة» للعالم الجديد، كان «الرييس» بأية التعريف، كما يشير إليه قوني بولي في مؤتمرات صحفية (غير مشتركة) - يجتمع من أركان حربه قبل أن يضطغ على الزناد، عند منتصف الليل، لتلتاق الصواريخ على الناحية الأخرى من العالم، حيث «ميدان» ضرب النار» والتجبير للاستلاذ هيكل، الذي سبق الكثيرين، وبعما صممتها بانتجيه ميكر إلى «البعاد الجعوبة» لحرب «الصدمة والترويع» كما أسماها تومي فرانكس قائد القوات الأمريكية في الخليج.

علينا منع أي دولة معادية من السيطرة على مناطق يمكن لواردها أن ترفع هذه الدولة إلى مصاف الدول العظمى.. وعلينا تسبيط عزيمة الدول الصناعية المتقدمة عن محاولة تحدي زعامتنا أو قلب النظام السياسي والاقتصادي القائم.. كما أن علينا العمل على عدم بروز أي منافس كبير في المستقبل..

١٩٩٠ ١٩٩٠

نقد فشل مجلس الأمن.. والولايات المتحدة ستقوم هنا بما تقاضى عن القيام به.. على العسكريين العراقيين عدم إطاعة أوامر قادتهم، كما أن عليهم التصرف بشرف من خلال السماح للقوات الأمريكية بدخول العراق..

١٩٩٠ ١٩٩٠

١٩٩٠ ١٩٩٠

التحالف مع الولايات المتحدة أهم من الناحية الاستراتيجية من التحالف مع الأمم المتحدة..

١٩٩٠ ١٩٩٠

مسئولية الولايات المتحدة مؤكدة في العراق بعد الحرب.. قوائنا لن نقادر هجمة لتترك المكان للأمم المتحدة، لذا علينا أن نعمل سويا.. فإنظمة الدولة ستكون مسؤولة يتبعهتين، الأولى باعتبارها الأمم المتحدة، والثانية باعتبارها جزء من التحالف الذي قام بالعالية العسكرية..

١٩٩٠ ١٩٩٠

١٩٩٠ ١٩٩٠

١٩٩٠ ١٩٩٠

١٩٩٠ ١٩٩٠

١٩٩٠ ١٩٩٠



## أيمن الصياد

« تلك الحرب تشن من وراء ظهر مجلس الأمن الدولي وبما يخالف القانون.. إنه لأمر يدعو للسخرية أن تدمر بلداً يدعو لتحريره ونشر الديمقراطية.. إن تدخله الولايات المتحدة وبريطانيا هو محاولة لتفرض نظام سياسي بالقوة على دولة ذات سيادة.. العراق دولة مستقلة وعضو في الأمم المتحدة.. ومطالبة واشنطن بقطع العلاقات معها تعد لمجتمع الدولي.. »

(إيجور إيلانوف  
وزير الخارجية الروسي)

« من الناحية القانونية البحتة فإن الغزو الأمريكي للعراق لا يختلف عن الغزو العراقي للكويت قبل عقد من الزمان.. »

صحيفة «لو فيجارو» الفرنسية

« الأمريكيون لا يريدون إعطاء مهلة أسابيع للتأكد من تنفيذ قرار مجلس الأمن صدر قبل أشهر.. لماذا لا يتنذرون القرار ٢٤٢ الصادر قبل ٢٥ عاماً؟.. »

روبين كوك  
زعيم الأغلبية في مجلس العموم البريطاني  
والذي قدم استقالتاً احتجاجاً على الحرب

« أردنا التمييز عن ضيقنا وتوجيهه ضربة توجع الأمريكيين في حافلاتهم.. لم يشك الزبائن.. على العكس معظمهم يرحب بهذه الخطوة.. »

فايو إنجليبي  
صاحب مطعم «أوستريا» في برلين  
(أحد المطاعم التي حذفت الكواكوزي والمنتجات الأمريكية الأخرى من قوائمها احتجاجاً على الحرب)

القاهرة الفقير، حيث حملني إلى الأثر لشد «رد الفعل العفوي» عن قرب، وجد صدام «المرتد» في منشآت الصحافة، وفي كتابات المثقفين في صحف عربية تصدر هنا.. أو هناك في عواصم أوروبية، وفي أرائهم.. كضيوف «المناسبة» في شبكات التلفزيون الأمريكية.

حالة من الاستقطاب والغوص الإنزاع الفكري، إن أشدت بمقاومة العراقيين المحاصرين منذ اثني عشر عاماً لأكبر قوة عسكرية في التاريخ، اتهموا المعارضون العراقيين والمجشرون الأمريكيين، بالك ضد الديمقراطية وضد الكويت، وإنك لتعبر احتمالاً لمذابح حلبجة الكيميائية، ولا لحقيقة أن أنباء الاستقبال الفخائية محظورة في العراق، وإن أنت أشرت إلى مطلب النظام العراقي، وجدت فوراً من يصرخ في وجهك (بالقلم وعلى الفاشيات) بالخيانة والعمالة والتكرار لدماء العراقيين الذين لقوا في سبيلها العارضة أو في سوق الشعب. والحاصل أن المشهد البائس في أعمدة الصحف وبيانات المراهقين وشاشات التلفزيون يجسد «أزمة الملقف العربي» للوقارة والزمنة.



تتكرر الأسلة.. بلا إجابة.. كما تتناثر القنابل المتفجرة في سماء المعركة. ونكتب.. ولما تضع الحرب أوزارها بعد.. ويظل دفتر الملاحظات مفتوحاً بالضرورة.. ليقبل الإضافة.. والتعديل. وربما تلك هي الحكمة من «القصم الرصاص» ■

الجيش الأمريكي في غورت براج بولاية نورث كارولينا لماذا يقابل جندي عراقي فقير «في معركة ميثوس منها وغير متكافئة.. وفقاً من طاغية دمو..» Slogans التي علق خبيرة الدعاية الأمريكيون على صياغتها بغاية قبل أن يبيعوها للجيش الأمريكي، حملتها ملايين (٨ ملايين) المنشورات من الورق الملون المصقول والتي ألقيت في قوات الجيش العراقي طوال الأيام السابقة لاندلاع الحرب.

هل يفهم البرلمانيون لماذا لم يفهم العراقيون «المعدون القراءاً» بالورد؟ وهل يدركون كيف تتوارى.. في هذه الشفافة.. حسابات المكسب والخسارة حينما يتعلق الأمر بالكرامة والشرف.. والأرض والوطن؟ وهل نسوا كيف أساءوا فهم أن تترك فتاة فلسطينية جميلة في ربيع العمر أمالها واحلامها للترنن بحزام من متفجرات؟ وكيف كان الحديث عن «الفكر المؤيد للتطرف والعنف» مضللاً حين اكتشفوا أن صفوف القاعدة جاءت من بلاد الخليج الغنية.

وقد يبقى أمراً مضحكاً أن يعتقد هؤلاء الخبراء والذين القوا بـ ٣ ألف جهاز راديو ثابت الموجة على ثكنات الجيش العراقي، أن جنوده ولأن غابيلتهم من الشباب بطبيعة الحال، تستمع إلى الإذاعة الخاصة التي وجهوا إليهم «لأنها تنبع أغاني البوب والروك الأمريكية الشبابية».. ولبت أحدهم كان مفي في التاكسي.. ليري كيف لم يرض سائقه «شاب» بالاستماع إلى الإذاعة المحلية، ولقي اعتبرها هائنة، ولخذ يجهد مؤثر المذيع بحدساً عن مراهات عسكرية كما قال لي. أيّاً ما كان الأمر، لقد بدأ أن التباس في كلام سائق التاكسي «البسيط» في الزقاق

إن كان قد توسع ليقوى به «أوروبا الجديدة» أو ليضع بها. «حلف الناتو» بين سبر النشأة.. وداعى الاستمرار.. ورياح الخلافات والانقسام. ٦ القضية الفلسطينية: محور «المسألة» العربية.. والضحية الأولى (المحتملة) للترهات.. والممارات.. وإعادة ترتيب الأوراق.

{ ٤ }

عندما قال لي سائق التاكسي متحمساً أنه «لا يوجد بين العرب رجل غير صدام».. عرف أن الديمقراطية هي الخاسر الأول في هذه الحرب، وأدركت كم أن الأمريكيين أغبياء عندما يفرون على الاعتماد على محلي الرأي العام الجالسين في مكاتبهم المؤثرة في نيويورك والذين ربما كانوا يجيدون أكثر اختصاراً لرون رابطة العنق، ونكهة القهوة، وموقع غرفة الاجتماعات.. حيث تطل النافذة الواسعة ولابد على المدرس Cityscape.

وكان صديق يتنسى إلى عائلة مائلة خليجية قد قال لي في إطار تعليقه على ما يجري: «ليس هذا وقت الحساب.. هذا وقت العواطف، والمواقف لا تعرف حسابات الحقل والبيدر.. تعرف فقط لأوضاع القرى.. ورباطة الدم.. إذ أخطأ أبك ربما تعاقبه ضرباً بالعصا.. ولكنك إن تسمح لغريك بإذائه»..

هل يفهم الأمريكيون القابعون أمام شاشات الكمبيوتر الباردة هذا المنطق.. لم يفهم خبره الحرب النفسية في

NEW EVIDENCE FROM THE PENTAGON :



# نحو

## حركات الاحتجاج عندنا وعندهم..

تتمثل حركات الاحتجاج في ثقافة الغرب السياسية تقليدياً بمشد إلى جذور بميدة في التعبير عن آراء الشعوب وإرادتها، وذلك حين تنسج الفجوة بين السياسات التي تنتهجها حكومة ما وبين ما تؤمن به وما تدعو إليه فئات واسعة مؤثرة من الشعب إزاء قضية معينة، وتزداد هذه الحركات قوة وزخماً في النظم الديمقراطية، لتنتج إلى صفوفها تيارات ليبرالية مختلفة واتجاهات سياسية مثالية، قد لا نراها بيننا وشيجة مئة، كلما استعقبت الحكومة بأغلبية برلمانية تمهيداً من غضب الشعب وتضعضي عليها الشرعية المطلوبة.. ويحدث هذا بشكل خاص في القضايا المصيرية، التي تتعلق بالحرب والسلام، وبالآلام والقرارات الاقتصادية التي تمس حياة المواطن العادي.

ولم يعد لنا شهد العالم منذ حرب فيتنام في الستينيات من القرن الماضي، مسيرات احتجاج جمعت بين صفوفها آلاف الاعداد للجنود الهالكة في وقت واحد عبر الشات من المدن والعواصم العالمية، بل انتمى ما سادت في المسيرات والمظاهرات التي غطت الشوارع والميادين احتجاجاً على الخطأ الأمريكي البيريطانية للحرب ضد العراقي. وكانت مسيرات الاحتجاج الاكبر عدداً والأوسع مدداً، هي تلك التي نظمت في بلاد تزايد الحرب، أو عندما صُفوطاً للاضطلاع إلى الحرب مثل أمريكا وبريطانيا وإسبانيا في الحالة الأولى، وفي فرنسا واليابان في الحالة الثانية، وخلال السنوات الأخيرة، جرت مسيرات احتجاج عديدة تمهيداً عن الرضا والمعارضة لقضايا إقليمية أو عالمية، مثل قضايا العالة والتجارة العالمية وسيطرة الهيئات الاقتصادية الدولية على مصير العالم، والحقن الذي تنشره على الدول النامية والفقر في توزيع الثروة، ولابد من ملاحظة هنا كيف نجحت حركات الاحتجاج العربية في إعادة إنتاج أشكال الرضا وأساليب التعبير عن معارضة الاتجاهات الرسمية السائدة. وكيف استفادت من مرجعيات الغناء والعرض الفنية التي تشارك في أحداث غفيرة من الغناء وأجاس مختلفة، فضلاً عن الهارة العالية في تنظيم مسيرات حاشدة بمئات الآلاف، واستخدام الأقنعة والوجوه والكاتينغ والشعارات السياسية والالفتات المبكرة واللباس التكريرة

وأشياء الشوم وغيرها من الأساليب المتجددة في تغذية مشاعر الاحتجاج والتعبير عنها، دون حاجة للجوء إلى العنف والصدام مع النظامية أو تطعيم المراقب العامة.. بحيث يمكن أن يقال إن مسيرات الاحتجاج التي ولدت في احضان حقوق العمال بالإضراب عن العمل دفاعاً عن قضايا عمالية أو نقابية، سرعان ما اتسعت وتحوّلت لتكتسب أبعاداً جديدة وأثقالاً غير مألوفة دفاعاً عن قضايا دولية ومشاكل اجتماعية واقتصادية عابرة للحدود والثقافات، بل والفترات.

غير أن ما يجعل لحركات الاحتجاج في الغرب قيمة وتأثيراً في الحياة السياسية، هو أنها جزء من الحريات العامة والمراسات السياسية المتصلة التي يفضيها المواطن منذ مراحل حياته الأولى وإلى أن يصبح له حق الانتخاب كمواطن في مجتمع تتوافر له فيه حقوق وواجبات مساوية ومدينة معينة.. بحيث لا تلق الأمور عند حد مسيرات الاحتجاج وانفجارها، تمتد بعد ذلك لتصل على الاقتراف في الانتسابات المفسلة، وهو ما يمكن أن نستقره في الصفوط التي يتعرض لها أنثوني بلير من جانب حزبه فيما يخص معارضة حرب العراق، وعلى نحو يهدد مستقبله السياسي ومستقبل حزبه. وفي هذا الإطار يلعب المثقفون والفكرين ورجال الدين والسياسة دوراً أساسياً في تقديم المبررات الفكرية والسياسية لحركات الاحتجاج.. وفي حالة الحرب مع العراق لم تردّد أعداد كبيرة من الأدباء والفكرين والعلماء، وبعضهم من الحاصلين على جائزة نوبل، في إعلان معارضتهم لهذه الحرب لأسباب إنسانية وأخلاقية وقانونية. وشكل الفنانين والمثقفون من نجوم السينما الأمريكية قطاعات مؤثرة في إدانة هذه الحرب، وشارك بعضهم في الصفوف الأولى من مسيرات الاحتجاج. غير أن هذا لم يمنع نشوب مجادلات حادة بين المثقفين والسياسيين على الجانبين، من المؤيدين والمعارضين للحرب، فطعت الطريق على كثير من

الحجج الزائفة أو التي تقتدر إلى الملحق، وأوضحت بجلاء سلامة حجة المناهضين للحرب ووسعت صفوفهم.

لهذه الأسباب، أو ربما لغياب هذه الأسباب والموامل، لم تنتج حركات الاحتجاج في بلادنا في تشكيل ثقافة احتجاج ذات تقاليد واسعة معترف بها، سواء من جانب السلطة أو في الإطار الفكري العام، فالمثقفون والفكرين في بلادنا يقدرون حركات الاحتجاج، ولا يتصدون بالفكر المعرفة والقلم وليس ضرورياً بالسير في المظاهرات، لفكر الرضا والخلاف والمعارضة القائمة على منطق متكامل، وذلك بقيت مراحل التعبير في بلادنا منوطاً بما يعتقده السياسيون أو الذين تلحوا السلطة من العسكريين تساعدهم طبقة من السياسيين والكتفوقراط والمثقفين، تزين لهم أكثر الأساليب تقرباً وجوعاً إلى الرأي الواحد، وتمكن كل في الأرض لإحكام قبضتهم، وتحقق المنفعة الخاصة لهم من وراء ذلك.

بعض هؤلاء هم من كثر المثقفين اذراء لسياسات الاحتجاج واستغلها بها وخوفاً من اقترافها.. فهم لا يرون لها جدوى إلا أنها خضعت لتنظيم الحزب الحاكم، وأصبحت مسيرة في طريق واحد ولخدمة واحد. والنتيجة الطبيعية لذلك أن نفل من هذه المسيرات مقصورة على فئات محدودة من الطليقة أو العمال أو الصليين في جامع، ولا تضم بين صفوفها كافة فئات الشعب وأجاسه وطبقاته كما يحدث في بلاد أخرى.. إلا أن فئدت لحركات وتركت فيهاها لغنى السلطة بوجوهنا كيفما شاؤوا.

لا توجد لدينا مبادرات نقابية للاحتجاج تثير روح الديمقراطية، مجرد فوران وردود فعل تقتصر على إصدار بيانات يوقعها عشرات أو مئات من المثقفين، ويتنازعون على مضمونها ولحقتها والجهات التي تنظمها.. وذلك على العكس تماماً من مسيرات الاحتجاج التي شهدناها في عواصم الغرب، حيث تحرك المبرمج بصورة تلقائية في أيام محددة من نهائيات الأسبوع، حتى لا تعطل الأعمال ولا

تتوقف عجلة الإنتاج، ولا تتأثر العملية الاقتصادية بسبب فقدان ساعات العمل وما تساويه من أجور.

عندنا، لا يتصد المثقفون حركات الاحتجاج ولا حركات التعبير الطبيعية أو الثورية، بل يأتون في معظم الأحيان، في ذيل الحدث وقرب نهايته وانكساره. وفي قضية التتبع التي أثرت في المراحل الأخيرة للأزمة العراقية قبل أن تتنلع الحزب التي خطت لها أمريكا كشاح ليس لتخفيف الوضع في العراق فحسب، بل لتخفيف الوضع في المنطقة العربية بأسرها، رد على أحداث سبتمبر، لم يكن إسهام المثقفين في مواجهة الأخطار الحادة إلا في البحث عن مخرج سهل يستجيب للمطالب الأمريكية ولا يمس جوهر القضية ولا يعطيل بجوانبها المعقدة.

فقد بقي نظام الحكم القائم في العراق أكثر من ربع قرن، لا يحاكم المثقفون بالقدرة على مطالب التغيير إلا عندما ضيق الأمريكيون الحصار على أسباب خاصة بهم، على الرغم من المطالب والكرارات التي ارتكها على امتداد السنين في حق شعبه وفي حق الأمة العربية.. ولو أن صفوف المثقفين اختارت في وقت من الأوقات أن يتكروا على هذا النظام ما يتكروا عليه الآن، وأن يكونوا في طليعة المعارضين والحجج منذ أصبح نظام البعث عبثاً على مبادئه التي نادى بها منذ تأسيسه، فلربما كان العراق قد شهد ملاحاً غير هذا المصير، ولربما كانت الشعوب العربية قد أعادت رسم خرائطها بنفسها وليس بيد الآخرين.

إن إنكار حق الخلاف والرفض والاحتجاج في الثقافة العربية المعاصرة، تكاد تكون في المثل الذي نعت به سهام الضعف والاضمحلال والتخلف، وليس في حياتنا السياسية التحسين، بل وفي حياتنا الدينية والاجتماعية، ويوم يتخطى النقوف من دوره كمحاف في بلاط السلطة، فسوف تكون هذه في البداية الحقيقية لكي تتجدد لدينا ثقافة الاحتجاج والمعارضة على أسس سليمة!

سلامة أحمد سلامة

أحدث الإصدارات من

# دار الشروق



## تطلب من

دار الشروق ٨١ شارع سينوييه المصري - رابحة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٢٣٩٩ ومكتبة الشروق ١٠ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٨٠ ومكتبة الشروق - مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٢٥٠٣٥

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً [www.e-kotob.com](http://www.e-kotob.com)

مصاريف مدرسة سلمى  
شراء شقة أحمد

توفير معاش شهري بعد جواز الأولاد

وثيقة الأمان

الحياة رحلة طويلة.. فأمن مستقبلك وخطط له جيداً.

اشترك الآن في البرنامج الادخاري الجديد من البنك العربي "وثيقة الأمان" الذي يساعدك على تلبية احتياجاتك المستقبلية. وتحصل من خلاله على عائد مغزى في نهاية مدة الوثيقة.

مثال:

إدفع شهرياً مبلغ	وأحصل بعد ١٠ سنوات على مبلغ	أو أحصل بعد ٢٠ سنة على مبلغ
١٠٠ جنيه	١٨.٧٢٨ جنيه	٥٣.٣٤٥ جنيه
٢٠٠ جنيه	٣٧.٤٥٦ جنيه	١٠٦.٦٩٤ جنيه
٣٠٠ جنيه	٥٦.١٨٤ جنيه	١٦٠.٠٤٢ جنيه

وفي حالة الوفاة "القدر الله" يحصل المستفيدون الشرعيون فوزاً على كامل قيمة الوثيقة المستثمرة

بالإضافة إلى المميزات التالية:

- مدة الوثيقة تتراوح من ٥ إلى ٢٠ عاماً بأقساط تبدأ من ١٠٠ جنيه شهرياً.
- إمكانية الحصول على السعائد في نهاية المدة على دفعة واحدة أو على دفعات لمدة تصل إلى ١٥ سنة.
- التأمين مجاناً على صاحب الوثيقة بكامل قيمتها.
- إمكانية الإسترداد المبالغ المتبقية بعد مرور عام طبقاً لجدول الاسترداد.

لزيد من المعلومات خصصنا لكم هذا الرقم الجديد

١٩١٠٠

في خدمتكم ٧ أيام في الأسبوع من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً

البنك العربي  
ARAB BANK



رؤية جديدة



www.arabbank.com